(قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارسها)

كتاب التاريخ القديم

« لتلاميذ السنة الاولى الثانوية »

(حسب المنهج الحديث)

تأليف

ج . ادجار ، محمد شفيق غربال

الحاصل على درجة العالمية من جامعة اكسفورد
والمفتش بوزارة المعارف

الاستاذ المساعد للتاريخ بكلية الآداب
بالجامعة المصرية

يطلب هذا الكتاب من المكتبة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

« الطبعة الثامنة »

الثمن ٢٠ قرشا

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

(قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارسها)



كتاب التاريخ القديم

« لتلاميذ السنة الاولى الثانوية »

(حسب المنهج الحديث)

تأليف

ع . ايجار ، محمد شفيق غربال

الحاصل على درجة العالمية من جامعة اكسفورد
والمفتش بوزارة المعارف

الاستاذ المساعد للتاريخ بكلية الآداب
بالجامعة المصرية

يطلب هذا الكتاب من المكتبة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

« الطبعة الثامنة »

الثمن ٢٠ قرشا

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

الطبعة الاولى : فى ابريل سنة ١٩٢٦
الطبعة الثانيـة : فى أغسطس سنة ١٩٢٦
الطبعة الثالثـة : فى نوفمـبر سنة ١٩٢٦
الطبعة الرابعة : فى يوليـه سنة ١٩٢٧
الطبعة الخامسة : فى يونيـه سنة ١٩٢٨
الطبعة السادسة : فى يونيـه سنة ١٩٢٩
الطبعة السابعة : فى سبتمبر سنة ١٩٢٩
الطبعة الثامنـة : فى يونيـه سنة ١٩٣٠



موضوعات المنهج الجديد

(للسنة الاولى بالمدارس الثانوية)

دراسة عامة لتاريخ المدنيات القديمة مع العناية بعلاقتها بمصر

(١) الشرق القديم

مصر

ملخص تاريخ مصر القديم والمدنية المصرية الى نهاية الدولة الحديثة

بابل واشور وكلديا

وصف أراضى دجلة والفرات — المدنية السومرية — تأسيس بابل — حمورابى — ظهور آشور وتأسيس نينوى — دولة الكلدانيين الثانية وبختنصر الثانى — ظهور الميديين والفرس — كورش واستيلاؤه على بابل

بنو اسرائيل

وصف فلسطين — بنو إسرائيل فى مصر — ملك شاول وداود وسليمان وبناء الهيكل — الانقسام الى مملكتين ونهايتهما .

الفينيقيون

موطن الفينيقيين الاصلى — صيدا وصور — علاقة الفينيقيين بمصر وأشور — المستعمرات الفينيقية — طرق التجارة — استيلاء الفرس على فينيقية — المدن الفينيقية

(٢) الاغريق

(٣) الرومان

ونيرون — اباطرة الاسرة الفلافية — الانطونين — تراجان — هادريان — انطونيوس بيوس وماركس اوريليوس — نظام الحكومة والادارة الرومانية — مصر كولاية رومانية — اصلاحات دقلديانوس — ظهور الدين المسيحى وانتشاره — تأسيس القسطنطينية — هجوم القبائل المتبربرة وسقوط الدولة فى الغرب .

الفهرست

صفحة

صفحة

الباب الثانى ـ الاغريق ٧٧

الباب الثالث ـ روما ١١٨

صفحة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

معلومات تاريخية اولية

(١)

الانسان قبل التاريخ

« قبل التاريخ »

لم يتمكن المؤرخون من دراسة الماضى إلا بفضل ما كتبته الامم عن أحوالها ، أى أن التاريخ يبدأ عند ما توصل الانسان الى معرفة فن الكتابة قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف عام .

وقبل معرفة الكتابة عاشت على سطح الارض أمم عدة لا سبيل الى وصف ما كانت عليه إلا بدراسة آثارها المختلفة ، وعلى الأخص الآلات المتنوعة التى استعملتها . وقد اعتاد المؤرخون تسمية الازمان القاصية التى عاشت فيها تلك الامم بـ « قبل التاريخ » .

تقسيم « قبل التاريخ الى أربعة عصور :

ينقسم العهد « قبل التاريخ » الى أربعة عصور على حسب الآلات المستعملة :

١ ـ العصر الحجرى القديم

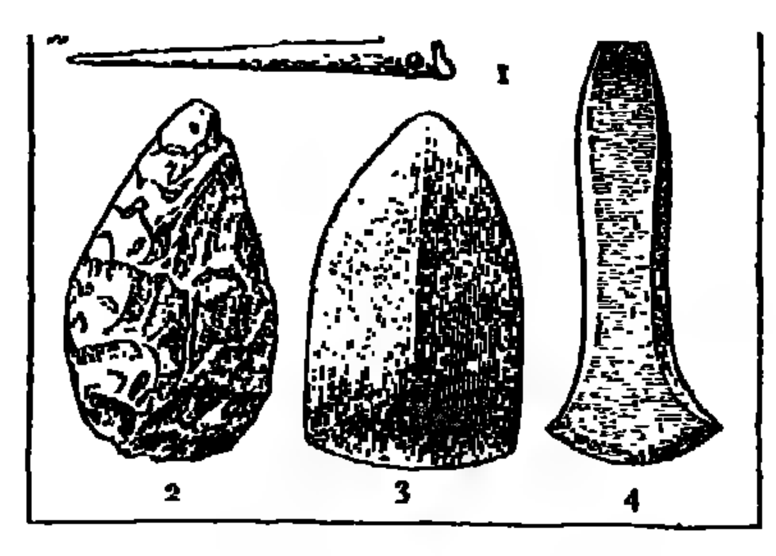
فأقدمها كلها عصر اتخذ الانسان فيه الآلات التى تلزمه من الاحجار إما كما هى أو بعد نحت بسيط ويسمى ذلك العصر « بالعصر الحجرى القديم »

٢ - العصر الحجرى الجديد

ثم أخذ الانسان بعد ذلك فى الترقى فى نحت الاحجار، فأصبحت الآلات الحجرية متقنة اتقانا عجيبا ، ويعرف عصر استعمالها « بالعصر الحجرى الجديد »

٣ - عصر البرونز

وتعلم بعد ذلك استعمال المعادن فاتخذ الآلات من النحاس كما وجده فى الارض ، ثم تبين له أنه اذا خلط النحاس بالقصدير حصل على معدن أشد من النحاس صلابة وهو البرونز .



شكل (١) : بعض الآلات قبل التاريخ

٤ - عصر الحديد

ثم أمكنه بعد ذلك أن يستعمل الحديد ، وذلك فى العصر الرابع من العصور السابقة للتاريخ .

اختلاف الامم فى الترق

ويجب ألا نفهم من هذا التقسيم أن الامم كلها مرت فى تلك العصور الأربعة الواحد بعد الآخر، فبعضها بقى يستعمل الآلات من الحجر دهرا طويلا جدا ، وبعضها كان سريع الخطى ، عرف الكتابة وقت أن عرف المعادن ، و بعضها انتقل من استعمال الحجر الى استعمال الحديد دفعة واحدة

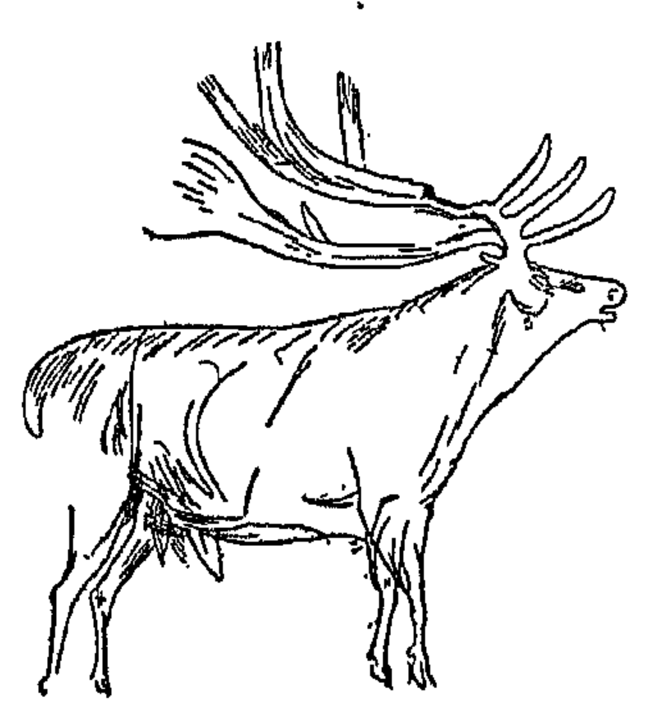
الحياة فى العصر الحجرى القديم

كان الانسان في العصر الحجرى القديم بائسا شقيا ، يأوى الى الكهوف . ولا يعرف الزراعة ، و لا كيف ينتفع من الحيوان بتذليله ، و لا يستقر فى مكان واحد بل يلتمس رزقه بالصيد وجمع الثمار

فكان أبدا يترقب الفرص للايقاع بالوحوش أو يتخذ لنفسه ما يقيه شرها وكان الحرب سجالا بين الانسان وأخيه يتنازعان الصيد والمأوى وعلى الجملة كانت حياة الانسان مملوءة هلعا ، يرتجف فرقا اذا برقت السماء أو رعدت ، أو جن الليل

بدء الفنون

ولكنه كان إذا شبع وارتوى وهدأت هواجسه يميل الى صنع أشياء يزين بها نفسه أو مأواه ، كأن ينظم من أسنان الحيوان عقودا أو يرسم على عظامها أشياء مما يقع عليها نظره . وهكذا بدأت الفنون لما وجد الانسان من وقته متسعا لتدبر الخليقة ومحاولة محاكاتها



شكل (٢) : مثال من فن الرسم قبل التاريخ

ايقاد النار

وأهم من ذلك كله توصله إلى معرفته كيف يوقد النار ، إذ أنه أزال بذلك بعض شظف عيشه ، فدفىء ، وصلح طعامه ، وزالت عنه وحشة الظلام

الحياة فى العصر الحجرى الجديد

آثاره الضخمة

ثم تدرج في الترقى فأصبح يتقن صنع الآلات ، وتعلم الزراعة ، وسخر الحيوان ، ونسج المنسوجات ، وصنع الآنية من الفخار. والظاهر أن أهل ذلك العصر كانت لهم عبادات ، فقد خلفوا أحجارا ضخمة مرصوصة ربما كانت لازمة لتعبدهم أو لدفنهم



شكل (٣) : آثار دينية للعصور السابقة للتاريخ

بدء الجماعات السياسية والقوانين

وقد أدى تعلمهم الزراعة الى استقرارهم فى الأرض . ونتج من هذا انتظامهم فى قبائل تخضع لقواعد ونظم . ولا بد أن ذلك قد خفف من عسف الأقوياء

استعمال البرونز

اتخذ الناس فى آخر العصر الحجرى الجديد الآلات من النحاس، ويقال إن أول ما كان من ذلك كله فى مصر أو فى جزيرة قبرص، فاسم هـذه الجزيرة باللغة الاغريقية القديمة معناه النحاس. ثم أخذوا يضيفون إلى النحاس القصدير ويحصلون بذلك على البرونز وهو يفضل النحاس، ويرجع عهد استعماله في مصر وفي بابل إلى ما قبل الميلاد ثلاثة آلاف سنة، ومن مصر أو من بابل أو منهما معا انتشر العلم به إلى جزيرة كريد وغيرها.

استعمال الحديد

واستمر الناس دهرا طويلا لا يستعملون إلا البرونز، فقد صعب عليهم استعمال الحديد وذلك على الرغم من ثقل البرونز. فلم نعثر على ما يدل على أن المصريين عرفوه قبل الف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. وكانوا يسمونه « معدن السماء ». وربما كان سبب ذلك استخراجهم له من الشهب الساقطة من السماء.

معرفة الكتابة

أول ما بدأ الناس كانوا يعبرون عن الشىء برسم شكله، ثم صاروا يستعملون الرسم للافصاح عن معان: فاذا أرادوا أن يعبروا عن (الحرب) رسموا سهمين متضادين، أو (الاكل) رسموا رجلا يضع يده فى فمه. وتلا ذلك جعل الرسم يدل على (اسم) شىء، وللتوصل إلى ذلك استعملوا الجناس اللفظى للتعبير عن شيئين مختلفين برسم شكل واحد. مثال ذلك أن المصريين كانوا يسمون (الابن) اسما قريبا من اسم (الاوزة) فعبروا عن الابن برسم شكل الاوزة. ثم جاء بعد ذلك استعمال الرسم للتعبير لا عن كلمة بأكملها بل عن حرف واحد منها، وهذا أصل الحروف الهجائية.

بدء التاريخ

قيام الحضارة

وقد بدأ التاريخ عند ذلك، ولم يبدأ فى كل مكان في وقت واحد. فمبدؤه فى مصر أقدم كثيرا من مبدئه في أوروبا، إذ أن الحضارة قامت أولا فى أحواض أنهار عظيمة كثيرة الخصب عاش فيها الانسان عيشة راضية فتمدين وتفنن وقام بجلائل الأعمال، نعنى بذلك حوض النيل وأراضى الدجلة والفرات.

ثم انتشرت الحضارة فى جزر البحر الابيض المتوسط وأشباه جزره فسطع نورها لامعاً من كريد وبلاد الاغريق وإيطاليا

ثم انتقلت إلى غربى أوربا وشماليها وقامت الحضارة الأوربية الحديثة التى أخذت من مراكزها الأصلية في أوربا والجديدة في الامريكتين تحاول بسط سلطانها السياسى والعلمى والتجارى والصناعى على العالم كله

الاجناس الثلاثة التى قامت على أيديها الحضارة

وقد قامت هذه الحضارة على أيدى أجناس ثلاثة وهى : —

أولا : جنس البحر الابيض المتوسط أو الجنس الافريقى الابيض

ثانيا : الجنس الالبى نسبة لجبال الألب

ثالثا : الجنس الشمالى أو النوردى

ويسكن الأول الاراضى حول البحر الأبيض المتوسط والثانى الأراضى الجبلية الممتدة من هضبات إيران وأرمينيا غربا إلى الألب وقد امتد هذا الجنس فى بعض الجهات جنوبا نحو البحر الابيض المتوسط، ويلاحظ ذلك على وجه خاص في سوريا وفى الشاطئ الشرقى للبحر الادرياتيكى . أما الجنس الثالث فهو يسكن الأراضى حول بحر بلطيق

وجنس البحر الأبيض المتوسط أقسام يختلف بعضها عن بعض فالعرب مثلا قسم من أقسامه والليبيون قسم ثان وهكذا

الساميون والآريون

هذه الالفاظ لا تدل على أجناس بل على لغات أى أن هناك لغات سامية لها مميزات خاصة كالعبرية والعربية ولغات آرية لها مميزات كاللغات الاوربية

الباب الأول

الشرق القديم

مواطن الحضارة الأولى

الفصل الأول

الشرق القديم ومصادر تاريخه

اقسام الشرق القديم

يطلق اسم الشرق القديم على الاراضى الممتدة من هضبة إيران شرقا إلى صحراء ليبيا غربا وقد قامت في أجزائه المختلفة دول قوية تعلمت الحضارة بعضها من بعض وتنازعت السلطان وأهم هذه الأجزاء: —

«أولا» حوض النيل «ثانياً» وادى الفرات والدجلة

«ثالثاً» سوريا «رابعاً» شبه جزيرة العرب

«خامسا» آسيا الصغرى وأرمينيا «سادساً» هضبة إيران

مصادر تاريخ الشرق القديم

ومصادر تاريخ الشرق القديم ثلاثة:

«أولها» ما كتبه الاقدمون عن أنفسهم

«ثانيها» ما تركوه من آثار مختلفة

«ثالثها» ما كتبه مؤرخون قدماء ولكنهم جاءوا بعد الازمنة التي وصفوها

التقدم الحديث فى دراسة تاريخ الشرق

وقد زاد علمنا أثناء القرن التاسع عشر بتاريخ الشرق القديم زيادة كبيرة جدا فقد كشفوا فيه عن مدنية باهرة موطنها جزيرة كريد وتعاصر الحضارة المصرية القديمة ولم يكن الناس قبل القرن التاسع عشر يعرفون عنها شيئا. وكشفوا فيه أيضا عن أمة عظيمة الشأن موطنها آسيا الصغرى

اشتبكت مع فراعنة مصر فى حروب طويلة و نازعتهم سلطانهم فى سوريا وفلسطين هى امة الحيثيين . وكانوا يعتقدون أنهم عرفوا كل شئ عن مصر القديمة . ولكنهم وجدوا انهم كانوا فى ذلك واهمين ، وأخذوا يعيدون النظر في معلوماتهم عن العصور الاولى السابقة للتاريخ

المؤرخون الاقدمون

و لمؤرخى الوقت الحاضر ميزة كبرى على المؤرخين الاقدمين إذ أن هؤلاء كانوا لا يعرفون اللغات القديمة . فكانت كل كتابة تركها المصريون والبابليون والحيثيون طلسما ، أما المؤرخون الحديثون فيمكنهم قراءة ما كتبته تلك الامم القديمة عن نفسها ، ولذلك لم يكن هناك قيمة علمية كبيرة لمؤلفات أولئك المؤرخين القدماء . وكل ما فيها من فائدة وصفها للامم الشرقية في أيامهم

وهؤلاء المؤرخون الاقدمون إما « وطنيون » كتبوا عن بلادهم أو « أجانب » كتبوا عن بلاد غير بلادهم .

هيرودوت

و من أشهر أولئك « الاجانب » هيرودوت الاغريقى : عاش هذا الرجل في القرن الخامس قبل الميلاد ، وجال في بلاد الشرق قبل أن يكتب عنها . وأهم ما فى كتابه وصفه لظهور أمم الشرق وللكفاح الشديد بين الفرس والاغريق . وكان هيرودوت يدون كل ما يسمع ، فجاء تاريخه جامعاً للغث والسمين ؛ وإن كان ممتعاً لطيفا . والجزء الخاص بمصر من تاريخه ليس كله على حال واحدة من الاجادة و الصدق

ديودور

وكتب على أمم الشرق أيضا ديودور الصقلى ، وقد عاش فى القرن الاول بعد الميلاد . و وصفه مصر لا بأس به اذا اعتبر صورة لها فى وقته

مانيثون

أما المؤرخون « الوطنيون » فأهمهم جميعا مانيثون ؛ وهو كاهن مصري عاش فى مدينة سمنود ، قام بأمر بطليموس فيلادلفوس ملك مصر بجمع كل ما أمكنه من المعلومات عن ملوك مصر القدماء . وقد كتب مانيثون باللغة الاغريقية ولكن لم يصلنا ما كتبه إلا عن نسخ النساخين و الظاهر ان مانيثون كان دقيقا فى تحريه الحقيقة . لذلك بقى تاريخه

مصدرا مهما من مصادر التاريخ المصرى حتى أمكن العلماء قراءة اللغة المصرية القديمة ؛ وللآن لا يزالون يتبعونه فى تقسيمه ملوك مصر الى طبقات أو أسرات . وقد أيدته الآثار أيضا في كثير من المواضع وعلى الاخص في كلامه على الأسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة . وأضعف مافيه ماجاء خاصا بالفترة بين الاسرتين الثانية عشرة والثامنة عشرة ، وعذره انها كانت عهد اضطراب شديد

فك رموز اللغات القديمة

بيّنا أن من مصادر التاريخ ما كتبته الامم القديمة عن احوالها. وبديهى أن ذلك المصدر بقى مهملا إلى أن تمكن العلماء من فك رموز اللغات القديمة ؛

قراءة اللغة المصرية القديمة

وصفنا (١) كيف عرف الناس الكتابة ، وكيف توصلوا للتعبير بالرسم عن الحروف الهجائية . وقد وصل المصريون القدماء لذلك ؛ ولكنهم لم ينفكوا عن التعبير عن الشيء برسم شكله ؛ فجاءت كتابتهم خليطا وتعرف بالهيروغليفية ، ثم اختزلوها بعض الشيء وأوجدوا كتابة استعملها الكهنة والتجار وتعرف بالهيراطيقية . وفي القرن السابع قبل الميلاد كتبوا كتابة دارجة تعرف بالديموطيقية . وفى عهد البطالسة انتشر استعمال اللغة الاغريقية وكتب المصريون إذ ذاك لغتهم بحروف إغريقية . وهذه هى اللغة القبطية ، وفقدوا شيئا فشيئا فهم الرموز القديمة وذلك قبل حلول القرن الخامس قبل الميلاد

حجر رشيد

بقيت الحالة كذلك إلى أن عثر ضابط فرنسي أثناء احتلال الفرنسيين مصر في آخر القرن الثامن عشر على حجر بالقرب من رشيد عليه كتابات هيروغليفية وديموطيقية وإغريقية . وقد استولى البريطانيون على هذا الحجر فيما استولوا عليه عند اجلائهم الفرنسيين عن مصر. وأودعوه متحفهم العظيم بلندن . وبعد ذلك ترجمت الكتابة الاغريقية ووجدت عبارة عن تحدث من الكهنة المصريين بفضل بطليموس الخامس عليهم . ثم نجح توماس ينج الانجليزى في معرفة عدة حروف هيروغليفية .

---

(١) راجع صحيفة ٤

وكانت وسيلته فى ذلك مقارنة الاعلام فى الثلاث الكتابات إذ الاعلام لا تترجم . إلا أن الفضل الاكبر فى قراءة اللغة المصرية يعود إلى شامبليون الفرنسى .

شامبليون

وأمكن العلماء بعد ذلك قراءة النقوش المصرية ، وقد وجدوا أن المصريين القدماء لم يكتبوا تاريخا كما نفهم الآن ، وانهم لم يحفلوا كثيرا بالدقة في تدوين الحوادث وضبط الايام ، وأن « التاريخ » عندهم لا يتعدى « كشوفا » بأسماء ملوكهم . ومن أقدم تلك الكشوف ما هو مسطر على حجر مودع بمتحف بلرم بجزيرة صقلية ، وهذا الحجر يشمل أسماء الملوك الى الاسرة الخامسة . ونجد كشوفا من هذا النوع أيضا مسطرة على جدران معابد وقبور الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . وهناك أيضا كشف مهم عن عدد سنى حكم الملوك على قرطاس من البردى محفوظة الآن فى متحف تورين .

حجر بلرم

قرطاس تورين

فك رموز اللغة البابلية

تعرف كتابة أهل بابل بالخط المسمارى ، وذلك لانهم كانوا يكتبون بآلة شبيهة بالمسمار على الفخار قبل أن يجف . وما زالت كتابتهم مجهولة إلى أن وجد رولنسون الانجليزى سنة ١٨٣٧ كتابة بابلية وفارسية منقوشة على صخرة فى الطريق بين بابل وفارس ، وفيها يعدد الملك دارا الفارسى انتصاراته ، وتوصل بقرن الكتابتين إلى فك رموز البابلية .

وكان البابليون أدق من المصريين حسابا فقد خلفوا كشوفا أيدت صدقها الآثار عن ملوكهم من القرن العشرين إلى السادس قبل الميلاد

حساب السنين

لم يكن للمصريين ولا للبابليين سنة واحدة يبدءون منها حساب تاريخهم فاذا أرادوا تعيين سنة ما قالوا إنها هى التى حدث فيها هذا الحادث أو ذاك أو هى السنة الاولى أو الثانية مثلا لهذا الملك أو ذاك وهكذا ، أى لم يبدءوا تاريخهم من حادثة واحدة مهمة كميلاد المسيح أو هجرة النبى مثلا كما نفعل الآن . وعلى ذلك نرى بين المؤرخين الآن اختلافا كبيرا جدا في حساب السنين : فمنهم من جعل الاسرة الاولى يبتدئ حكمها سنة ٥٨٦٩ قبل الميلاد ، ومنهم من جعلها تبتدئ سنة ٣٢١٥ وهذا فرق كبير . ولا يتفق المؤرخون إلا عند الوصول إلى القرن السابع قبل الميلاد

الفصل الثانى

مصر

وصفها وبدء قيام الحضارة فيها

وصف مصر

مصر كما قال هيرودوت « هدية من النيل » . والنيل بين جنادل اسوان والبحر الابيض المتوسط ينقسم إلى جزءين يمتاز أحدهما عن الآخر تماما . يجرى الجزء الاول منه فى صدع في الهضبة الافريقية والثانى فى سهل من الطين من صنعه فانقسمت مصر بذلك قسمين مختلفين : مصر العليا ومصر السفلى ، الصعيد والدلتا .

الدلتا

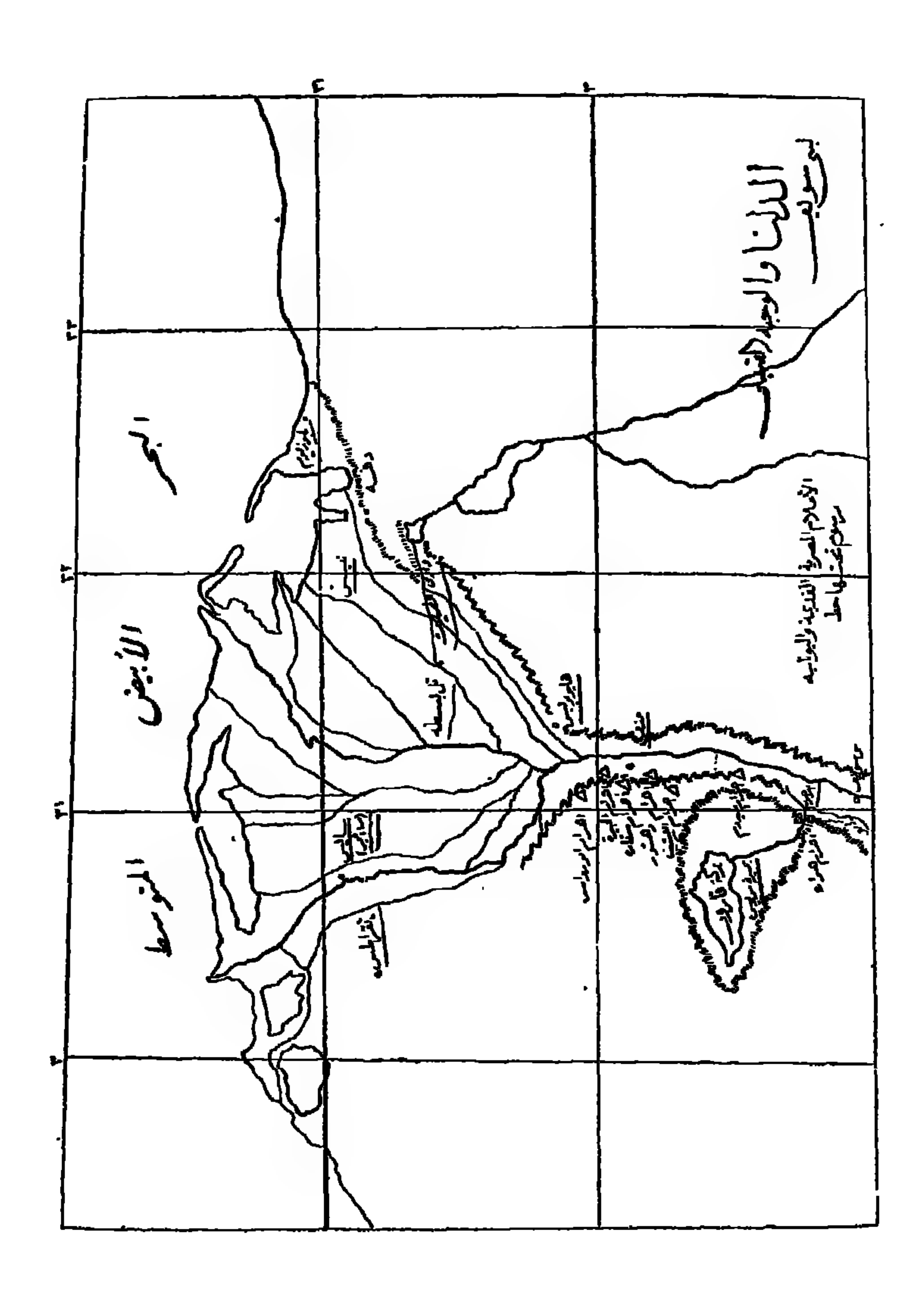
أما مصر السفلى فدلتا تكونت في البحر الملح فى آلاف من السنين، وقبل أن تتولاها يد الانسان بالصرف والزرع كانت حمأة مستوحلة يكثر في مستنقعاتها السمك والطيور المائية .

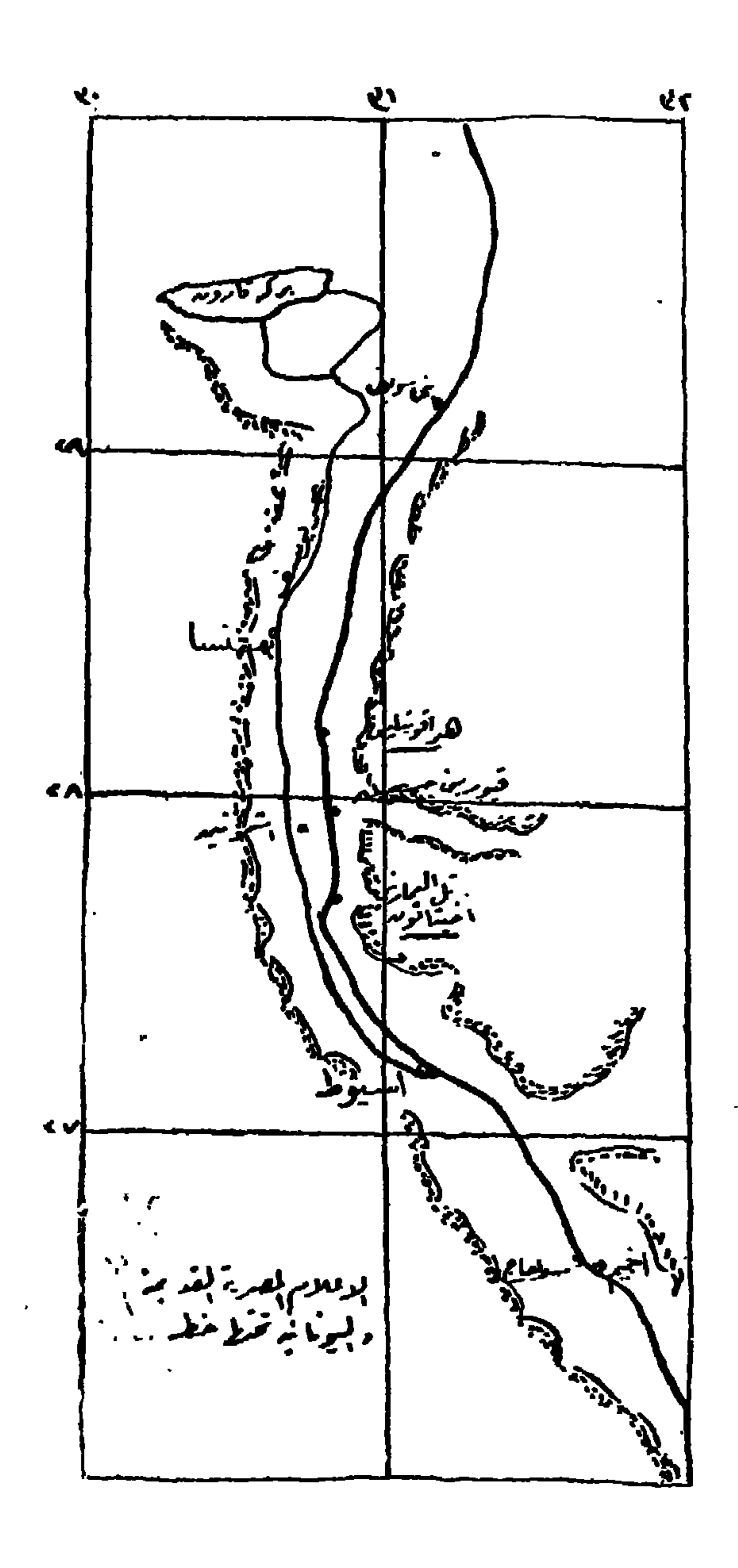
وغربى الدلتا تمتد الصحراء الأفريقية وبها بالقرب من مصر سلسلة من الواحات . ويسمى هذا الغرب « ليبيا »، ومنها غزا مصر في مختلف العصور أقوام شتى أخرجتهم من مواطنهم السنون المجدبة

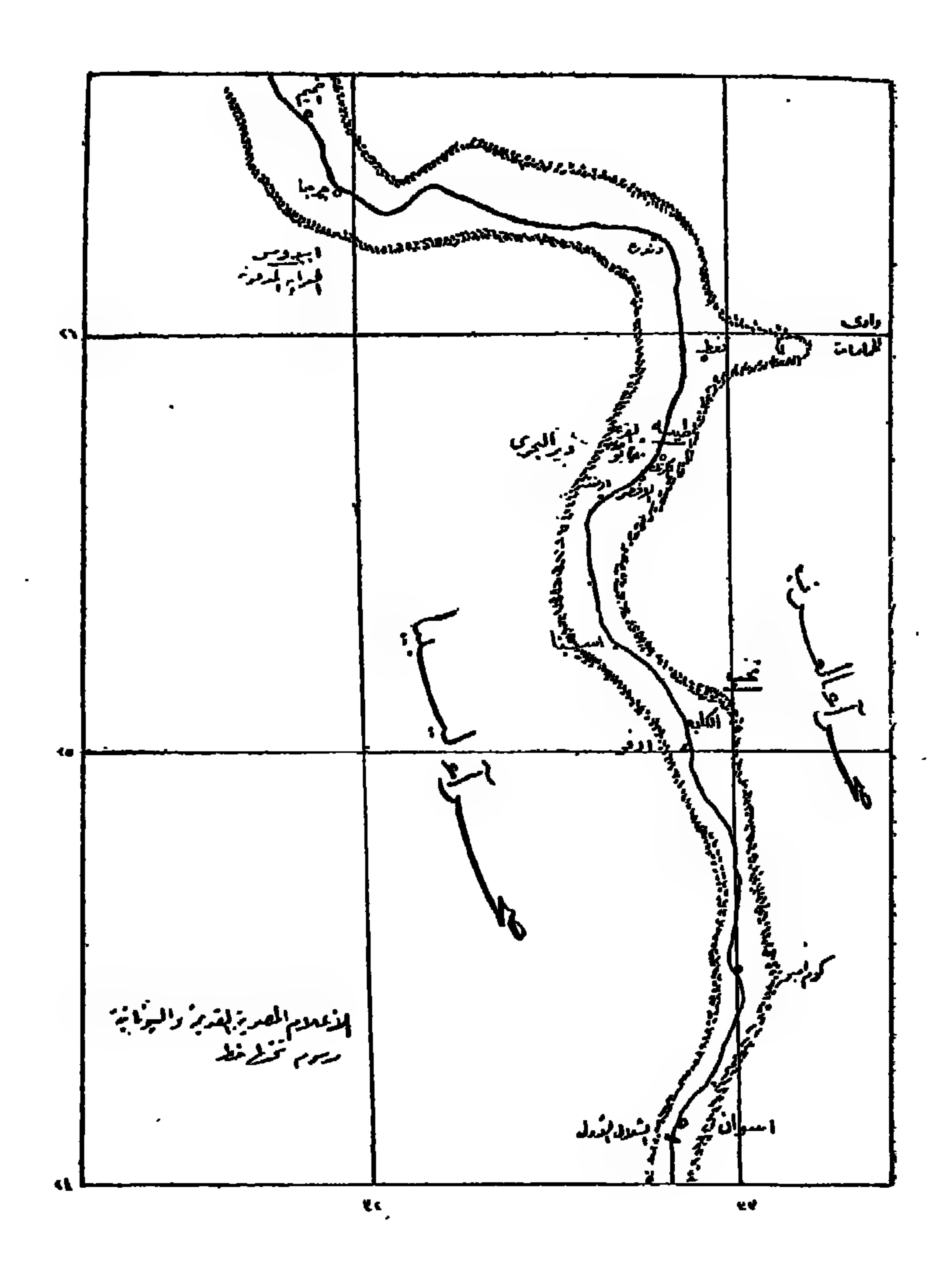
وشرقى الدلتا صحراء جرداء ولكنها لم تمنع عن مصر اغارات المغيرين ففيها مسالك ودروب توصل لآسيا

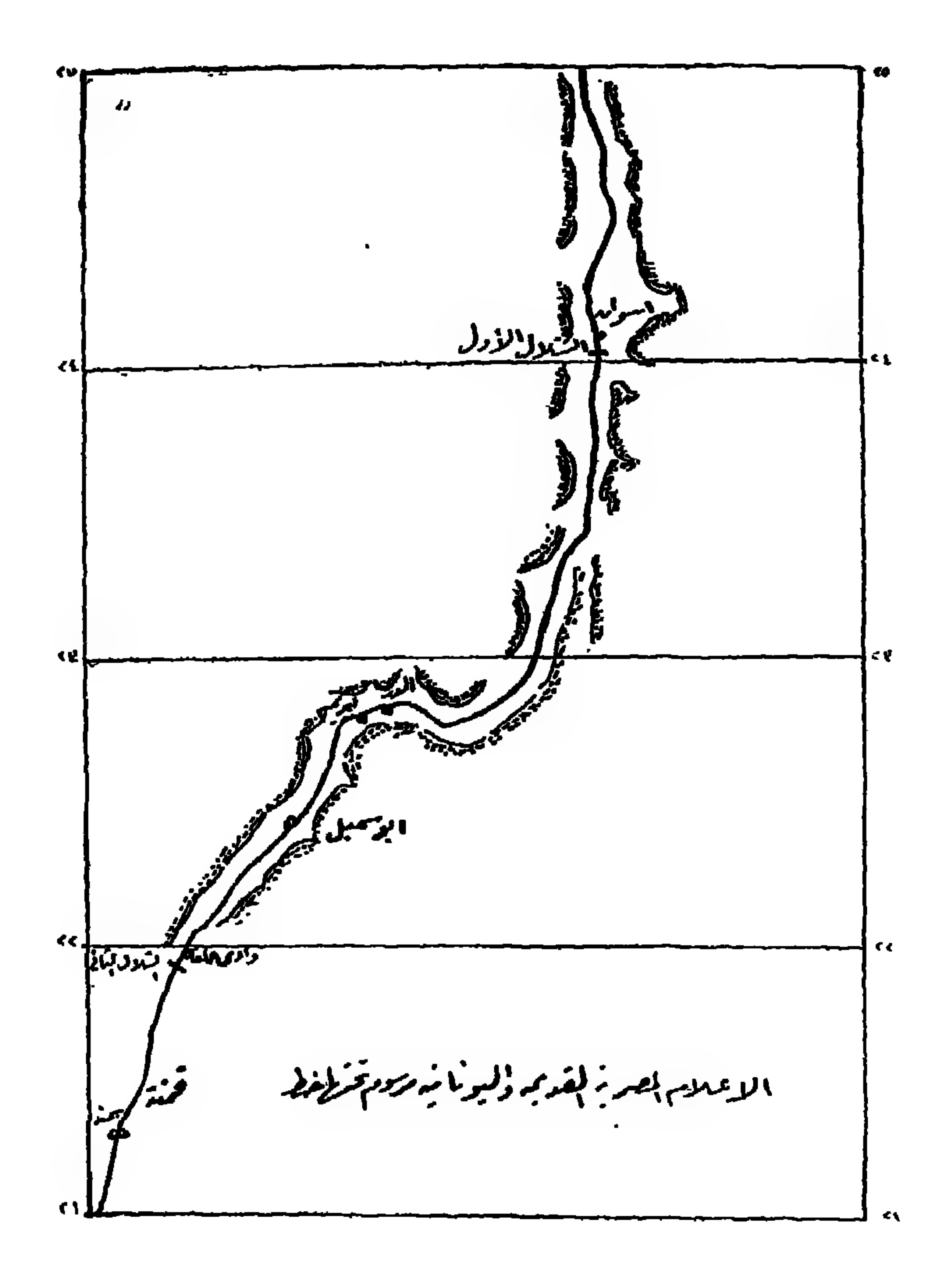
الصعيد

ويحف بالصعيد من الجانبين حافتا الهضبة . ويختلف عرضه بينهما . وجنوبى طيبة يضيق الى ميلين . وعند اسوان وحلفا تعترض النهر أحجار شديدة الصلابة هى الجنادل


البحر
الأبيض
المتوسط
الدلتا والوجه القبلي
لبني سويف
الأعلام المصرية القديمة واليونانية
مرسوم تحتها خط
تل بسطه
بركة قارون
٣٠
٣١
٣٢
٣٣


٣٠
٣١
٣٢
بركة قارون
بني سويف
البهنسا
هرموبوليس
٢٨
اسيوط
٢٧
الأعلام المصرية القديمة
واليونانية تحت خط


جرجا
وادي
الحمامات
كوم امبو
اسوان
الأعلام المصرية القديمة واليونانية
مرسوم تحتها خط
٢٦
٢٥
٢٤
٣٢
٣٣


أسوان
الشلال الأول
أبو سمبل
وادى حلفا
الشلال الثانى
قمنة
الاعلام المصرية القديمة واليونانية مرسوم تحتها خط

وليس الصعيد بمعزل عن الأرض شرقيه وغربيه فكلتا الحافتين تشقها فى عرضتها وديان عدة ، ومن أشهرها وادى الحمامات ويمتد الى البحر الأحمر من النيل عند قفط ، ويلاحظ اقتراب النيل هناك من البحر الأحمر . ويمتد فى المنطقة نفسها مسلك آخر نحو الواحة الخارجة . وبذلك كانت هذه المنطقة ذات شأن خاص فى تاريخ مصر القديمة

هكذا مصر كل ما فيها متوقف على فيضان النيل يترقب أهلها ارتفاعه كل عام منذ آلاف السنين ويتساءلون فيما بينهم عن ارتفاعه ، ولكن الجواب عن ذلك ليس فى استطاعتهم ، فالنيل يجري من بلاد بعيدة لم يعرفوا عنها شيئاً ، وكل ما يمكنهم عمله هو العناية بحبس الماء والقسط فى توزيعه ومنع الاسراف فيه

سكان مصر قبل التاريخ

سكن مصر قبل التاريخ أقوام بدأنا نعرف الكثير عنهم من الصور المرسومة على الخزف التى وجدت في مقابرهم . والظاهر أنهم كانوا صيادين يقتاتون مما تناله رماحهم وتصنيبه سهامهم . ولم يظهر في تلك الصور أنهم زاولوا الزراعة أو توجهت اليها أفكارهم . وكان لهم فى النيل قوارب تسير إما بالمجاذيف وإما بالقلاع . أما مساكنهم فكانت أكواخا أقاموها على الارض المرتفعة التى لايعلوها الماء . وقد وجدوا لهم أعلاما اتخذوها على قواربهم وقالوا انهم كانوا قبائل لكل منها علمها وموطنها الخاص بها ، وسموه باسم معبودهم ، وان أقسام مصر القديمة أصلها تلك المواطن .

ولا بد من أن سكنى هذه القبائل فى واد طويل كوادى النيل أدت الى ارتباطها بعضها ببعض ارتباطاً تجارياً ، ولا بد أيضاً من ان الارتباط التجارى سهل تبادل الأفكار وتعلم الناس بعضهم من بعض . والثابت أيضا أنهم اتصلوا بالبلاد خارج مجرى النيل

ومعنى ذلك أن مصر توافرت فيها كل مسببات الحضارة

اصل الحضارة المصرية

والحضارة المصرية أصلها حينئذ في وادي النيل نفسه

ولكن من المؤرخين من يزعم أن أهم عناصر تلك الحضارة جلبه من الخارج أقوام أغاروا عليها . و يدعى أنهم أسيويون لغتهم سامية دخلوا مصر من شرقى الدلتا أو من طريق وادى الحمامات الى النيل . و يستدلون على ذلك بدخول تراكيب سامية فى اللغة المصرية : و بتغييرات شتى طرأت دفعة واحدة على عبادات المصريين وطرق دفنهم موتاهم

ينكر ذلك القول مؤرخون آخرون : فيقولون بأنهم يجدون كل عناصر الحضارة المصرية المعروفة قبل التاريخ في العصر الذى وصفنا حالة أهله . و يرون أن دراسة أجناس سكان الوادى قبل التاريخ فيها تفسير لقيام الحضارة التاريخية .

ولقد قسموا تلك الاجناس كما يأتى : —

أولا — سكان الصعيد وهم جنس أقنى الأنف ناعم الشعر يشبه القبائل التى تسكن الآن بلاد الصومال شبها تاما

ثانيا — سكان الدلتا وهم ليبيون يشبهون الاسيويين الساكنين شرقى الدلتا ولغتهم سامية والظاهر أن هؤلاء الليبيين تغلبوا على سكان الدلتا الأصليين وهم من الجنس الأفريقى الأبيض أو جنس البحر الأبيض المتوسط ودفعوهم نحو الصعيد . وقد أثروا في لغتهم ودينهم وصبغوهما بصبغة أسيوية ونشروا صناعة المعادن ، ثم حدث بعد ذلك تغلب أهل الصعيد على الدلتا وتأسيسهم مملكة واحدة نشطت فيها الحضارة

وعلى ذلك لم تنشط الحضارة تبعا لاغارة أجنبية

ولا ينافى ذلك أبدا أن سكان الصعيد أصلهم من الصومال أو من شبه جزيرة العرب . وقد كان المصريون القدماء يعتقدون ذلك . ولهم فى ذلك قصة كبيرة منقوشة على جدران معبد إدفو الذى بنى في عصر البطالسة . وملخص تلك القصة أن المعبود حوريس الذى كان أبوه يحكم فى بلاد النوبة ركب سفينة وتبعه كثير من الجند منحدرا فى النيل وكان وقتئذ يشغله المعبود ست واتباعه ، وتقابل المعبودان واتباعهما إلى أن

تم النصر لحوريس . ويرى المؤرخون أن تلك القصة بمجموع وقائع تاريخية حقيقية تناقلها المصريون إلى زمن البطالسة حين دونوها ، وأنها تشير الى شيئين متميزين لم يحدثا فى وقت واحد وهما :

أولا — قدوم أجداد أهل الصعيد من الجنوب الشرقى

ثانيا — إنشاؤهم حكما قويا في جنوب الصعيد (فى منطقة أدفو والكاب التى تبينت (١) قيمتها الجغرافية) وتغلبهم بعد ذلك على سكان الدلتا بعد أن تعلموا من أهله صناعة المعادن الاسيوية الاصل



(١) راجع صحيفة ١٩

الفصل الثالث

اتحاد الصعيد والدلتا

نتائج تغلب الصعيد

لما تغلب الصعيد واتحد وادى النيل كله تحت حكم ملك واحد حلت بمصر نهضة كبيرة، وللملوكها الأول فضل كبير فقد وحدوا مصر ووضعوا الاساس الذى قامت عليه حضارة عصر بناة الاهرام العظيمة

مينا

ويصعب علينا أن نصدق أن ذلك العمل كله قام به ملك واحد، والمعقول أن يكون ذلك ثمرة جهاد ملوك كثيرين. فعلى ذلك لم يكن «مينا» هو الذى قام وحده بتوحيد مصر ووضع أساس عظمتها.

الاعمال المنسوبة اليه

قال المؤرخ هيرودوت: إنه لما تم أمر اتحاد المملكة لمينا أراد هذا الملك الطيني (أى من طينة - إحدي بلاد الصعيد) أن يتخذ له عاصمة تكون مركزا لاحكامه فاستحسن الموضع الذى به الآن ميت رهينة فحاطه بجسر. وكان النيل يجرى بجانب هضبة ليبيا فحوله فى مجرى مهده بين الجبلين، ثم حاط الارض التى تخلفت من ذلك بالجسور وخط فيها مدينة منف، ثم احتفر حولها في الجهة البحرية والغربية بحيرة يأتيها الماء من النيل الذى يحد المدينة من الجهة الشرقية فصارت محصنة يحيط بها الماء من ثلاث جهات.

والظاهر لأحدث المؤرخين أن نسبة كل ذلك لمينا أمر غير مقبول

ملوك مصر المتحدة الاول

بل إن بعضهم يعتقد أن ملكا آخر من ملوك مصر المتحدة الأول أولى منه بالشهرة. ذلك الملك هو «نارمر» الذى أتم تغلب الصعيد على الوجه البحري واتخذ عاصمته موضع كفر طرخان التى تبعد عن القاهرة بخمس وعشرين ميلا

ومهما كان من أمر ذلك فهؤلاء الملوك الأول أصلهم من طينة بالقرب من جرجا وكانوا يدفنون في الموضع المعروف الآن بالعرابة المدفونة

الاسرتان الثانية والثالثة

وقد تمم ملوك هاتين الاسرتين الوحدة الوطنية ، ومهدوا بعماراتهم لرقى مصر أيام بناة الاهرام في البناء وصنع التماثيل والرسم ودقيق الصناعات واتقان الكتابة والاستعانة بها في تزيين المعابد والقبور .

الملك زوسر

ومن أشهرهم الملك « زوسر » ويدل على رقى الحضارة في عهده اتخاذه قبراً من الحجر وهو المعروف بالهرم المدرج فى سقارة . وهذا الهرم يشتمل على ست درجات بعضها فوق بعض تنتهى بالشكل الهرمى بحيث تنقص كل درجة عن تاليتها مترين تقريبا ، وهو مبنى بصخور صغيرة وبداخله طرق يضل فيها الانسان إن لم يكن له مرشد . وبنى لنفسه أيضاً قبراً آخر من الطراز المعروف باسم « مصطبة » فى بيت خلاف وربما عمل ذلك ارضاء لأهل الجنوب

الملك سنفرو

والملك سنفرو أيضاً من الملوك الأول ذوي الشأن . حارب قبائل البدو الرحالة فى سيناء ، وقد طمحت اليها أطماع الفراعنة الأول لما فيها من المعادن . وله هرمان أحدهما في دهشور والثانى فى ميدوم

الفصل الرابع

الدولة القديمة والدولة الوسطى

٣٢٠٠ — ١٨٠٠ ق . م .

عصر بناة الاهرام

ختم الملك سنفرو العهد الأول من تاريخ مصر الذى تم فيه توحيد قسميها فى مملكة واحدة . وقد بدأ أيضاً عهداً آخر هو عهد بناة الاهرام فكان حكمه صلة بين عهدين . وكانت مدافن الملوك حتى أيام هذا الملك بسقارة ولكنه وملوك الاسرةالرابعة الذين تلوه تركوها فبنى سنفرو هرميه جنوبيها فى دهشور وميدوم وبنى خوفو وخفرع ومنقرع أهرامهم شماليها

الهرم

والهرم بناء من الحجر داخله مخدع فيه تابوت الملك وبالقرب منه معبد ملحق به تقام فيه الصلوات على روح الملك وتخزن فيه الاشياء المختلفة التى كانوا يعتقدون أنها تلزم الروح فى العالم الآخر . وبالقرب منه أيضاً قبور الامراء وغيرهم من تابعى الملك .

وأجمل الاهرام كلها الهرم الذي بناه خوفو ، ومن تأمل فى الاهرام الموجودة يجد فيها تدرجا يمكننا تتبع خطواته.

المصطبة

أول تلك الخطوات القبور المعروف الواحد منها باسم المصطبة ،



شكل (٤) : مصطبة زوسر ببيت خلاف

والمصطبة بناء مستطيل الشكل من الحجر أو اللبن تميل جوانبه الأربعة نحو مركز واحد و فى الجانب الشرقى منه فتحة توصل الى مخدع به الميت

الهرم المدرج

كانت الخطوة الثانية الهرم المدرج ؛ وهو عبارة عن مصاطب بعضها فوق بعض أكبرها المصطبة السفلى و تنقص عنها التى تتلوها و هكذا



شكل (٥) : الهرم المدرج بسقارة

و الخطوة الثالثة كانت كسوة الهرم فكان الناظر يظنه قطعة واحدة قد سبكت في قالب الدقة والاحكام .

ما يدل عليه بناء الاهرام

و بناء الاهرام يدل على قوة الملوك الذين بنوها و شدة بأسهم ؛ وعلى حسن نظام الحكومة فى أيامهم ، وإلا لما أمكنهم جمع الجم الغفير من العمال اللازمين للبناء ولقطع الاحجار من المحاجر فى البر الشرقى للنيل ونقلها إلى البر الغربى .

و تدل ايضاً على عظمة أولئك الملوك الذين استودعوا أجسامهم مدافن تنافس الدهر البقاء .

وليست عظمة البناء هى كل ما يستوقف النظر ، فقد استلزم صنع السراديب الخفية و المخادع الداخلية وحساب الزوايا و تنسيق الاجزاء و تناسبها ولحم الاحجار علما كبيرا بقواعد البناء وهندسة العمارة .

يدلنا كل ذلك على أن المصريين بلغوا فى ذلك ما بلغه المهندسون

الذين حفروا قناة السويس وشيدوا سد اسوان ، وعلى أنهم استكملوا كل عناصر الحضارة قبل ميلاد المسيح بأربعة آلاف سنة.

آثار ذلك العصر الاخرى

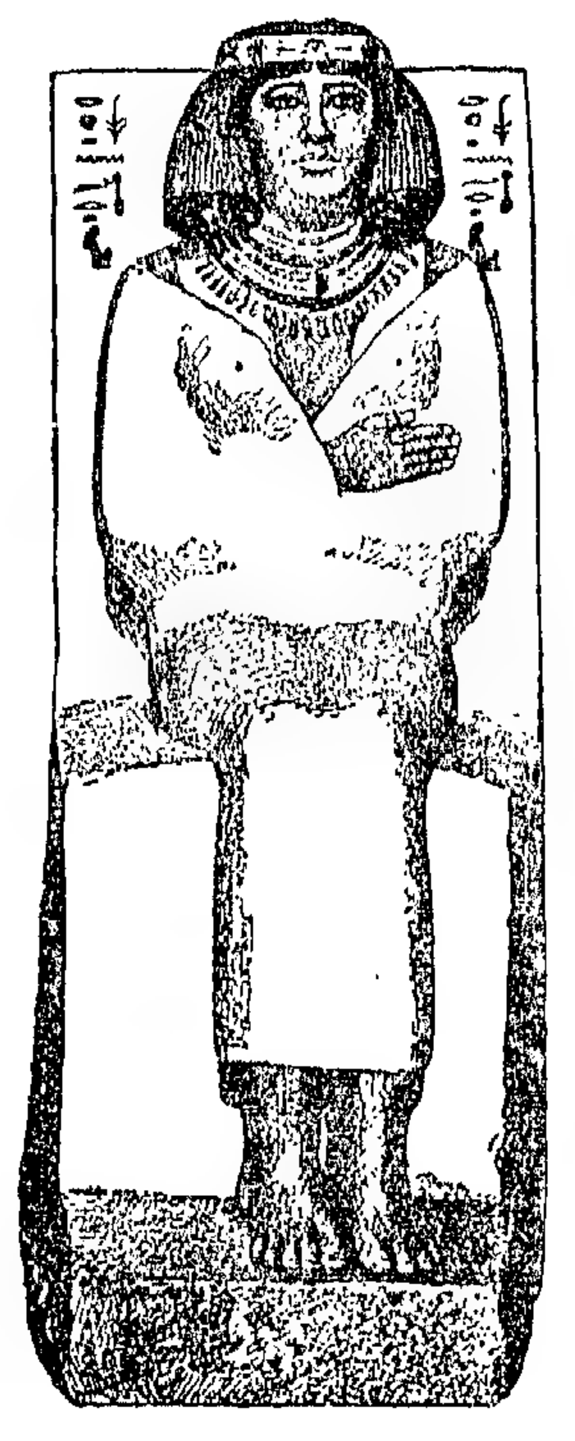
وليست الاهرام كل آثار ذلك العصر الزاهر ، فقد ترك أهله تماثيل بلغت فى محاكاة الحياة ودقة التعبير عن الوجدان مبلغا لا تجده إلا في



شكل (٦) : تمثال الكاتب القاعد القرفصاء بمتحف اللوفر

تماثيل الاغريق وقت نهضتهم . ومن أشهر تماثيلهم تمثال الكاتب القاعد القرفصاء الموجود الآن فى متحف اللوفر وتمثال « رع حتب » وتمثال الاميرة « نفرت » ومن تأمل فيه يجد صانعه قد أبدع فيه فعليها قميص لاصق بجسمها ترى منه هيئة اجزاء جسمها بغاية من اللطف والعصمة ، ولها شعور كثة مربوطة من فوق جبهتها بعصابة مزركشة

ووجهها ممتلئ وعيونها واسعة وفمها مبتسم . ويزيد فى الدلالة على علو كعب المصريين في صنع التماثيل أنها كلها من أحجار شديدة الصلابة كالمحبب مثلا



شكل (٨) : تمثال الأميرة نفرت



شكل (٧) : تمثال رع حتب

ولم تبلغ صناعة التماثيل بعد ما بلغته فى ذلك العصر ، فصار الصناع يخضعون لقواعد لا يحيدون عنها فى تركيب أعضاء الجسم مما جعل تماثيلهم بعيدة عن الحقيقة .

بناء الهرم الكبير

بنى خوفو الهرم الكبير كالطود العظيم ، وأسس باقامته دعائم شهرته ، وقد قال هيرودوت اليونانى « إنه سخر فى بنائه مائة الف عامل كانوا يبدلون بمثل عددهم كل ثلاثة أشهر وكان بعضهم ينحت الاحجار وبعضهم ينقلها إلى النيل وبعضهم يتسلمها و ينقلها إلى البر الغربى ، وأنهم عملوا أولا فى عشر سنين طريقا لنقل الاحجار بين النيل وموضع الهرم

وإنهم صرفوا فى البناء نفسه عشرين سنة » وادعى هيرودوت أيضا أن خوفو أغلق المعابد ومنع العبادة ثم أنه ندم في آخر أيامه على عسفه وضلاله فاستقام فى أحواله وصار تقيا صالحا . وزعم هذا المؤرخ أن الناس جميعاً أبغضوا هذا الملك وخلفه الذى بنى الهرم الثانى فأنفوا من التلفظ باسميهما وتغالوا فى كرههما فأخرجوا جثتيهما من مرقدهما وقطعوهما إربا إربا ثم دفنوهما في مخابئ لم يتيسر لأحد العثور عليهما. هذه هى المزاعم الاغريقية يرددها الناس حتى الآن فلابد من تمحيصها.

وصف الهرم الكبير

يبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدته نحو ٢٣٣ مترا أى إن مسطحها يزيد على ١٢ فدانا ، أما ارتفاعه فكان وقت تشييده ١٤٥ مترا ثم تناقص بتهدم قمته حتى صار ١٣٧ مترا

وفى الجهة البحرية منه زلاقة خفية تسد بحجر يدور على محور فاذا فتحه الانسان وجد هذه الزلاقة أمامه وطولها ٩٧ مترا واذا سار فيها وجدها تمر أولا بحجرة ناقصة البناء ثم تنتهى بسرب أفقى وتصعد من الزلاقة على بعد تسعة عشر مترا من المدخل زلاقة صاعدة توصل الى مخدع الملك وهى حجرة عظيمة جميع أحجارها من الصوان المصقول وفيها منفذان للهواء يخترقان الهرم الى الخارج وبها تابوت كان الملك مدفونا فيه ويخرج من الزلاقة الصاعدة سرب أفقى موصل الى حجرة تعرف الآن بغرفة الملكة وعند بدء ذلك السرب فوهة بئر يبلغ عمقها ٦٣ مترا وفوق مخدع الملك خمس حجرات بعضها فوق بعض القصدمنها تخفيف ثقل البناء

وصف هرم خفرع

بنى الملك خفرع الذى حكم بعد خوفو هرما شاهقا بالقرب من الهرم الكبير إلا أنه أصغر منه وكان مكسواً أول الامر بالحجرالجيرى وقد ذهبت عنه الكسوة ولم يبق منها إلا القليل عند القمة

وصف هرم منقرع

وهرمه أصغر الثلاثة وكانت كسوته مصقولة صقلا جيدا وزعم مؤرخو الاغريق ان منقرع كان أعدل حكما وارأف بالرعية من سلفيه فلهج الناس بمدحه

هل فى بناء الاهرام عسف

والواقع أن هؤلاء المؤرخين بالغوا كثيرا في وصف عسف خوفو حفرع فالثابت أنهم لم يسخروا الناس فى العمل إلا وقت الفيضان وكان إذ ذاك وقتا يغمر فيه النيل الأرض وتتعطل الحياة الزراعية الى أن ينحسر الماء . وأن التسخير مدة ثلاثة شهور فقط لم تكن فيه مشقة كبيرة . هذا الى أن التسخير كان في عمل فى عظيم اكسب الشعب دراية فنية عظيمة ومهارة فائقة في اتقان الصنع

ولم نسمع عن قدماء المصريين ما يدل على قسوة كما سمعنا عن غيرهم من أمم الشرق القديم كالاشوريين

ولم يكن الملك المصرى من السلطة بحيث يفعل ما يريد فقد كان خاضعا لقواعد مرعية لا يحيد عنها ارضاء لحاجة في نفسه أو تشفيا من مسيء . ولا ينقص ذلك أن المصريين ألهوا ملوكهم ، فآلهة الوثنية لاتختلف فى فضائلها ونقائصها عن البشر

الاسرة الخامسة أصلها

ظهرت الاسرة الخامسة أثر الرابعة . وكانت بين المصريين القدماء قصة شائعة مؤداها أن الثلاثة الملوك الأول من هذه الاسرة من نسل معبود الشمس . وقد استنبط المؤرخون من تلك القصة أن مؤسس الأسرة الخامسة من نسل الكهنة . فيكون الكهنة بذلك قد أصبح لهم نفوذ سياسى فى آخر أيام الأسرة الرابعة ثم اغتصبوا العرش لأنفسهم

الحضارة ايام الاسرة الخامسة

وقد ساس ملوك هذه الأسرة البلاد سياسة لا بأس بها . وشادوا أهراما وأصلحوا المعابد ، إلا أن الاهرام التى بنوها أصغر كثيرا من أهرام الأسرة الرابعة ولكنها أجمل منها زينة . وتمتاز المعابد الملحقة باهرام الأسرة الخامسة بعمدها المصنوعة من الحجب وبالرسوم الجميلة على جدرانها (١)

الدين ايام الاسرة الخامسة

هرم اوناس

ابتدأ المصريون أيام الاسرةالخامسة يجمعون معتقدات دينية مختلفة معا فقد وجد الباحثون في حجرات هرم الملك أوناس بسقارة نقوشا

(١) يتجلى الاتقان الذى بلغه فن الرسم أيام هذه الاسرة فى الرسوم المنقوشة على جدران قبرى تى وبتاح حتب بسقارة

هيروغليفية على الجدران هى مجموع طلاسم وعزائم تحول المآكل والمشارب الى حقائق يتناولها الملك أوناس وتنوب عن الضحايا والقرابين المرتبة للهرم متى انقطعت ، وتحفظ الروح من الأخطار التى تهددها فى الدار الآخرة فتمنع عنها نهش الثعابين والأخطار السامة ، وتقيها شر الارواح الشريرة وهكذا ، وهذه النقوش المختلفة مبدأ مجموعة مدونة فى كتاب كبير يعرف بين المؤرخين باسم كتاب الموتى

كتاب الموتى

الادب أيام الاسرة الخامسة
نصائح بتاح حتب

وأجمل ما وصل الينا من الأدب المصرى القطع المعروفة بنصائح بتاح حتب وهى تنم عن فكر سديد : تحث على طلب العلم وعلى الرحمة بالمرؤوسين ، وعلى حب الزوجة واكرامها ، وعلى اداء الواجب وحسن المعاملة .

وقد جاء فيها : لا يحملنك علمك على التكبر ، واستقم مع الجاهل والعالم ، لأن الباب لم يغلق دون الفن ، ولا نال استاذ ما يدعيه من الكمال لنفسه . إذا كنت رئيسا تحكم فى أمور كثيرة فابحث عن أكمل شريعة لتكون غير ملوم . ما أعظم العدل الثابت الاركان الذي لم يكدر صفوه منذ عهد المعبود ازوريس . حدود العدل ثابتة »

الاسرة السادسة
ييى الاول

أشهر ملوك هـذه الأسرة الملك ييى الاول وقد طال حكمه نحو عشرين سنة وقد ظهرت آثار همته فى جميع الارجاء فغزا النوبة وهزم بدو طور سيناء

وزيره أونا

وقد ترك وزيره أونا وصفا طويلا لتلك الأعمال والغزوات والنعم التى أغدقها ييى عليه جزاء صادق خدمته

والظاهر فى وصف أونا أن القصد من تلك الغزوات كان الحصول على حاصلات بلاد النوبة وطور سيناء ومنع أهلها من الاعتداء على حدود الدولة المصرية .

ضعف الملكية
وبدء نظام الالتزام
او النظام الاقطاعى

وفى أيام هذه الاسرة بدأ الضعف يدب فى سلطة الملك ومما يدل على ذلك أن الامراء بعد أن كانوا يدفنون بالقرب من الملك صاروا يدفنون فى بلادهم وكانوا يقتتلون فيما بينهم فساد الاضطراب واختلت أحوال البلاد ، وانحط الفن المصري ، واغتصب الامراء وظائف الدولة . هذا هو بدء نظام الالتزام

وفي هذا النظام لا يقتصر صاحب الارض على زرعها وتأدية ماعليها بل يقوم بوظائف مهمة مثل ادارة الامور والقضاء بين الساكنين في إقطاعه أو دائرة التزامه

ظهور طيبة

فظهرت أسرات قوية في مدن مختلفة مثل أرمنت وأسيوط وطيبة وكل هذه الأسرات لها استقلال كبير عن الملوك الذين حكموا بعد الاسرة السادسة

وقد قويت شيئاً فشيئاً أسرة الامراء الحاكمين فى طيبة وبدأت منذ ذلك الحين عظمة تلك المدينة الخالدة الصيت . ولطيبة موقع جغرافي يفسر مكانتها التاريخية فهى فى وسط سهل خصب متسع وأمامها أرض وعرة فيها اخوار ووهدات قحلة تسهل حمايتها ويمكن منها سد الطريق فى وادى النيل ثم تمكن الامراء من اعتلاء العرش وتوحيد مصر تحت حكمهم وأسسوا الاسرة الحادية عشرة وهى بدء الدولة الوسطى

الاسرة الحادية عشرة
الدولة الوسطى
الاسرة الثانية عشرة
امنمحعت الاول

وأول ملوكها امنمحعت الاول وقد جد فى إزالة الفساد الذى أوجدته الحروب الداخلية فأخذ يستميل اليه بعض الأمراء بتوسيع إقطاعهم ويعاقب المشاغبين منهم بانتزاع أرضهم منهم ويتفقد البلاد مهتما بمصالح الفلاحين فأقام أحجارا للحدود ، وبيّن لكل انسان أرضه وأملاكه ووزع عليهم المياه بالعدل وأرسل الحملات فأدبت العدو على الحدود وخلص الفلاحين من غاراتهم ونهبهم فحق لا منمحعت أن يفخر فى قوله : « لا جائع تحت حكمى ولا ظمآن في أيامى »

الفيوم عاصمة المملكة

وقد اتخذ خلفاؤه الفيوم مقرا لحكمهم

امنمحعت الثالث

وأشهر هؤلاء الخلفاء امنمحعت الثالث وكان شديد الاهتمام بالزراعة والرى وخلف آثارا عظيمة أثارت الاعجاب وكثرت الروايات الخرافية بشأنها

رواية هيرودوت

فمن ذلك ما رواه هيرودوت من أن الملك موريس (وهذا الملك لا ذكرى له في النصوص المصرية) صنع فى الفيوم خزانا واسعا يجمع فيه ما يزيد من فيضان النيل وكان محوطا بجسر كبير يبلغ محيطه تسعين

ميلا ومتصلا بالنيل بترعتين فى كل ترعة قناطر لتخزين المياه وصرفها فاذا لم يكن الفيضان كافيا صرف من البحيرة القدر اللازم للري واذا كان عاليا وخيف الغرق صرف الماء الزائد الى البحيرة وخزن فيها

والحقيقة انه لم يكن هناك خزان فالبحيرة التى نظرها هيرودوت هى من فيضان النيل نفسه على أرض منخفضة بطبيعتها والجسر الذى رآه هو أحد الجسور الفاصلة للحياض أما ما عمله امنمحعت فكان اقامة سد عند اللاهون أى في الفجوة الواصلة وادي النيل بمنخفض الفيوم تمكنه من التصرف في الماء الذاهب للبحيرة وقد تمكن امنمحعت أيضا من صرف الماء عن جزء عظيم من أراضى الفيوم وتحويله بذلك الى أراض زراعية خصبة وقد زاد البطالسة بعد ذلك فى الصرف وأقطعوا الارض هناك عساكرهم

آثار امنمحعت فى الفيوم

وقد أقام امنمحعت تمثالين عظيمين كلا منهما يتكون من حجر واحد وارتفاع الواحد منهما ثلاثة عشر مترا وكانا اذا بزغت الشمس وأرسلت أشعتها نحو ماء البحيرة مثيرين لاعجاب الناظرين وبنى معبدا عظيما عند هواره وهذا المعبد هو الذى وصفه هيرودوت فقد كان قائما فى أيامه وسماه

قصر اللابيرانته

قصر اللابيرانته أو قصر التيه لان حجراته تتصل بطرقات صنعت بمهارة فائقة بحيث لو دخلها غريب لايهتدي الى الخروج منها ما لم يكن معه مرشد وقد قال هيرودوت بأنه نظرها فوجدها أعظم من شهرتها وأنها فاقت جميع مبانى اليونان وكافة عمائرهم وظن أنها كانت دارا يجتمع فيها ممثلو الاقاليم للتشاور فى أمور البلاد والظاهر أن أصل هذه الفكرة وجود رسوم على جدران البناء تمثل الاقاليم المصرية

الحضارة المصرية فى حكم الدولة الوسطى

أول ما نلاحظه على الحضارة ايام الأسرة الثانية عشرة اتساع تجارة. مصر وعلاقاتها الخارجية

العلاقات الخارجية

وسبب هذه العلاقات رغبة أولئك الفراعنة العظام في الحصول على ما يلزمهم من الاحجار والاخشاب والمعادن المختلفة التى لم يجدوها فى مصر نفسها فكثرت الرحلات الى بلاد النوبة والصحراء الغربية

وطور سيناء ولبنان وسوريا والصومال واتسع نطاق التجارة فاتصل المصريون بالحضارة العظيمة التى كان مقرها جزيرة كريد

أثر النشاط التجارى فى الآداب

وكان لهذا النشاط أثر بين فى الآداب المصرية فورد فى قصص المصريين المتداولة وصف ممتع للاماكن النائية عن بلادهم

قصة البحرى الغريق

من هذه القصص قصة البحرى الغريق : قال إنه ركب سفينة كبيرة فيها ١٥٠ ملاحا من نخبة المصريين الذين لهم قلب جسور كقلب الأسود وبينما كانوا مجدين فى الاقتراب من البر اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج فغرقت السفينة وهلك من كان فيها . أما هو فألقته موجة على جزيرة وجد فيها ما يقتات به ثم سمع صوتا كصوت الرعد ، ولمح ثعبانا يقترب منه طوله ثلاثون ذراعا ولحيته طولها ذراعان وجسمه كالذهب وبعد محادثة قص فيها البحرى قصته أقام مع الثعبان مكرما ، ثم أتت سفينة حملته إلى بلاده ، واستحالت الجزيرة عند مغادرته إياها الى لجة ماء . ولا يخفى الشبه الكبير بين هذه القصة وقصص السندباد البحرى المعروفة

قصة سنوحيت

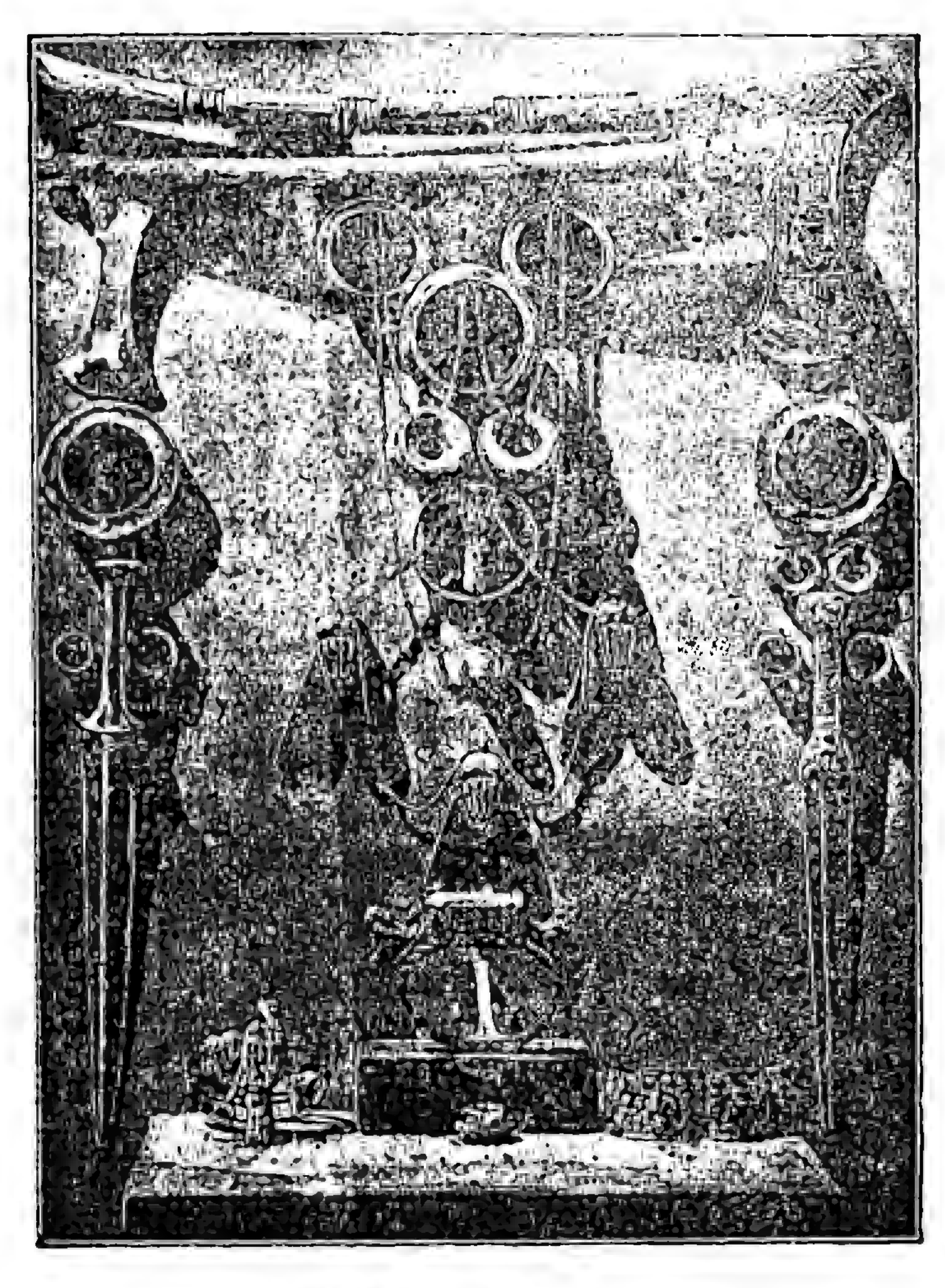
ومن هذه القصص أيضا قصة سنوحيت وكان أحد أبناء امنمحعت الأول ، وفر عند موت أبيه الى فلسطين وأقام فيها مدة ثم عاد إلى مصر بأذن من ملكها . وفى هذه القصة وصف دقيق جداً لحياة البدو المقيمين شرقى مصر

مصر والنوبة

اتجه نشاط المصريين نحو النوبة كما اتجه نحو فلسطين وسوريا فأخضع أسرتسن الثالث أحد ملوك الاسرة الثانية عشرة النوبيين وبطش بهم وقسا عليهم وبنى بالقرب من الشلال الثانى قلعتى سمنة وقمنة على البرين وجعلهما الحد الجنوبى بين مصر والشعوب السوداء ، لا تتعداه سفنهم شمالا إلا اذا كانت تقل تجارة

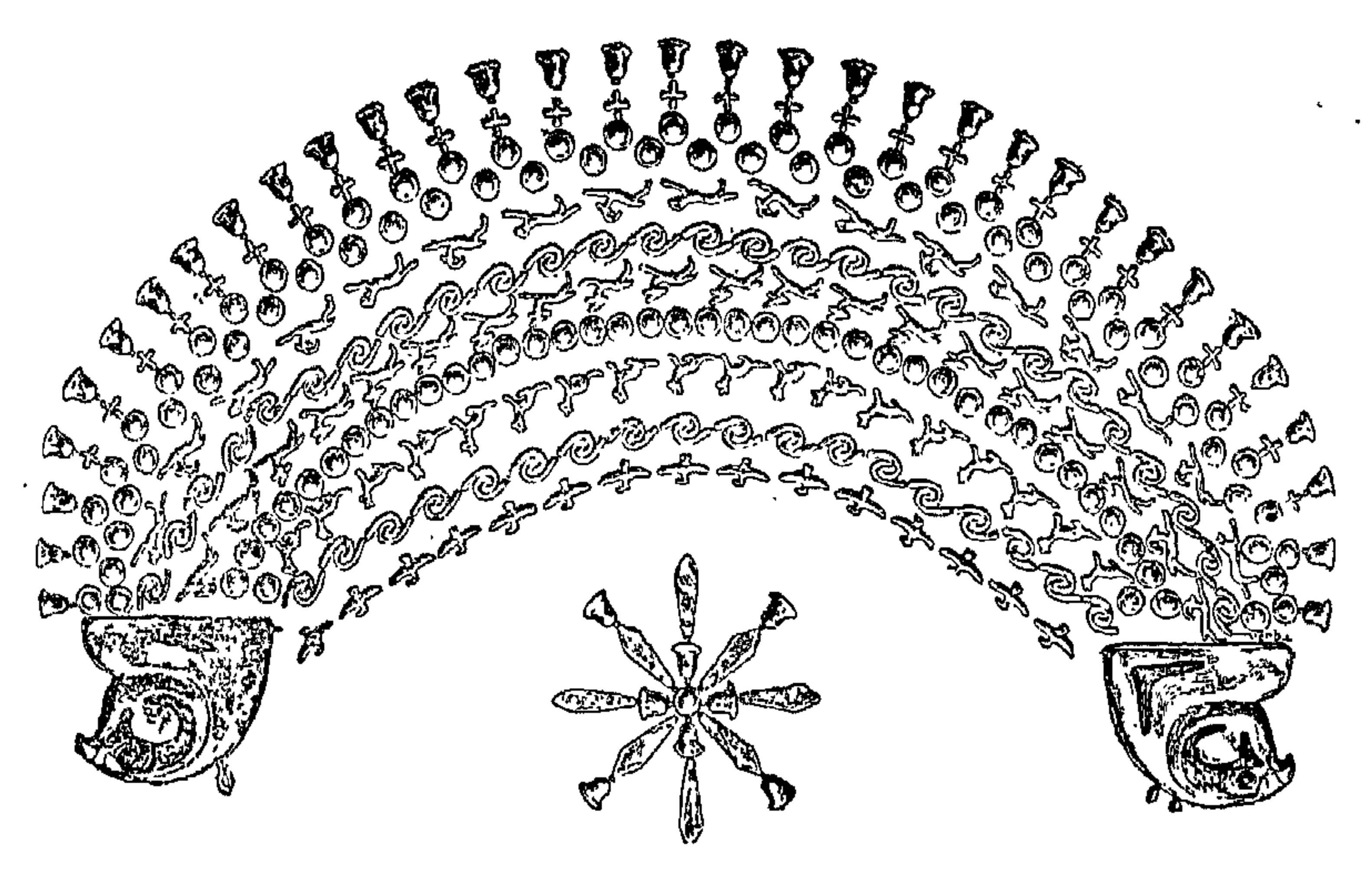
الفن المصرى

كان الفن المصرى أزهر ما كان أيام الدولة الوسطى فقد بلغ الصناع فى صنع دقيق الأشياء كالحلى مبلغا كبيرا من الاتقان



شكل (٩) : مثال من صناعة المعادن المصرية

وامتازت مبانى ذلك العصر بحسن الذوق وجمال التناسب . ولم يسع رجال الفن الى ضخامة البناء وشهوقه . وهذه مقابر بنى حسن اثر خالد



شكل (١٠) : مثال من صناعة الحلى المصرية

يفوق جمالا المبانى التى أقامتها الدولة الحديثة عند طيبة والتى لا شىء فيها إلا كبرها .

الدين المصرى

وأهم ماطرأ على الدين من تغيير ظهور معبود طيبه المسمى أمون تبعا لظهور تلك المدينة السياسى وقد وحّده المصريون بمعبود هليوبوليس المسمى برع

الانحطاط بعد الاسرة الثانية عشرة

حل بمصر الانحطاط بفقدها استقلالها ووقوعها تحت حكم جماعات اسيوية هم الهكسوس أو الرعاة ولهذا الحادث شأن كبير إذ به دخل تاريخ مصر فى طور اتصال بأمم الشرق القديم .



الفصل الخامس

الهكسوس فى مصر وملك المصريين فى آسيا

اغارة الهكسوس على مصر

كانت اغارة الهكسوس على مصر جزءاً من حركة كبيرة واسعة النطاق أثرت فى كل اقسام الشرق القديم، وكانت فى تلك الاقسام إذ ذاك حضارة عظيمة وعلى الاخص فى بابل والبلاد الواقعة غربى الفرات وفى جزيرة كريد وبعض جزر الارخبيل وبعض مدن جنوبى شبه جزيرة البلقان

من هم الهكسوس

وكانت اغارة الهكسوس نتيجة اغارات منشؤها سهل اوربا الوسطى وذلك انه هجم على كريد وغيرها اقوام لغتهم آرية يعرفون صناعة الحديد فكانوا شديدى البأس. وقد ادى تغلبهم على العالم الكريدى الى الاضطراب فى العالم الاسيوى والى دفع بعض شعوبه نحو وادى النيل.

وصف المصريون المغيرين عليهم بأنهم رعاة ولكن لا يكفى هذا الوصف للدلالة على حقيقة حالتهم: فلم يكونوا متبربرين أوكلهم بدوا، فكان منهم اقوام تعلموا الحضارة البابلية فى مواطنهم غربى الفرات، ومنهم رجال يتكلمون لغات آرية من الاناضول.

وكان لهم تفوق حربى على المصريين إذ كانوا يستعملون آلة حربية لم يعرفها المصريون هى العجلة الحربية تجرها الخيل؛ فكانت العجلات تنشر الاضطراب في صفوف المشاة امامها وتخل بنظامهم فتسبب هزيمتهم.

حكمهم مصر

كانت عاصمتهم في شرق الدلتا، وذلك كى يكونوا على مقربة من آسيا التى بقيت لهم بها صلات.

وما لبثوا ان تحضروا، وعبدوا معبودات المصريين، وبنوا معابد وقلد ملوكهم الفراعنة أى انهم تمصروا.

وقد وجدوا الباحثون آثاراً لأحدملوكهم واسمه خيان فى بغداد وفى

كنوسس فى كريد وليس معنى ذلك أن ملكه شمل جميع الارجاء انما معناه انتشار نفوذه .

حرب الاستقلال ١٦٢٠ — ١٥٧٣ ق . م .

على الرغم من تمصر الهكسوس لم يرض المصريون عنهم ولم يغتفروا لهم ما أصابهم منهم أول الفتح فنشأت حركة ترمى الى إجلاء الهكسوس عن البلاد

بدأت هذه الحركة فى الجنوب وذلك لأن الهكسوس لم يمكنهم إقامة حكمهم فيه فكانت أرض الصعيد جنوبى مدينة قفط تحت حكم امراء مصريين كانوا زعماء حرب الاستقلال

استمرت هذه الحرب نحوا من خمسين سنة وختمت باستيلاء الأمير أحمس على منف وأخرج الهكسوس من مصر

جلاء الهكسوس وقصة الخروج

جلا مع الهكسوس الاسيويون المقيمون في مصر تحت ظلهم وبعض المؤرخين يظن أن ذلك الجلاء أساس القصة الموجودة فى الكتب المقدسة عن إقامة بنى اسرائيل فى مصر وخروجهم منها مع موسى وبعضهم يظن أن خروج الاسرائيليين أمر آخر لا علاقة له بجلاء الهكسوس وأنه حدث في عهد منفتاح ابن رمسيس الثانى

تأسيس ملك مصر فى آسيا.

وقد دخل تاريخ مصر بعد استقلالها فى دور فتح عظيم .

وذلك أن حرب الاستقلال بعثت فى المصريين روحا حربية طوحت بهم وبملوكهم فى الفتح طلبا لزيادة التشفى من اعدائهم بعد أن تعلموا منهم فنون الحرب وأخذوا عنهم استعمال الخيل والعجلات فى القتال فتعقبوهم الى مواطنهم الأولى في آسيا

الحالة فى غربى آسيا

وأمعن المصريون فى الفتح لما وجدوا الحالة فى اسيا مما يسهل عليهم تشييد ملك عظيم

وذلك أن نفوذ الهكسوس الممتد من مصر الى غربى الفرات تقلص بعد هزيمتهم فى مصر وكانت بابل إذ ذاك تحت حكم اسرة أجنبية ولم تكن قد قامت بعد دولة الحيثيين التى ستصبح اكبر أعداء مصر

فسهل على حلفاء احمس التغلب على فلسطين وسوريا

لم يكن ذلك التغلب أول عهد المصريين بفلسطين وسوريا ولكنه كان أول عهدهم بالاراضي الواقعة غربي الفرات. وكانت تلك الاراضي تحت حكم دويلات تتمتع برغد العيش ، ومن أشهرها دمشق وكانت اذ ذاك مركزا تجاريا كبيرا . وقد عرف المصريون تلك الاراضي جميعا باسم نهرين لوقوعها بين نهرى الارنت غربا والفرات شرقا وأقوى الامم فى بلاد النهرين كانت أمة الميثانى

الميثانى

المدن الفينيقية

وكان للفينيقيين إذ ذاك مدن ممتدة على ساحل البحر الابيض المتوسط وكانت إذ ذاك مستقلة

الاسرة الثامنة عشرة وفتوحها تحتمس الاول

غزا تحتمس الأول بلاد النهرين وعاد الى طيبة مباهيا بسعة فتحه بوصوله حتى نهر الفرات الذى وصفه بأنه نيل منعكس أي يجرى من الشمال للجنوب

ولكن سكان تلك البلاد لم يكونوا همجا كالنوبيين يسهل على الفراعنة ردعهم وزجرهم فما رجع تحتمس الى مصر إلا وقاموا على حكم مصر وتحالفوا تحت زعامة أمير قادش احدي الامارات واتضح للفراعنة أنه لا يمكن حكم تلك الجهات إلا اذا احتلوها بعساكرهم

حكم حتشبسوت عصر السلام

وبعد تحتمس الاول اهمل المصريون الفتح أيام خلفه تحتمس الثانى وكان ضعيفا والملكة حتشبسوت وكانت مولية التجارة والبناء اهتمامها. وكانت حتشبسوت امرأة عظيمة الهمة ، شاركها فى الحكم بعد تحتمس الثانى أخوها أو ابن أخيها تحتمس الثالث ولكن اشتراكه كان اسميا فقط فبقى خاملا طول حياتها ولما ماتت قام بفتوح عظيمة جعلت له اسما خالدا بين عظماء الفاتحين

تحتمس الثالث

وصفه حروبه

ولم يهمل تحتمس تخليد حروبه فقد وصفها الكتاب بأمره على جدران معبد الكرنك . ويقول العارفون بأن هذا الوصف مكتوب ببراعة ومهارة تستوقف النظر

فتوح تحتمس الثالث

خرج تحتمس الثالث فى السنة الثانية والعشرين من حكمه (١) وكان أعداؤه تحت قيادة أمير قادش عند مدينة مجدو وكان موقعهم حصينا فقد كانوا

(١) بما فيها مدة اشتراكه مع حتشبسوت



شكل (١١) : تحتمس الثالث فى صباه

على ربوة تلتقى عندها الطرق وتحول دون نزول المصريين على السهول غربى الفرات . ولكن تحتمس الثالث اجتاز الربوة دون ان يشعروا به وطوق معسكرهم وانتصر عليهم انتصارا باهرا . ثم حاصر مجدو واستولى عليها وغنم منها غنائم نفيسة تدل على تمدين تلك البلاد وغناها ومما يذكر أنه لم يقس على أعدائه كما كان يفعل الفاتحون في تلك الازمان .

أنزل ذلك الانتصار الرعب في قلب الاسيويين ، فلم يجد تحتمس فى غزوته الثانية فى العام الثانى مقاومة بل وجد تنافسا بين الاسيويين فى التزلف اليه والتقرب منه .

وتتابعت غزواته ، وفى الغزوة الخامسة استولى على مدينة ارواد الواقعة على البحر وغنم منها غنما كبيرا .

وفى الغزوة السادسة كانت خطته جديدة ، اذ نقل جيوشه بحرا الى المدن الفينيقية ومنها سار إلى قادش . والجديد في تلك الخطة هو الجمع بين استعمال البحر والبر . وفى تلك الغزوة أيضا ابتـدأ سياسة جديد هى ارسال أبناء الأمراء المغلوبين الى مصر يتعلمون فيها ، وتشرب قلوبهم حب فرعون ، وعند ماينتهون من ذلك يعينهم حكاما لبلادهم تحت سيادته

وكلما ثار ثائر أسرع تحتمس الى تأديبه ، وكان آخر غزواته الغزوة السابعة عشرة فى السنة الثانية والاربعين من حكمه وفيها أخضع قادش وفيها أرسل ملك قبرص لفرعون هدية يبعد بها عنه غضبه . وبعـدها دانت له رقاب الاسيويين فلم يقم بحرب أخرى .

تنظيم الملك

كانت سياسته في تنظيم الملك أن يترك الامراء الوطنيين في اماراتهم ولـكن بعـد أن يعين معهم موظفين مصريين يجوبون خلال الملك يجمعون الجزية ويراقبون الوطنيين ويشيرون على امرائهم بما يحسن بهم القيام به ، وهؤلاء الموظفون تشد أزرهم حاميات مصرية تعسكر في المواقع الحصينة .

وقد اتبع أيضا كما تقدم سياسة تمصير أبناء الامراء وقد نجحت هذه السياسة نجاحا باهرا فقد تعلق كثير منهم بمصر وحكمها . وعنـد ما ضعف أمرها فيهم وهدد الحيثيون بالحلول محلها أسف الاسيويون على زوال ملك مصر واستغاثوا بفرعون مرارا

عظم شأن تحتمس الثالث

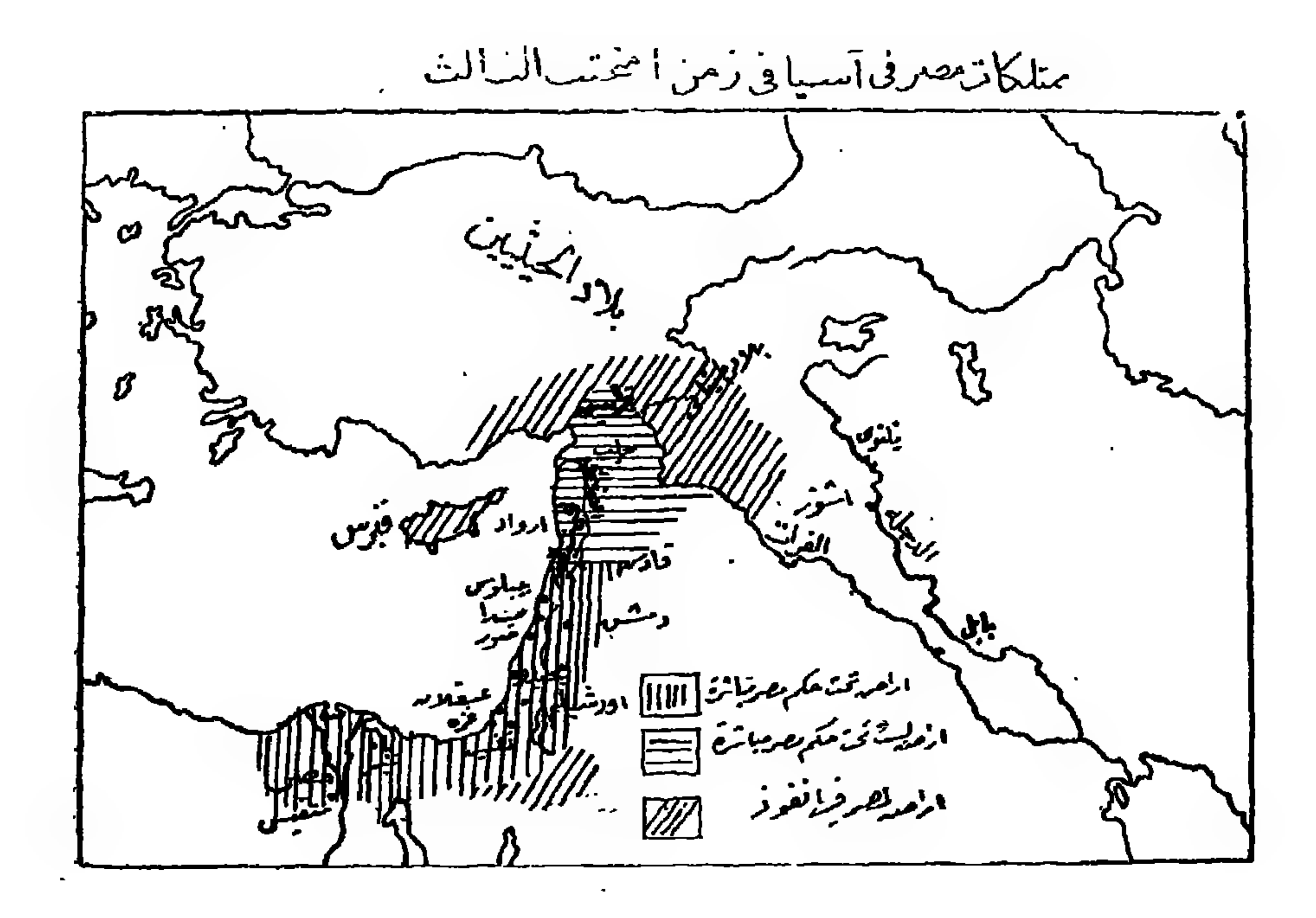
وعلا ذكر تحتمس الثالث علوا كبيرا وشدا به الشادون وكتب فى مدحه الشعراء . وقد عثر الباحثون على قصيدة تخيل فيها الناظم المعبود آمون يخاطب تحتمس ويشيد بذكره

امنحتب الثالث

وقد جنى خلفه امنحتب الثالث ثمار الجد الذى بذله سلفه : فكان حكمه فخما تجلت فيه أبهة فرعون وامتد ملـكه ١٦٠٠ ميلا جنوبي وادي حلفا حيث بنى معبدا فخما عند صليب وعبده فيه النوبيون



شكل (١٢) : امنحتب الثالث



ممتلكات مصر فى آسيا فى زمن امنحتب الثالث

الفصل السادس

الحضارة المصرية فى عهد الدولة الحديثة

آثار الفتوح

صارت طيبة مقر هذا الملك العظيم. غيرت الفتوح الآراء السائدة حتى ذلك الوقت، فعرف المصريون أن هناك أمماً كثيرة غيرهم. وان العالم ليس مصر فقط، وأن ما حولها ليس أرضا مجهولة تسكنها الشياطين وأصبحوا يرون فى فرعون قائدهم الذى يسيرون الى النصر تحت لوائه

سلطة فرعون

وكانت الادارة كلها فى يد فرعون يدير شؤونها بواسطة وزيرين أحدهما للشمال ومقره منف والآخر للجنوب ومقره طيبة، ولم يطلق أيديهما فى مال الدولة بل جعل له موظفا خاصا.

ولم يسمح فراعنة الاسرة الثامنة عشر للكهنة بالتدخل فى امور السياسية، بل إنه عند ماخرج احدهم وهو اخناتون على معتقدات آبائه وأغضب الشعب ذلك، اضطر الفراعنة الذين اتوا بعد اخناتون الى استرضاء رجال الدين، فزادوا فى امتيازاتهم

ارتفاع شان آمون

وقد أدت عظمة طيبة الى ارتفاع شأن معبودها آمون فأصبح معبود الملك كله. ولا بد ان يكون ذلك قد اثار شيئا من الحسد فى نفوس كهنة المعبودات الاخري، وعلى الأخص كهنة رع، وربما أدي ذلك الى كيدهم لامون، والى قيام اخناتون بثورته الدينية.

فخامة الدولة الحديثة

تبودلت التجارة فى ملك مصر الواسع وزادت مصر فى الغنى والرفاهية بفضل اتساع التجارة واستتباب الأمن على يد ملوك اقوياء وموظفين شاعرين بأن عين فرعون ترقبهم؛ وبفضل الغنائم التى غنموها في آسيا والاموال التى جبوها من أهلها.

طيبة فى عهد امنحتب الثالث

وقد تجلت تلك الفخامة في أمنحتب الثالث الذى زاد فى جمال طيبة، فشيد متنزها على ضفاف بحيرة في البر الغربى، وبنى معبدا هائلا هدمه منفتاح بن رمسيس الثانى ولم يبق منه إلا التمثالان المعروفان بتمثالى ممنون

تمثالا ممنون

بدء الاضمحلال

ظهرت علامات الاضمحلال فى حكم أمنحتب نفسه، وربما فسر الاضمحلال كثرة المال والانهماك فى الترف. والظاهر أن الحضارة القديمة كان يصيبها الاضمحلال اذا استنام الناس إلى السلم. وليس معنى ذلك أن الحرب أمر ضرورى للعالم الحديث؛ فالحضارة الحاضرة لا يعوزها الباعث القوى للعمل العقلى وغير العقلى في ظلال السلم.

وما عجل الاضمحلال وأدي الى تمزيق ذلك الملك العريض الثورة الدينية التى قام بها أخناتون

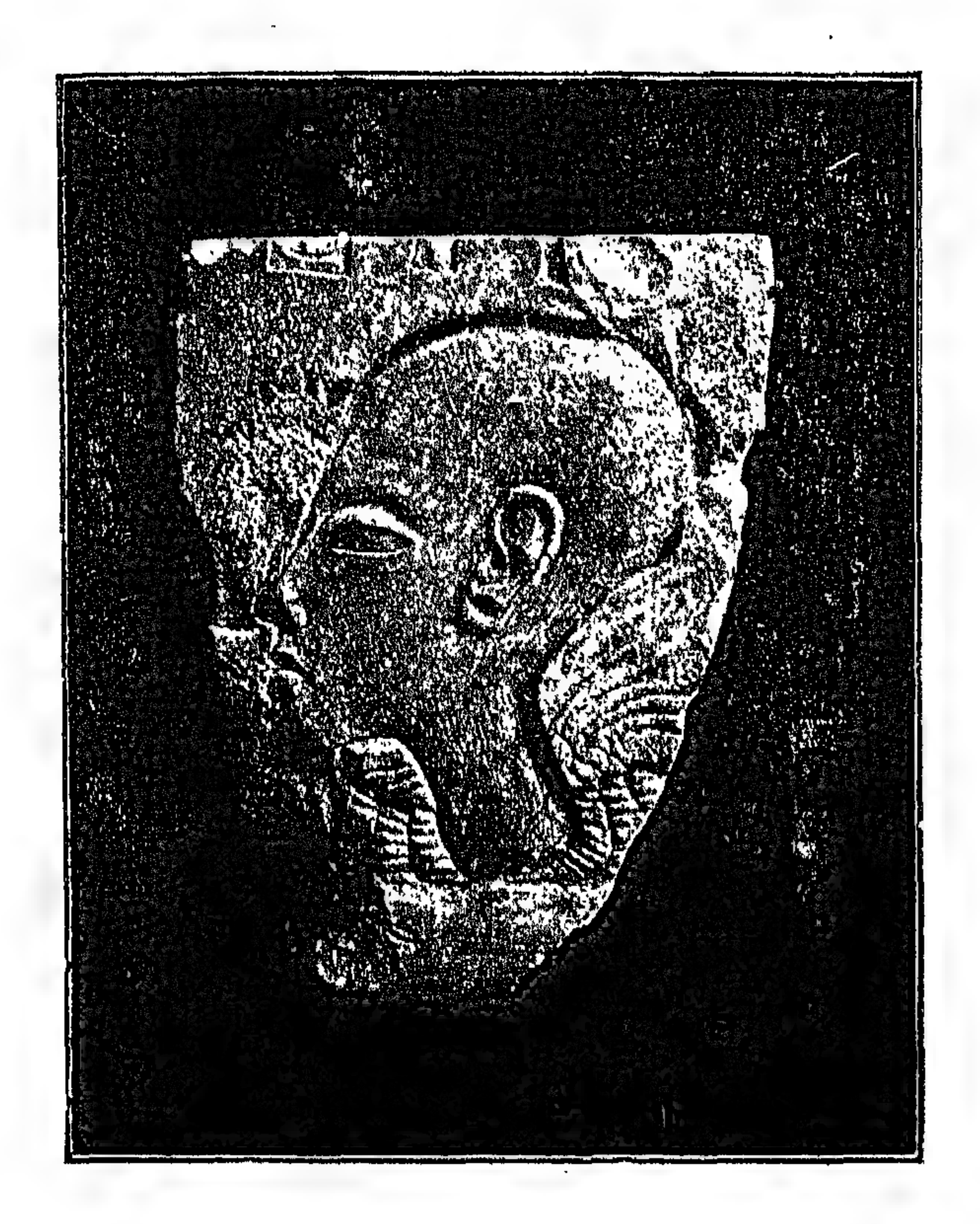
اخناتون وثورته الدينية

كان أخناتون أو أمنحتب الرابع ابن امنحتب الثالث وزوجته تى ولم تكن تى هذه من أصل مصرى خالص فقد كان أبوها اسيويا، وكان اخناتون غريبا في صفاته؛ لم تر مصر قبله رجلا أكبر تغافلا عن كل مالا علاقة له بنزعات عقله أو اكثر اهمالا لواجبات الملوك؛ حتى لقد يعرض للانسان الشك فى استكماله قواه العقلية.

وفي السنة السادسة من حكمه ولما لم يزد سنه عن الخامسة عشرة نشر رأيه ببطلان المعبودات جميعها بما فيها آمون، وأعلن أنه لا ينبغى أن تعبد إلا القوة السماوية التى تمثل للناس الشمس وسماها آتون. وكان دينه هذا وحدانية خالصة:

وربما كان لأصل أمه الاسيوى بعض التأثير فى رأي اخناتون الدينى. والثابت أن تقديس الشمس لم يكن أمرا جديداً. ومن المحتمل أن كهنة رع كانت لهم يد فى تشجيع هذا التقديس كيدا لكهنة آمون.

لم يكن لاخناتون من الحكمة السياسية ما يجعله متريثا فى أمر هام كامر العبادات. فنشر رأيه فى البلاد، وبعد أن كان اسمه الاول امنحتب



شكل (١٣) : اخناتون (رسم على حجر فى المتحف البريطانى)

اتخذ لنفسه اسم اخناتون وغادر طيبة مقر آمون ، وجعل عاصمته بالقرب من أسيوط حيث تل العمارنة الآن .

أثارت تلك الاعمال استياء عاما وأغضبت الكهنة والعامة ، ونفرت رجال السياسة والحرب الذين قدروا وخامة العواقب ورأوا أن الملك الذى شادوه بدمائهم يلهو به مفتون على العرش

ووصلت الاخبار الى آسيا وعلم الاسيويون أصدقاء مصر أن فرعون قد ابتدع بدعة دينية ، وأنه لزم مدينته الجديدة يتعبد فيها ولا يخرج منها للدفاع عن تراث آبائه .

ومما يدل على ماكان من شدة الشكيمة لملوك الدولة الحديثة أن الناس على الرغم من استيائهم لم يعصوا اخناتون جهارا

آثار الثورة فى الادب والفن

كل ذلك واخناتون في مدينته ينظم الشعر مسبحا لآتون . وقد حملت العصور الينا قصائده و وجدالمؤرخون اتفاقا كبيرا بين تلك القصائد و الشعر الديني الاسرائيلي فى اللفظ والمعنى

وكان لثورته أيضا أثر كبير في الفن فكما أن اخناتون نبذ القديم فى الدين وتوخى الحرية فى الاعتقاد كذلك رجال الفن فى عصره نبذوا القواعد القديمة وقصدوا إلى رسم الاشياء كما هى ، حتى أنهم في تصويرهم لاخناتون نفسه لم يحاولوا اخفاء عيوبه الخلقية، كما يري ذلك في تمثال لاخناتون كشفوا عنه حديثا

الرجوع الى الدين القديم

اختلت الأمور من جراء الثورة ، ولم تثبت دعائم الدين الجديد فما مات اخناتون فى السنة الثامنة عشرة من حكمه إلا وقد رجعت الحال إلى ماكانت عليه ، إذ ليس من السهل على أى حاكم و لوكان قويا كفرعون أن يرغم شعبا بأسره عن التخلى عن معتقدات آبائه ، حتى و لو حرم عليه ذكر المعبودات القديمة جهارا

توت عنخ آمون

لم يكن لاخناتون ولد يخلفه فتولى بعده زوج ابنته توت عنخ آمون وكان من المتشيعين للدين الجديد . ولكنه تحول الى عبادة آمون بعد توليته الملك وقد انصرف هو ومن خلفه إلى إزالة سوء الأثر الذى تركته ثورة اخناتون بارضاء الكهنة بكل وسيلة . وقد اكسبهم ذلك فيما بعد نفوذا سياسيا لم يكن لهم فى الايام الاولى للدولة الحديثة

وقد طبقت شهرة توت عنخ آمون الآفاق بعد فتح قبره فى أيامنا هذه والعثور على نفائس كثيرة فيه . ولكن لا سبيل الآن للحكم عما اذا كانت الفائدة التى يستفيدها علم التاريخ تتناسب مع الاهتمام الشديد الذى أثاره العثور على قبر توت عنخ آمون

الاسرة التاسعة عشرة

أسسها رمسيس الأول والظاهر أنها كانت من الشمال ولكنها حكمت فى طيبة

سيتى الاول

ومن ملوكها المهمين « سيتى » وقد أراد إعادة ما فقدته مصر من أملاكها الاسيوية أيام اخناتون فاوقعه ذلك فى حروب مع الحيثيين وهم قوم من آسيا الصغري نشروا دولتهم جنوبيها نحو فلسطين . وبتلك الحروب بدأ ملك مصر فى آسيا للمرة الثانية . وبها أيضا اضطر ملك الأسرة الى الاقامة في الدلتا مع تشييد العمائر فى طيبة وغيرها من مدن الصعيد . فكأننا نرى فى ذلك عودا لانقسام مصر قسمين عظيمين . يستتر هذا الانقسام فى أوقات القوة وينكشف عند الضعف

رمسيس الثانى

حكم بعد سيتى وكان اذ ذاك فى الثامنة عشرة وقد طال حكمه كثيرا والظاهر أن هذا الطول أدي الى اكتساب رمسيس شهرة كبيرة، وإذا قرناه بتحتمس الثالث أو امنمحعت الثالث نجد أن تلك الشهرة أكبر مما يستحق . والثابت أنه عمل على تمجيد نفسه بكل الوسائل : فبنى معبدا كبيرا هو الرامسيوم ، وهو معبد هائل لايدل على شئ من سلامة الذوق ووصف على جدرانه حروبه مع الحيثيين

الحروب الحيثية

بدأت هذه الحروب فى السنة الخامسة من حكمه في عام ١٢٩٦ ق. م واستمرت خمسة عشر عاما استنفدت فيها قوي مصر وسببت ضعفها

مصر آخر ايام الدولة الحديثة

فكانت عظمة مصر ظاهرية فقط ، صحبها اضمحلال فى الفن وازدياد فى هجرة الاجانب اليها واعتماد عليهم من يونان واسيويين وليبيين فى الحرب .

ودخلت في اللغة كلمات أجنبية ، وساد الكهنة حتى صار منهم فراعنة

الفصل السابع

الحيثيون ومصر

الحيثيون فى اسيا

آسيا الصغرى أرض مستطيلة الشكل تتصل بآسيا فى جنوبيها الشرقى ويحيط البحر بها من ثلاث جهات . وهى هضبة مرتفعة تطوقها سلاسل من الجبال المرتفعة ، وتحف بالجبال سهول ضيقة على سواحل البحار . وفى الجزء الشمالى الغربى ممر قطعه الماء الجارى يصل بين البحر وقلب الهضبة ومنه دخلها المغيرون من أوربا ، وفيه تسير الآن سكة حديد بغداد

ومعظم الهضبة صالح للرى والزرع ، والجبال موفورة المعادن ، وهى أيضا سد يحول دون التوغل في الهضبة (فيما عدا الجزء الشمالى الغربى) فموارد آسيا الصغرى اذن تكفل قيام دولة مستقلة .

و قد كشفوا فى الأيام الأخيرة عن آثار بمدينة بوغاز كوي تدل على وجود دولة كبيرة بآسيا الصغرى ، دولة أختلط تاريخها بتاريخ مصر والشرق القديم هى دولة الحيثيين

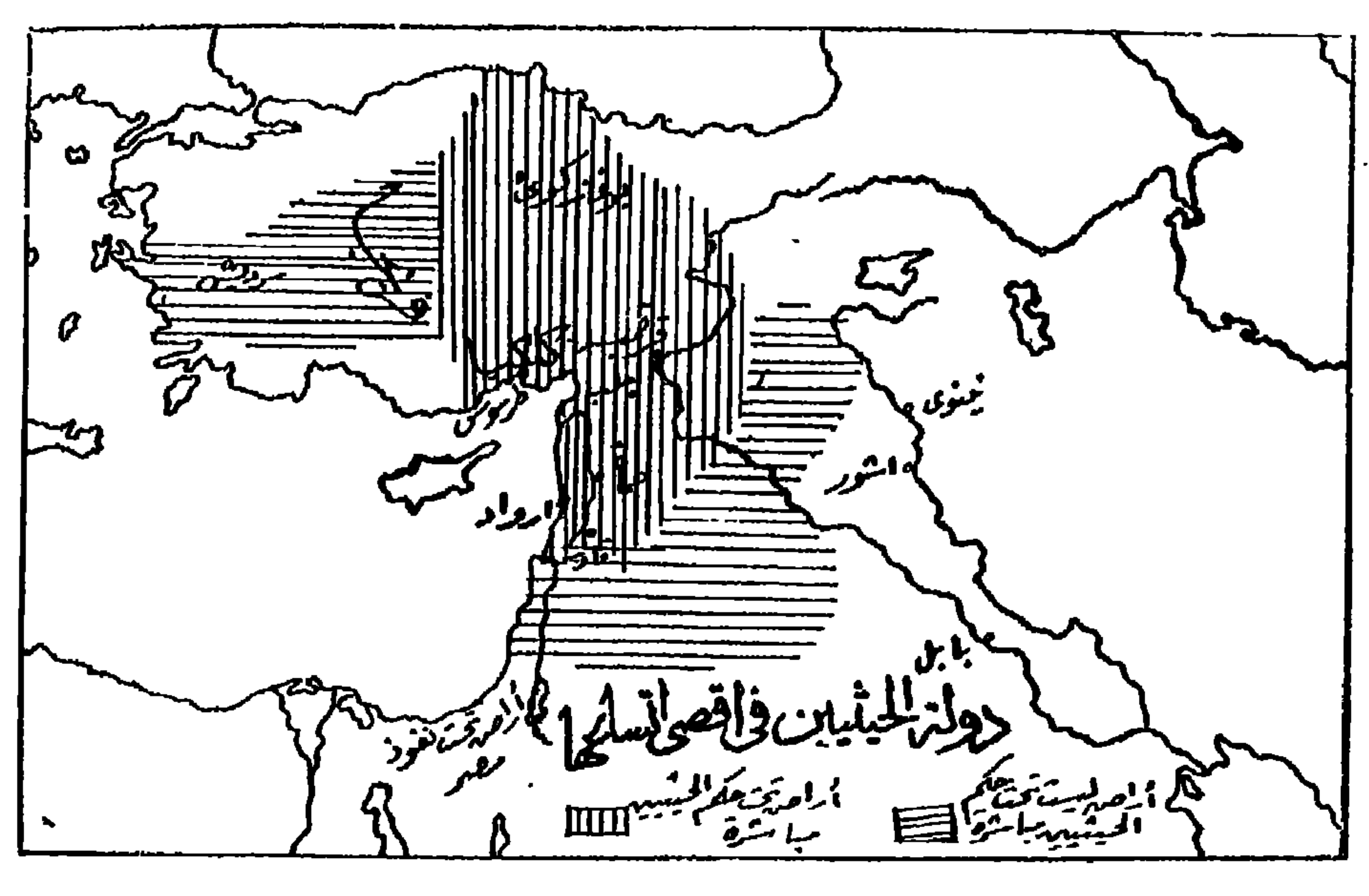
والحيثيون من الجنس الألبي يظنون أنهم يشبهون الأرمن الحاليين رعاة يميلون للقتال . وكانوا في أول أمرهم قبائل متحالفة تحت زعامة ملك يقيم فى بوغاز كوي

وقد أخذت تلك القبائل تغير على بلاد النهرين ، ثم أخذت تحاول فتح تلك البلاد فتحا منظما ، ومن ثم اشتبكت بمصر و بالشرق القديم

الموقف بعد موت امنحتب الثالث

استفاد الحيثيون من الاختلال الذى اثارته ثورة اخناتون فانقضوا على بلاد الميتانى ، وقد تقدم أنهم كانوا يقيمون غربى الفرات ، ففقدت مصر من جراء ذلك ملكها في سوريا وفينيقيا ، وتمكن بنو اسرائيل من الاستقلال فى فلسطين ، وكان في ذلك تمهيد لملكهم بها بعد .

وعقد حورمحب الذى خلف توت عنخ آمون على العرش مع ملك الحيثيين معاهدة اعترف فيها بما حدث ، أي بامتلاك الحيثيين لبلاد النهرين وبامتلاك مصر لفينيقيا وفلسطين إن تمكنت من اخضاع أهلهما لها



الحالة فى ايام سيتى الاول

نجح « سيتى » فى ذلك الاخضاع ، وبذلك التصقت الاملاك المصرية بالاملاك الحيثيـة و تقاتل المصريون والحيثيون . وانتصر المصريون وعقدوا مع خصومهم معاهدة على نمط المعاهدة الاولى

رمسيس الثانى

ولما تولى رمسيس نقض تلك المعاهدة — ولا عجب فى ذلك فانه كان شابا يغلب عليه الزهو — وبدأت الحروب

عبأ رمسيس جيوشه تعبئة جديدة فجعلها أربع كتائب سمى كل واحدة منها باسم معبود من أربعة : آمون ورع وبتاح وست .

وكان المصريون أقل عدداً من الحيثيين ولـكنهم كانوا أوفر نظاما. وكان ملكهم فتى فى عنفوان القوة على حين كان ملك الحيثيين شيخا أضناه الحكم قائدا محنكا ، ولـكن تعوزه حدة الشباب والاقدام

أغار رمسيس على سوريا وقد تمكن الحيثيون أول الحرب من القيام بخدعة حربية فأوهموا رمسيس أنهم بالقرب من حلب فتقدم بلا حيطة نحو قادش فدهموه ولم يكونوا قد ذهبوا بعيدا وحالوا بينه وبين معسكره فشق لنفسه ممرا وسط صفوفهم وهزمهم وشتتهم إلا انه على الرغم من انتصاره أخذ الجهد منه مأخذه فرجع الى مصر دون أن يستولى على قادش ولكنه بالغ في وصف نصره على جدران المعابد نظما ونثرا ومعظم النظم منسوب الى رجل اسمه بنتورت أو بنتاؤر

بنتاؤر الشاعر

وتجددت الحرب الى أن سئمت الامتان القتال ، فعقدتا معاهدة فى عام ١٢٧٩ ق . م . نلاحظ عليها حسن تبويبها وتساوى الفريقين فيها وتجديد المعاهدات القديمة .

المعاهدة المصرية الحيثية ١٢٧٩ ق.م.

وفى سنة ١٢٦٦ ق . م . تزوج رمسيس بنت ملك الحيثيين واحضرها أبوها الى مصر وكان ذلك أمرا جديدا فلم يكن من عادة الملوك إذ ذاك أن يتقابلوا في ود وصداقة ومن المحتمل أن يكون رمسيس قد رد الزيارة وان لم يفعل فانه جامل الحيثيين بأن أرسل لهم تمثال المعبود خنسو لكى تشفى بنت الملك من داء ألم بها وقد أرسلت بابل طبيبا وساحرا للمساعدة في ذلك : ذلك كله يدل على حصول أولئك الاقوام على جانب كبير من التمدين وعلى توائق العلاقات الدولية إذ ذاك

تقدم العلاقات الدولية.

مات رمسيس عام ١٢٣٤ ق . م . بعد حكم طويل وتولى ابنه منفتاح وقد جاوز سن الشباب

موت رمسيس ١٢٣٤ ق . م . وتولى منفتاح

وفى أيامه خرج عن طاعته أهل فلسطين فغزاهم وبالغ فى تأديبهم ولكن كانت علاقاته بالحيثيين ودية فعند ما اجتاحت بلادهم مجاعة أرسل لهم من مصر غلالا

وفي عهده أيضا أغار على الدلتا الليبيون وأقوام مختلفة من جزر البحر الابيض المتوسط وسواحله . ولكنه صدهم وأجلاهم

ولكنهم أعادوا الكرة مرتين فى عهد خلفه رمسيس الثالث من

الاسرة العشرون رمسيس الثالث

ملوك الاسرة العشرين . وقد هزمهم فرعون هزيمة ساحقة فى البر والبحر وقد سكن أقوام منهم بعد الهزيمة غربى فلسطين وهم الفلسطينيون ومن اسمهم أخذت فلسطين اسمها

زوال ملك الحيثيين

ولم تكن هذه الاغارات مقصورة على مصر بل شملت بلاد الحيثيين وسببت تمزيق ملكهم ، وقد قضى الأشوريون بعد على ما بقى منه عام ١١٠٧ ق . م .

سياسة رمسيس الثالث الداخلية

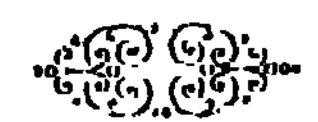
قلد رمسيس الثالث رمسيس الثانى فى كل شىء ولم يكن ذلك عن غرور أو ضيق عقل . انما كان قصده أن يبعث فى المصرين ذكرى انتصارهم الحربى ويوقظ أمانيهم واتجهت سياسته أيضا الى تنمية موارد الثروة والبناء .

اضمحلال مصر

ولم تنجح هذه السياسة إلا نجاحا مؤقتا ، فالامم لا يكفيها البكاء على ماضيها ولا تنفعها ذكرى الملك العريض اذا أعوزتها الصفات التى فى أجدادها

فراعنة من الكهنة

وكان خلفاء رمسيس ضعافا ، يلعب بهم الكهنة ، واستفحل أمر هؤلاء الى أن استقلوا بالملك ، ولم يقف الفراعنة منهم موقفا مشرفا ، فقد بلغ من ضعفهم أن حاولوا نيل الحظوة لدى الأشوريين بتقديم الهدايا كأن مصر قبرص أو كريد تتزلف الى تحتمس الثالث



الفصل الثامن

مصر فى أيدى الأسيويين

فقدت مصر أيام ملوكها الكهنة النوبة وطور سيناء وفلسطين، ولم يبق إلا وادى النيل بين البحر واسوان يتنازعه الاجانب، وتقلد تاجه ملوك من الليبيين والنوبيين .

الملوك الليبيون ٩٤٥ - ٦١٢ ق ٠ م

كان مقر الملوك الليبيين مدينة بسطة فى الدلتا وأشهرهم شيشنق الذى كانت له صلات بسليمان ملك فلسطين . وفي أيام الليبيين ظهرت قوة الاشوريين فى آسيا

الملوك النوبيون ٧٢٢ - ٦٦١ ق ٠ م

قبل وصف اغارة النوبيين على مصر يجدر بنا فهم حالتهم فى بلادهم. تمصرت النوبة تحت حكم الفراعنة تمصراً يكاد يكون تاما وقامت فيها العبادات المصرية، وصار لكهنة آمون فيها نفوذ كبير وعلى الاخص فى الاقليم الخصب بين الشلالين الثالث والرابع (مديرية دنقلة) ومركزهم هناك مدينة نباطى واستقلوا به وصاروا يقيمون هناك ملوكا . ثم علموا أولئك الملوك أن ملكهم يجب أن لا يقصر على النوبة بل يجب أن يمتد شمالا حتى اسيوط

بعنجى

وكان من أثر ذلك أن غزا بعنجى مصر وتم له فتحها وتقلد عرشها . وكان بعنجى فاتحا رحيما يجرى فى عروقه دم الفراعنة ، ويخطئ من يرى فى اغارة النوبيين تغلب الزنوج الافريقيين على مصر فالنوبة بلاد مصرية من قديم الزمان

الاشوريون ومصر

وفي أيام الملوك النوبيين تغلب آسر حدون ملك الاشوريين على الدلتا سنة ٧٦٠ ق ٠ م ٠ وتنازع مصر الاشوريون والنوبيون الى أن قام أمير مصرى اسمه بسماتيك فى مدينة سايس في غربى الدلتا ونجح

بسماتيك
النهضة المصرية

بالاستعانة بجنود مرتزقة من الاغريق في الاستقلال بمصر وكان ذلك عام ٦٥٢ ق. م.

وقد اعتمد على الاغريق ، وشجعهم على الاستيطان فى البلاد وعمل على تنمية الزراعة والصناعة

وقد بدأت مصر أيامه تحيا بعض الشيء ويسمى المؤرخون ذلك الدور من تاريخها بعصر النهضة المصرية .

ولم تكن تلك النهضة إلا محاكاة المصريين لحضارتهم الأولى وتقليدهم الفنون والآداب الأولى والمبالغة في ذلك حتى أعادوا كل شيء كما كان عليه ولم ينسوا أتفه الاشياء . ويجب أن لا يغرب عن البال أن مصر بذلك لم تستعد شبابها الأول بل كانت كالرجل الهرم يقلد الشاب في هيئته ويخفى أثر الكبر فيه بالدهان

نهضة فارس والاغريق

إنما كانت النهضة الحقيقية إذ ذاك نهضة الفرس والاغريق . فتغلب الأول على دول الشرق القديم وانتشر الآخرون فى البحر الابيض المتوسط ثم تصادم الشعبان وتنازعا السيطرة كما سيفصل بعد

ملوك النهضة المصرية
نخاو

خلف بسماتيك الأول ابنه نخاو ، وقد شجعه سقوط الاشوريين (سنة ٦١٢ ق. م) على الاغارة على فلسطين ، ولكن لم يلبث أن طرده عنها البابليون . وقد اهتم بالتجارة فكانت له سفن فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر ؛ وحاول توصيلهما بقناة . ويقال إنه هلك فى ذلك نحو ١٢٠٠٠٠ عامل . ولما تنبأ متنبيء بأن القناة لن تنفع إلا الاجانب أقلع عن فتحها . وقد قال ديودور بأنه عدل عن فكرته لما عرفوه أن البحر الاحمر مرتفع عن البحر الابيض المتوسط وأن فتح القناة قد يغرق الدلتا . وقد ظل هذا الرأى الفاسد حتى القرن التاسع عشر

ويقال إن بعض ملاحى نخاو ساحوا حول سواحل افريقية كلها

ابريس
احمس

ومن ملوك هذه الاسرة أيضاً ابريس ، وقد ثار عليه المصريون لما رأوا من شدة ميله للاجانب ، وتولى مكانه قائد جنده احمس أو اماسيس

نوقراطيس

ولم يكن احمس هذا بأقل تحيزاً للاغريق فأسسوا فى أيامه مدينة نوقراطيس بالقرب من فرع النيل الغربى وكانت مدينة أغريقية صرفة يتبادلون فيها حاصلات بلادهم ويصنعون بها الصناعات الاغريقية وبها معابد اغريقية

وكانوا مستقلين فى حكمها مرتبطين بالحكومات الأغريقية فى كل شيء حتى أن دار الحكم فى نوقراطيس شيدت على نفقة الحكومات الاغريقية (١)

تغلب الفرس على مصر ٥٢٥ ق . م

وربما كان الدافع لاحمس على اتباع هذه السياسة رغبته في تشجيع التجارة . والثابت أنه كان شديد الخوف من الفرس الذين امتلكوا غربى آسيا وقضوا على الدول القديمة به ، فظن أنه قد يجد فى الاغريق حلفاء يمنعون الفرس عنه

وقد وقع ما كان يخافه احمس فى عهد خلفه بسماتيك الثالث وذلك أن قمبيز غزا مصر عام ٥٢٥ ق . م . وتغلب عليها .

وصارت مصر جزءاً من الدولة الفارسية ولم تستعد استقلالها إلا أيام البطالسة .



(١) تشبه نوقراطيس فى الوقت الحاضر الاحياء التى يسكنها الاجانب فى بعض المدن الصينية مثل شنغاى

الفصل التاسع

أرض بابل واشور

بابل دولة قديمة قامت فى الارض بين الفرات والدجلة

الفرات

يجرى الفرات في ثلاث مناطق : الأولى أرض جبلية ، والثانية سهل لا شجر فيه ، والثالثة تنتهى عند الخليج الفارسى وتتكون من رواسب النهر .

الدجلة

و يمر الدجلة أيضا في ثلاث مناطق كمناطق الفرات . وقد سكن الاشوريون فى الجزء الجبلى من مجراه . و فى خط عرض بغداد يقترب الدجلة من الفرات فلا تزيد المسافة بينهما على خمسة وثلاثين ميلا ثم يبتعدان

ويفيض الفرات والدجلة بغتة عند ما يذوب الجليد فى الجبال (بين شهرى مارس ومايو) ويرتفع النهران ارتفاعا كبيراً يجرف السدود التى يقيمها الناس لحماية الارض . هذا الى أنهما يجلبان كمية كبيرة من الطين و يرتفع أسفلهما ارتفاعا سريعا وترسب منهما رواسب سميكة فكان مصباهما أيام الاسكندر الاكبر يبعد أحدهما عن الآخر والان يلتقيان عند البصرة على بعد ٣٠٠ ميل من البحر . كل ذلك جعل مسائل الرى في أراضى بابل أدق منها فى مصر كثيرا

الارض غرب الفرات

والارض غربى الفرات إما مراعي و إما صحارى جرداء متصلة بصحارى شبه جزيرة العرب ، وكان لاهلها تأثير كبير فى تاريخ البلاد الزراعية والقريبة منها

الارض شرق الدجلة

والارض شرقى الدجلة جبلية مرتفعة متصلة بهضبة إيران وهى عبارة عن سلاسل من الجبال وفيها وديان تصلح لسكنى الانسان ؛ ولكنها منعزل بعضها عن بعض . وفيها أيضا بحيرات كبيرة مثل فان وارميا

فى الشمال وشيراز فى الجنوب وفي بعض تلك الوديان نشأ الفرس والميديون

الارض شرقى الخليج الفارسى ـ بلاد عيلام

وترتفع الارض شرقى الخليج الفارسى ارتفاعا كبيرا وتصد الرياح وتهطل على سفوحها الامطار فصارت أرضاً كثيرة الغابات، وصارت يطمح فى امتلاكها أهل السهول القليلة الشجر، وهذه هى بلاد عيلام

موازنة بين مصر وبابل

(١) اختلاف اتجاه الانهار : ينبع النيل في الجنوب ويتجه شمالا، فصار الجزء الشمالى من واديه (مصر) في منطقة مناخها معتدل. وخلا ذلك الجزء أيضاً من الجنادل فيسير الماء هادئاً بين اسوان والبحر، ثم لا يحمل الى ذلك الجزء الشمالى من مجراه إلا ما خف من الطين الذى لا يعوق الملاحة، على عكس الفرات الذى يصل الى الدلتا ولم تكن قد رسبت منه الرواسب الثقيلة بعدُ فتعوق الملاحة عند الدلتا وتسبب طغيان الماء على الارض.

تكثر لذلك في تاريخ البابليين قصص لطوفان عظيم خرب العالم كله، وبينما المصريون القدماء يتخيلون الشر ظلاماً وبرداً كان البابليون يرمزون له بحيوان مخيف يرسل الماء مدراراً.

(٢) قامت المدنية المصرية في الوادى والبابلية والاشورية فى الدلتا.

(٣) اقتراب المدن البابلية بعضها من بعض وتباعد المدن المصرية ممتدة على طول النهر كله

(٤) بابل بلاد لا أحجار فيها على عكس مصر تماماً. وكان لهذا أثر بين في حضارتها، فالطين ولو جفف تماماً لا يصلح لعمل التماثيل ولا يمكن الرسم عليه. فالفن البابلى أعوزته حينئذ المادة التى عرف المصريون والاغريق كيف يخلدون بها فنهم

وقد استعمل البابليون الطين المجفف استعمالا غير مالوف؛ فقد كانوا يكتبون عليه

(٥) وبابل أيضاً أقل من مصر مناعة ؛ فتسكن الصحارى غربيها

قبائل البدو الرعاة يدفعهم فقرهم نحو الاراضى الزراعية

أما أساس الحضارة فى الدولتين فهو واحد وهو خصب الارض وتهيؤ الفراغ اللازم للإبتكار والتفكير . وتتوقف الحضارة في كلتيهما على حسن تدبير الرى وعدم الافراط أو التفريط فى استعمال الماء

علاقات بابل الخارجية

أثرت فى تاريخ بابل علاقاتها بالبدو وبسكان عيلام وبالاشوريين . أما عن البدو فقد كانت طبيعة بلادهم هى الدافعة لهم على الاغارات أو على التجارة

ونقل التجارة مهنة قديمة جداً في الصحارى إذ الصحارى تشبه البحار في كونها تصل بين أقاليم مختلفة ، وكما تقوم المدن التجارية على سواحل البحار فانها تقوم أيضاً عند اتصال الصحارى بالاقاليم الزراعية والصناعية أو في الواحات ، مثال ذلك دمشق وبخارى وبربر

وقد أثر البدو سكان الصحارى بالغزو والاغارات فى تاريخ البابليين تأثيراً كبيراً فجعلوا لغتهم سامية مثلا

أما عن الاشوريين فقد نشأت دولتهم في الجزء الجبلى من نهر دجلة وهو جزء متسع تكثر فيه النهرات ، ويقع على بعد من بابل فتمكن الاشوريون من انشاء دولتهم بلا تدخل منها ، ولكن لم يكن ذلك البعد بكاف لمنع الاشوريين من تهديد بابل عند ضعفها .

الفصل العاشر

بابل

مر تاريخ الحضارة البابلية فى أربعة أدوار متميزة :

الدور الاول

٣٠٠٠ - ٢٢٠٠ ق . م .

يعاصر هذا الدور عهد بناة الاهرام في مصر وينتهى عند ما أسس حمورابى ملك بابل في عام ٢١٠٠ ق . م

وفي ذلك الدور لم تكن الأرض خاضعة لملك واحد بل كانت فيها مدن مستقلة بعضها عن بعض كثيرة التقاتل . ويعرف هذا العهد بعهد المدينة السومرية من سومر وهو اسم يطلق على جزء كبير من تلك البلاد

المدينة السومرية

وليس للمؤرخين علم يقين بجنس السومريين والظاهر أنهم كانوا بيض الالوان جففوا المستنقعات وبنوا المدن وعرفوا طرق الري والزراعة ورعوا الغنم والماعز . وربما كانوا أول من استعمل العجلات تجرها الحمير للنقل . وكانوا كالمصريين إذ ذاك لا يعرفون الخيل ولهم خبرة باستعمال المعادن وصنع الاوانى النحاسية ، وربما وصل العلم بها اليهم من وادى النيل

الزراعة

وكانوا يكتبون بآلة حادة على الطين قبل تجفيفه فصارت كتابتهم تعرف بالخط المسمارى وقد تقدم وصف الطريقة التي بها فكت رموزها

الكتابة

وكانوا يحسبون السنة مكونة من اثنى عشر شهرا قمريا . وقد تعلم ذلك عنهم الاسرائيليون والفرس

الشهور

وقد اتخذوا مدينة نيبور مركز عبادتهم وبنوا فيها معبداً كبيراً يزعم بعض المؤرخين أنه برج بابل المشهور فى الاساطير . وقد كشف العلماء عن آثار نيبور عام ١٨٨٩ وزاد علمهم بتاريخ السومريين بذلك زيادة كبيرة

نيبور

وحول عام ٣٠٠٠ ق . م . نزل فى أرض أكاد شمالى سومر البدو الساكنون غربى الفرات وقام بينهم وبين السومريين كفاح شديد انتهى

الأكاديون

سرجون الاول

بانتصار الاكاديين على يد قائدهم سرجون ، وكان ذلك حول عام ٢٧٥٠ ق . م . ثم كون سرجون من فتوحه ملكا واحدا وحكم خلفاؤه الى عام ٢٢٠٠ ق . م واختلط الشعبان وصارا شعبا واحدا متحضرا بحضارة واحدة ؛ ونشأ بينهم أدب من أشهر ما فيه قصة الطوفان

الدور الثانى ٢٢٠٠ - ١٢٠٠ ق . م .

ثم ضعف هؤلاء الملوك ـ ملوك سومر واكاد ـ ودخلت بلادهم تحت حكم أهل عيلام الساكنين شرقى الخليج الفارسى ؛ وتلت ذلك اغارة جديدة من البدو غربى الفرات استولوا فيها على مدينة بابل نفسها ولم تكن اذذاك إلا مدينة صغيرة خاملة . وقد تم ذلك حول عام ٢٢٠٠ ق.م

حمورابى مؤسس ملك بابل

وقام فى بابل ملك اكتسب في التاريخ شهرة هو حمورابى

هزم حمورابى أهل عيلام وملك بلادهم عام ٢١٠٠ ق . م .

رسائل حمورابى

وقد أسعد الحظ المؤرخين فعثروا على خمس وخمسين رسالة لحمورابى قرأوا فيها ما يدل على شدة اهتمامه بملكه من تدقيق في جمع الاموال فى أوقاتها ونظر في أمور المعابد وهكذا

قوانينه

وعثروا له أيضا على القوانين التى سنها لحكم الدولة وهى أقدم ماوصل الينا من تشريع المشرعين . والظاهر أن حمورابى جمع القوانين والعادات المعمول بها فى وقته وأضاف اليها من عنده وسطرها جميعا على لوح من الحجر ، وفوقها رسم نفسه يتسلم القوانين من الشمس التى كانوا يعبدونها وقد وجد هذا اللوح في معبد قديم

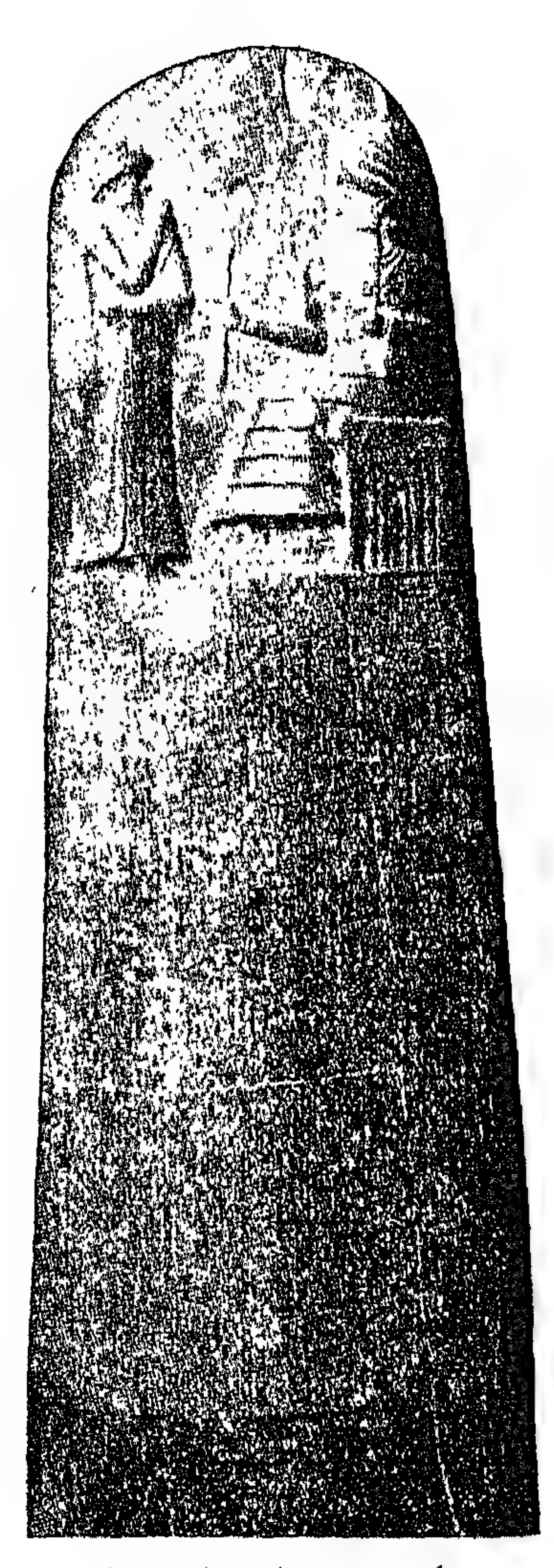
التجارة

وكان لحمورابى جيش ضرب به على أيدى العابثين بالامن وأخلد الناس للعمل فانتشرت في ظل النظام تجارة بابل وتعلم الناس في غربى آسيا الخط المسمارى من التجار البابليين

التعليم

وعنى أيضاً بالتعليم على وجه خاص بأعداد الموظفين ، وقد كشف العلماء فى سنة ١٨٩٤ عن آثار مدرسة وعثروا فيها على ألواح التلاميذ والظاهر أن البابليين كانوا يقدرون جودة الانشاء ، فكانوا يلقنون التلاميذ ان الانشاء الجيد يضىء كالشمس

ولكن لم يكشف العلماء بعد عن آثار فنية لعصر حمورابى



شكل (١٤) : لوح قوانين حورابي

الدور الثالث
١٢٠٠ - ٦٠٦ ق . م .
ملك آشور

وفي الدور الثالث ظهرت آشور وقد أقامها البدو في الأصل حول عام ٣٠٠٠ ق . م . وتعلم الاشوريون من السامرين خطتهم وعناصر حضارتهم .

بدء تاريخ الاشوريين

وقد ظل الاشوريون خاضعين لحكم بابل ، ولكنهم كانوا أمة حربية

اتقنت فن الحرب ومارسته ضد جيرانها الحيثيين والفينيقيين الذين كانوا إذ ذاك يحاولون انتزاع ملك مصر في آسيا

بنو اسرائيل والاراميون
مدنية الارامين

وجد الاشوريون حائلا دون تقدمهم فى استيطان بنى اسرائيل والآراميين في فلسطين وسوريا حول عام ٤٠٠ ق . م . وكان للآراميين حضارة تفوق ما كان للأشوريين إذ ذاك كانوا تجارا تعلموا الحروف الهجائية الفينيقية ونشروها فى آسيا فحلت بذلك محل الخط المسمارى ، وكانت دمشق مقر حكمهم

والخلاصة أن الآراميين تركوا أثرا كبيرا في تاريخ العالم اكبر كثيرا من أثر الاشوريين فيه فالاشوريون لم يكن مجدهم إلا حربيا محضا

استيلاء الاشوريين على دمشق عام ٧٣٢ ق . م .
سرجون الثانى
وسنخاريب

وفي القرن الثامن قبل الميلاد أخذ الأشوريين يقيمون صرح ذلك المجد الحربى فاستولوا على دمشق عام ٧٣٢ ق . م . وصاروا أقوى دولة فى أرض الفرات ذلك بفضل ملك عظيم هو سرجون الثانى (٧٣٢ - ٧٠٥ ق . م .) وابنه الاعظم منه سنخاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م.)

استيلاء على بابل

واخيرا استولى سنخاريب على بابل وهدمها واجرى الماء فوقها وكان رجلا غليظا اذا فتح بلدا اثقل كاهل أهله بالضرائب وكانوا اذا ثاروا اخمد ثورتهم بغلظة كبيرة

تاسيس نينوى

واسس نينوى واتخذها عاصمة ملكه وبنى لنفسه قصرا فخما وكان ملكه عظيما نظم به البريد كى يتم اتصاله بعماله في الاقاليم النائية

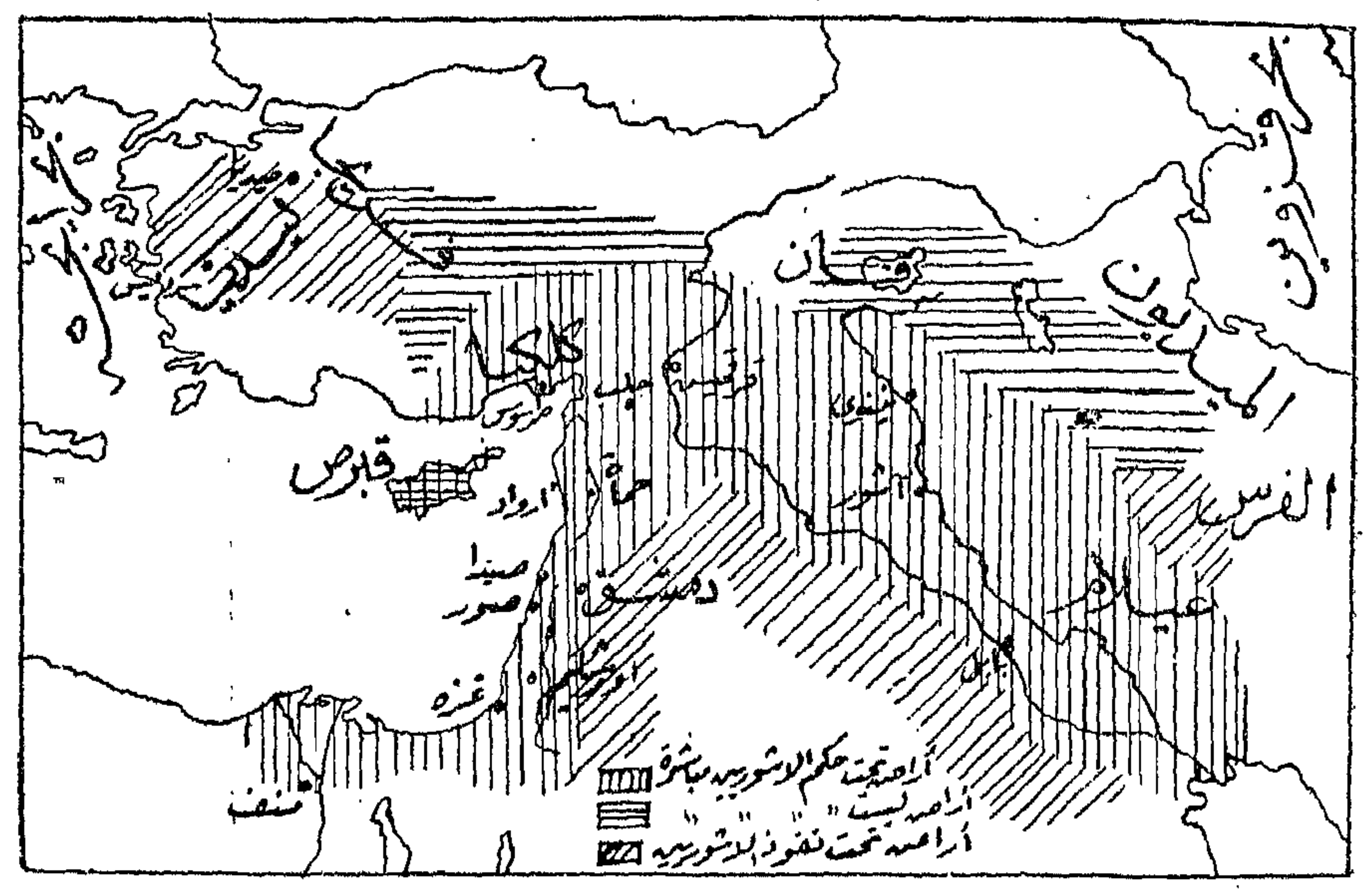
الاغارة على مصر

واغار سنخاريب على مصر ولكن تم فتحها بعده على يد اشور بانيبال

الجيش الاشورى

وكان الجيش الاشورى يتكون من مشاة مسلحين بالسهام والحراب ومن فرسان وعجلات حربية وا كتسب شهرة هائلة فى الشرق القديم ، وبه دوخ الملوك الاشوريون الدول القديمة وجمعوا نفائسها لتزيين قصوهم واشتهر العسكر الأشوريون بالقسوة في معاملة اعدائهم فكانوا يسلخون الاسرى وهم أحياء ، ويقطعون رؤوسهم على ملأ من الناس وفى كتب انبياء بنى اسرائيل وصف لكل ذلك

دولة الأشوريين في أقصى اتساعها (عهد اشور بانيبال)



مكتبة أشور بانيبال

وقد جنح اشور بانيبال الى السلم بعض الشيء، فترك مكتبة عظيمة، في المتحف البريطانى الآن ۲۲۰۰۰ لوح من محتوياتها، وموضوعاتها دينية وعلمية وادبية.

اضمحلال الاشوريين

سقوط نينوى ٦٠٦ ق. م.

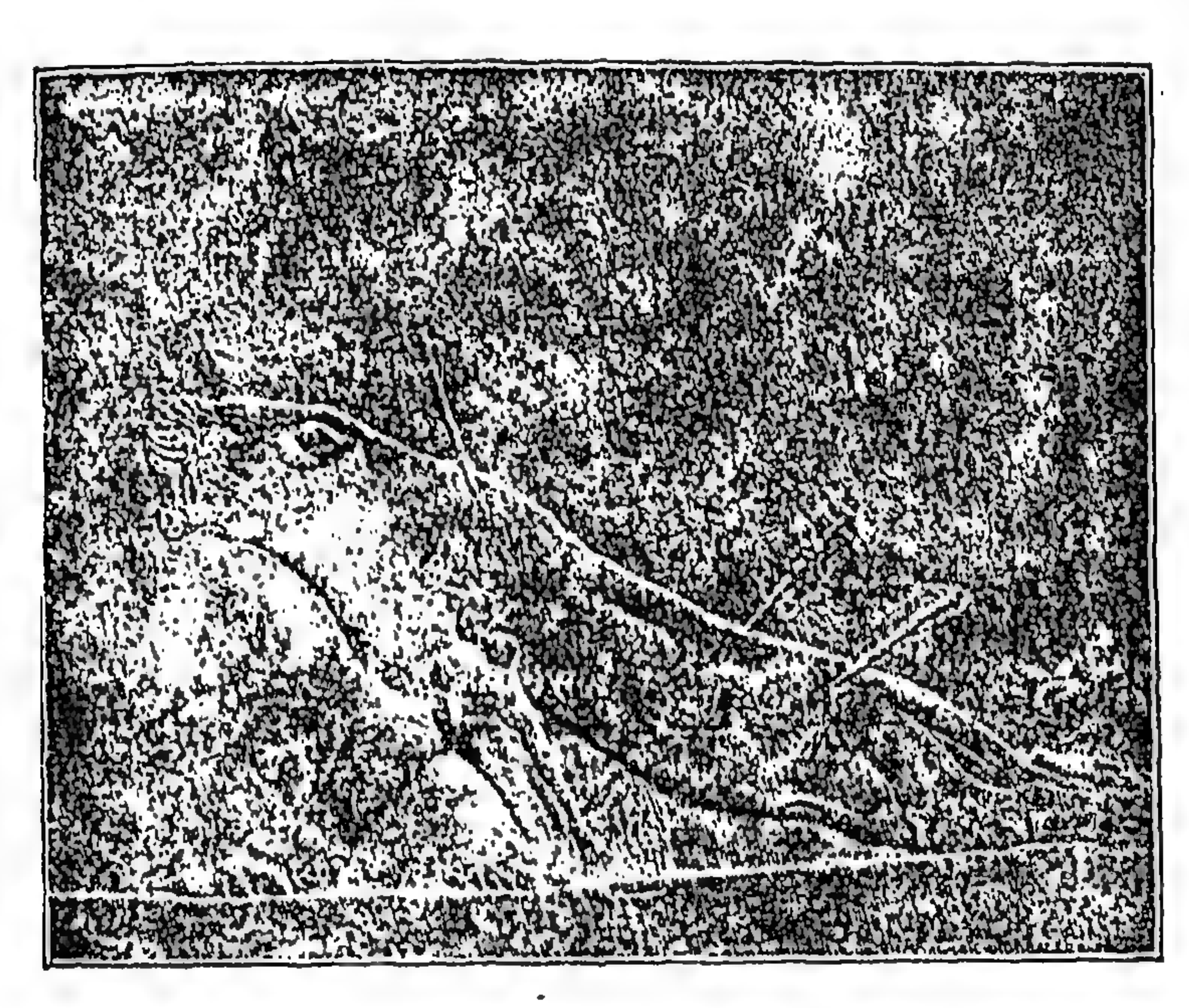
ثم اضمحلت دولة اشور واتحد عليها البابليون والميديون والفرس واستولوا على نينوى عام ٦٠٦ ق. م. ودالت دولتهم ولم تبق إلا اطلال حضارتهم.

وتنفس أهل الشرق القديم الصعداء. وقد وصف أحد أنبياء بنى اسرائيل ناحوم فرح الناس بسقوط عدوتهم جميعا فقال: «ويل لمدينة الدماء! عيدوا يا بنى اسرائيل أعيادكم. تعست رعاتك يا ملك اشور. تشتت شعبك على الجبال. ليس جبر لانكسارك. جرحك عديم الشفاء».

اسباب سقوط الاشوريين

واتخذ الوعاظ من سقوطها عبرة، إلا أن أسباب السقوط واضحة: فنشاط الملوك فى الفتح قصم ظهر الأمة، وأفنى الصناع، وأجهد الدولة. ثم حكمهم لأمم نائية مختلفة عنهم كمصر استلزم جهداً كبيراً

ولو كان الملوك أقل رغبة في الفتح لانصرف الاشوريون الى تأسيس مجدغير حربى ، فالاشوريون شعب عظيم . وقد برعوا فى صناعة التماثيل وأتقنوا تمثيل الحيوان على الاخص



شكل (١٥) : مثال من رسم الحيوان

الدور الرابع ٦٢٥ - ٥٣٩ ق . م .

وبعد سقوط نينوي ورث الحلفاء ملكها فاستولت بابل على سوريا والاجزاء الغربية من دولة الاشوريين ، واستولى الميديون على الاجزاء الشمالية والشرقية

دولة الكلدانيين

عظمت بابل مرة أخرى وتعرف الدولة الجديدة فيها بالدولة الكلدانية ومؤسسها نابوبولاسار. وخلفه ابنه نابوخذناصر الثانى (٦٠٥ – ٥٦١ ق . م .) . وهو الذي استولى على ارشليم عام ٥٨٦ ق.م واقتاد بنى اسرائيل أسرى الى بلاده

استيلاء نابوخذناصر على ارشليم ٥٨٦ ق . م .

وبنى قصرا هائلا وجعل فيه حدائق على عمد يعتبرونها من عجائب العالم السبع ، وبنى معابد ، وصارت بابل فى أيامه مدينة عظيمة

ولكن تلك العظمة لم تدم ، فالفرس حلفاء الكلدانيين صاروا عظيمى القوة ، وأخيرا فتح كورش ملكهم بابل عام ٥٣٩ ق . م

كورش يستولى على بابل

والفرس قوم يتكلمون لغة آرية وهم أول الآريين ظهوراً في التاريخ .

وكان للكلدانيين ولع بالفلك والنجوم فوصفوا الأبراج السماوية وبلغ من درايتهم أن تمكنوا من التنبؤ بأوقات الكسوف

الحضارة الكلدانية

ويتوقع العلماء أن البحوث فى اطلال بابل التى لم تبدأ إلا فى عام ١٨٩٩ ستكشف عن آثار يرجع عهدها لحمورابى



الفصل الحادى عشر

بنو اسرائيل

وصف فلسطين

فلسطين موطن أمة لم تترك رسوما وتماثيل ومعابد ضخمة ولكنها تركت ديناً وآداباً ، وأثرت بذلك في تاريخ الحضارة أثراً لا يقل عن أثر الاغريق . أمة كانت أول من عرف عقيدة الوحدانيـة السامية وعبدت الله ولم تتخذ له من الأوثان زلفى .

تلك هى أمة بنى اسرائيل نشأت في الصحراء ثم سكنت فلسطين ، وهى أرض مكونة من هضبة و وديان تتنوع فيها الحاصلات فالمسطحات على الهضبة تصلح للرعى ، والوديان تنبت الكرم والقمح والزيتون ، وفي الاغوار تلتف الاشجار

وقرب البحر تشرف الهضبة وهى هناك جرداء على الساحل . وفى هذا الساحل سكن الفلسطينيون . وقد تقدم ذكر قدومهم هناك(١) وفى الشمال يضيق الساحل و يكثر خصبة ، وفي الجنوب يتسع و يقل خصبه ويمتد نحو طور سيناء ويمر فيه الطريق بين مصر وبلاد الشرق القديم

نزح بنو اسرائيل من الصحارى الى فلسطين فاحتاجوا الى تغيير نظامهم الاجتماعى الذى نما فى الصحارى حتى يصلح لهم في بيئتهم الزراعية التجارية الجديدة وشق على بنى اسرائيل التخلى عن عاداتهم ونظامهم وحاولوا المحافظة عليه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

التوطن فى فلسطين والخروج من مصر

نبذ بنو اسرائيل العيشة البدوية وتوطنوا فلسطين . و يقال إن ذلك تم بين سنتى ١٤٠٠ و ١٢٠٠ ق.م. و يقول المؤرخون إنهم ذهبوا الى مصر وإنهم قاسوا كثيرا على يد الفراعنة . ومن المؤرخين من

---

(١) ص ٥٢

يدعى أن الذى سامهم سوء العذاب من الفراعنة كان رمسيس الثانى ومنهم من يزعم أنه منفتاح ثم خرجوا من مصر تحت زعامة النبي موسى كما جاء فى الكتب المقدسة

هذا وقد تقدم القول أن خروجهم من مصر كان غالبا قبل ذلك التاريخ (١) فالثابت أنهم كانوا في فلسطين قبل زمن رمسيس الثانى ومنفتاح إذ أنهم انتهزوا تفكك ملك مصر أيام اخناتون للاغارة على فلسطين وفوق ذلك فلا ضرورة تحتم أن يكون كل من كان فى فلسطين من بنى اسرائيل من نفس القوم الذين خرجوا من مصر

بنو اسرائيل والكنعانيين

ولما سكن بنو اسرائيل فلسطين وجدوا بها الكنعانيين وهم من جنسهم تماما ، فامتزج الشعبان امتزاجا تاما .

ثم قام النزاع بينهم وبين الفلسطينيين سكان السواحل وكانوا متحضرين مترفهين إلا أن الضعف كان قد أخذ يدب فيهم وقد كرههم بنوا اسرائيل لعبادتهم الأوثان . فاتحدوا عليهم تحت زعامة شاول

ملك شاول

إلا أن شاول لم يكن على وفاق مع رجال الدين ، فقد كان هؤلاء يريدون ملكا يأتمر بأمرهم ويتبع نصحهم فى كل شىء ، ولم يرض شاول أن يكون ذلك الملك . ففتك بعدد كبير منهم ، فساعد من بقى منهم داود على تولى العرش بدلا من شاول

ملك داود
١٠٠٠ — ٩٦٠
ق . م .

ملك داود وكان رجلا قويا أخضع رجال الدين بعد أن ساعدوه . وتحصن فى ارشليم وتغلب على الفلسطينيين ونظم ملكه على نمط الدول المتحضرة المجاورة

ولكن كانت تغلب على ملكه الصفة الحربية وتقل فيه رفاهية الحضارة

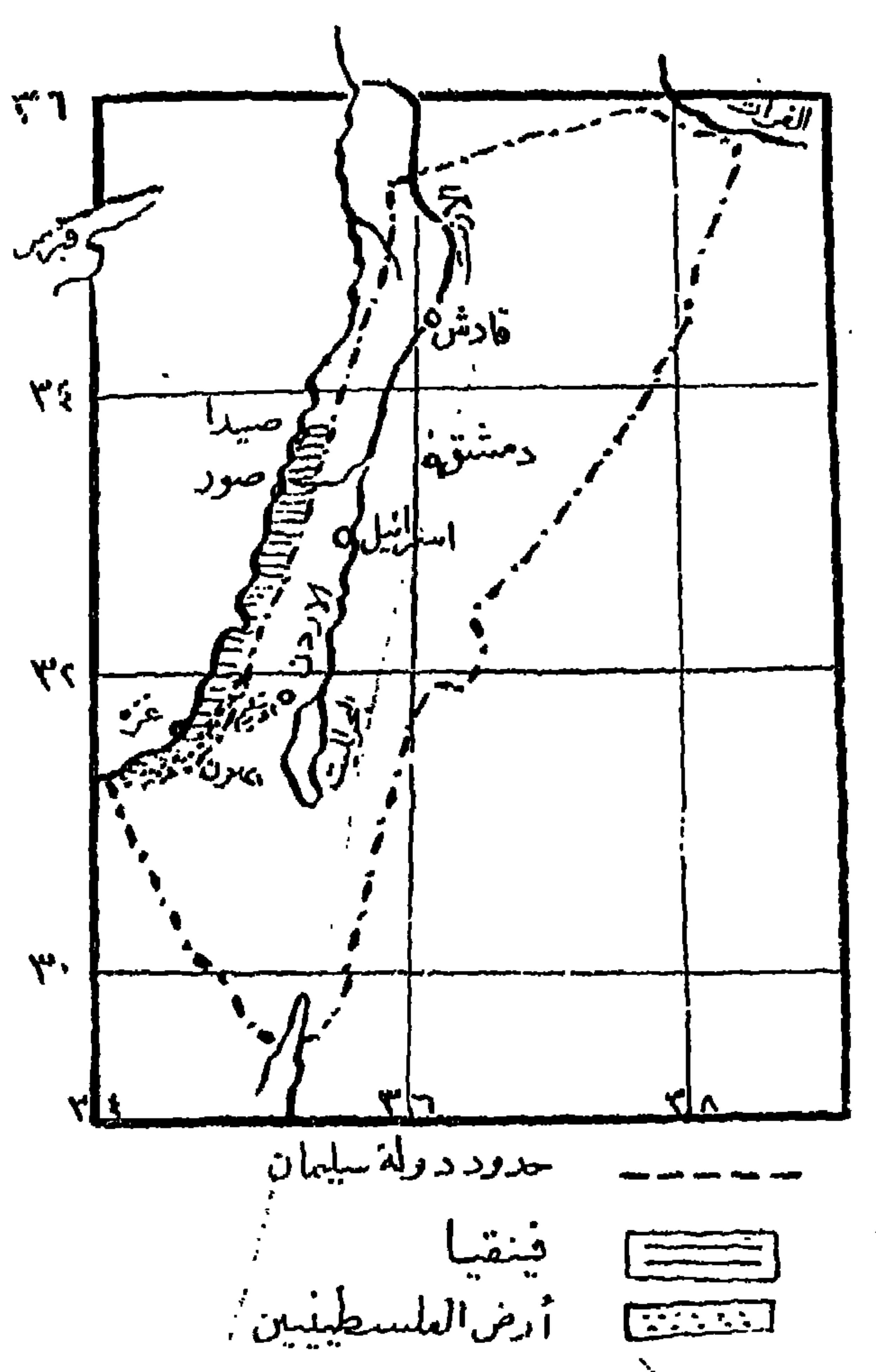
ملك سليمان
٩٦٠ - ٩٣٠
ق . م .

وخلف داود ابنه سليمان وكان ملكه أفخم من ملك داود شاول بنى سليمان المعبد ونبذ سذاجة ابيه وبسط يده وقد عرف سليمان كيف يستفيد من موقع فلسطين الجغرافى فتاجر مع حيرام ملك صور المدينة

(١) ص ٣٧

الفينيقية الكبيرة واتصل حتى بجنوبى شبه جزيرة العرب ، وله مع بلقيس ملكة سبأ قصة مشهورة وتزوج احدى بنات فرعون

وقد أثار كل ذلك اعجاب بنى اسرائيل وتحدث أهل الشرق القديم بخزائن سليمان ومبلغ قدرته



ضعف ملك بنى اسرائيل الانقسام الى مملكتين الشمال والجنوب عام ٩٣٠ ق . م

وقد بدت بوادر الضعف فى هذا الملك سريعا فلم تحتمل موارد الاسرائيليين الضرائب التى استلزمتها أبهة سليمان فثاروا أيام ابنه وانقسموا قسمين مملكة اسرائيل فى الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب ومقرها اورشليم

الكتابة العبرية اول تاريخهم ٨٥٠ ق . م .

وبعد ذلك تبنى الاسرائيليون استعمال الفخار والخط المسمارى وكتبوا على الورق بالمداد مستعملين الحروف الهجائية الفينيقية ثم قص مؤرخ مجهول أول تاريخ لهم ضمنه أخبار آبائهم ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف

اشور تمحو مملكة الشمال

إلا أن الانقسام أضعفهم وتنبأ نبيهم عاموس بسقوط مملكة اسرائيل لسوء معيشة أهلها . وقد تحقق ذلك فاستولى الاشوريون على سامريا عاصمة المملكة عام ٧٢٢ ق . م . وسقطت المملكة الشمالية بعد مائتى عام من تأسيسها ، وعانى الاسرائيليون أول أسر في بلاد أعداء دينهم

الاسر الاول

أما مملكة يهوذا فظلت قائمة مائة وخمسين سنة بعد ذلك وقام فيها نبي عظيم حوالى عام ٧٠٠ ق . م . هو أشعيا . وذلك وقت ظهور سنخاريب وعلو كلمته فى الشرق . وقد تنبأ أشعيا في خطب بلغت غاية الفصاحة بأن سنخاريب لن يفلح فى الاستيلاء على أرشليم . وقد تحققت تلك النبوءة فقد فتك بجيش سنخاريب طاعون مبيد ونجت أرشليم بذلك ثم سقطت نينوى عام ٦٠٦ ق . م . و زال الخطر على يهوذا من الاشوريين

النبي أشعيا

القضاء على المملكة الجنوبية ٥٨٦ ق . م.

ولكن ظهر لهم خطر أكبر : فقد قامت دولة الكلدانيين . وفى عام ٥٨٦ ق . م . استولى نابوخدناصر على أرشليم واقتاد الاسرائيليين إلى بابل و بذلك انتهى ملك بنى اسرائيل بعد أربعمائة وخمسين عاما من انشائه على يد شاول .

الاسر ٥٦٨-٦٢٩ ق . م

وفى الاسر ازداد حنينهم إلى بلادهم وبكى شعراؤهم فلسطين : —

على أنهار بابل جلسنا وبكينا عند ما تذكرنا صهيون
على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا ، لأن الذين أسرونا طلبوا
منا أن نرنم لهم من ترنيمات صهيون
كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة ، إن نسيتك يا أرشليم
تنسى يمينى . . .
« يا بنت بابل طوبى لمن يجازيك جزاءك الذين جزيتينا »

العودة الى الوطن
٥٣٩ ق . م.

وعندما استولى كورش ملك الفرس على بابل عاد بنو اسرائيل إلى فلسطين وبنو معبدهم . ولكن ملكهم لم يعد بل صار أصحاب الأمر فيهم رجال دينهم وبذلك تحول ملكهم إلى رياسة دينية

الآداب الدينية

ثم جمعت بعد ذلك أخبار ملوكهم وأنبيائهم وأنشئت المزامير للتغنى بها فى المعبد . وبعد ظهور المسيحية جمعت كل تلك الاشياء فى كتاب واحد هو العهد القديم .

الفصل الثانى عشر

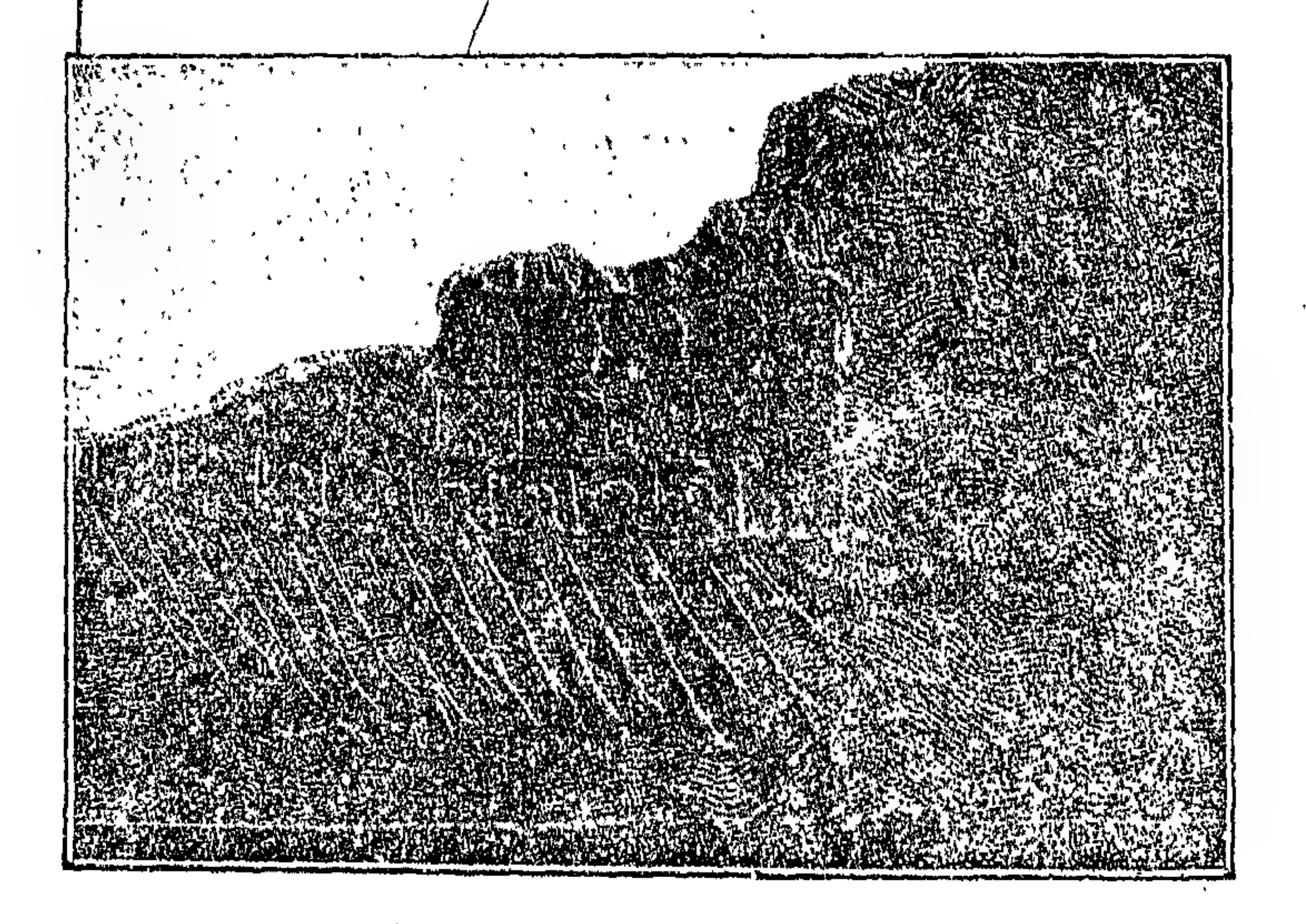
الحضارة الفينيقية

وصف فينيقية

فينيقيا سهل ضيق بين البحر الابيض المتوسط غربا وجبال لبنان شرقا ، وتنبع فى هذه الجبال أنهار تشق السهل وتصل الى البحر وهى سريعة الجريان لقلة البعد بين منابعها ومصابها

وقد اتخذ أقوام يتكلمون لغة سامية مدنا لهم على ساحل البحر اختاروا لمواقعها رؤس الساحل و الجزر الصغيرة القريبة منه ، فجمعوا بذلك بين صيد حيوان البحر و الزراعة وانشاء السفن

ثم قامت لهم تجارة فى خشب غابات الجبال وحاصلات سوريا . وكانت هذه التجارة قديمة جداً ، تسمع عنها قائمة في أيام الاسرة السادسة المصرية . واتسعت التجارة الفينيقية اتساعا كبيرا



شكل (١٦) : سفينة حربية فينيقية

الحضارة الفينيقية

وللفينيقيين أثر كبير فى التاريخ ، إذ كانوا رسل الحضارة الشرقية الناشرين لها فى أوربا

وأهم مدنهم صور وصيدا . وكانوا وثنيين : عبدوا معبوداً اسمه بعل ورمزوا له برجل فى رأسه قرنا ثور . وكان بعل هذا معبوداً قاسياً لا بد من اراقة الدماء لارضائه وتسكينه . وعبدوا أيضاً معبودة اسمها استارتة ورمزوا لها بامرأة فى شعرها هلال وتحمل حمامة وتمثل عندهم الربيع والحب . وقد نفر بنو اسرائيل من هذه العبادات الوثنية

التنازع فى المدن الفينيقية على الحكم

وأول تاريخهم كان عهد ثورات داخلية، اذ ان طبقة الاغنياء وذوى الانساب (الاستقراطية) حاولت أن تحكم المدن فثارت عليها العامة وقام النزاع بذلك : وكانت اذا تغلبت طبقة اضطهدت من تغلبت عليه فيضطر المغلوبون الى النزوح عن وطنهم والاستعمار خارج فينيقيا .

والاستعمار الفينيقى قرطاجنة

واشهر مستعمرات الفينيقيين قرطاجنة وقد أسسوها حول عام ٨١٤ ق.م

علامات الفينيقين بمصر واشور

لم يتحد الفينيقيون فى دولة واحدة ، ولم تكن هناك بين مدنهم الا روابط ضعيفة . وفي أول الامر كان لمدينة صور شبه رياسة عليهم ولم يكن للفينيقيين اطماع سياسية ، بل تفرغوا لتجارتهم لذلك كانوا يتزلفون الى الدولة القوية التي قامت بالقرب منهم ولو استلزم ذلك خضوعهم لها سياسيا . فخضعوا للمصريين أولا وللاشوريين ثانيا وللفرس اخيرا

الخضوع لمصر ١٦٠٠ – ١١٠٠ ق . م .

بدأ الخضوع لمصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة وانتهى أيام ثورة اخناتون ثم أعاده رمسيس الثانى

استقلال الفينيقين ١١٠٠ – ٨٨٦ ق .م.

ولما ضعفت مصر بعد موت رمسيس تمكن الفينيقيون من الاستقلال وصارت لصور الزعامة فيهم . ونشطت حركة الاستعمار

الخضوع للاشوريين ٨٧٦ – ٦٠٥ ق . م .

واستمر الامر كذلك الى عام ٨٧٦ ق.م عندما خضعت فينيقيا للاشوريين . ودامت سيادة الاشوريين حتى سنة ٦٠٥ ق . م .

الفينيقيون فى مصر

وفى اثناء خضوعهم لمصر سمح الفراعنة لهم بالاتجار فيها واسكنوا تجارهم فى احياء خاصة بهم فى مدن الدلتا وعلى الاخص في مدينة منف

مستعمرات الفينيقيين

ولما تخلصوا من السيادة المصرية نشطت حركة الاستعمار فاستعمروا فى قبرص ومنها انتقلوا لسواحل آسيا الصغرى ولجزيرة رودس وغيرها من جزر الارخبيل ، ولجزيرة كريد ومنها انتشروا شمالا فى تراقية فى شبه جزيرة البلقان

وقد عبروا مضيق الدردنيل والبسفور واستعمروا في بلاد القوقاز .

الاغريق والفينيقيون

ولما قام الاغريق بنهضتهم العظيمة وجدوا الفينيقيين أمامهم في كل مكان فقام نزاع بين الشعبين انتصر فيه الاغريق ، وارغموا خصومهم على التخلي عن الاجزاء الشرقية للبحر الابيض المتوسط

استعمار الفينيقيين فى غربى البحر الابيض المتوسط

فارتحل الفينيقيون الى الأجزاء الغربية منه واستعمروا فى ايطاليا وصقلية ومالطة وشمالى افريقية وسردينيا وجزائر البليار . وعبروا مضيق جبل طارق وانشئوا مدينة قادس فى اسبانيا ووصلوا الى سواحل بريطانيا وغالة (فرنسا الحالية) . ويقال إنهم زاروا سواحل افريقية الشرقية .

تجارتهم البرية

وكانت لهم أيضاً تجارة برية عظيمة ، وجلبت قوافلهم حاصلات بلاد العرب والهند والقوقاز واشور والسودان مثل العطور والاحجار الكريمة والذهب وسن الفيل وريش النعام والعبيد والسجاجيد والبلح .

وقد ربحوا ربحاً كبيراً من هذه التجارة الشاملة العالم كله على عهدهم وقامت في صور وغيرها صناعة راقية . واشهر صناعتهم نسج

صناعتهم

المنسوجات وعمل الأوانى من الذهب والبرونز والحلى والزجاج الشفاف ، واشتهروا خاصة بصبغ استخرجوه من الاصداف

حيرام ملك صور ٩٧٠—٩٢٦ ق . م .

وبلغت صور أقصى قوتها فى عهد حيرام صديق سليمان . وقد أرسل عمالا فينيقيين للعمل فى بناء معبده بارشليم

ثم استولى الاشوريون على فينيقيا في عام ٨٧٦ ق . م . واستخدم سنخاريب ملاحين فينيقيين في سفنه

ثارت صور مرارا وفى عام ٥٨٦ ق . م . حاصرها نبوخذنصر حصاراً دام ثلاثة عشر عاماً .

الخضوع للفرس ٥٣٨ — ٣٣٣ ق . م

ولما تغلب الفرس على الكلدانيين وصاروا أقوى دول الشرق خضعت لهم فينيقيا من عام ٥٣٨ الى عام ٣٣٣ ق . م . وكانت السيادة الفارسية عهد رخاء للفينيقيين ظهرت فيه مدينة صيدا .

وفى الحروب بين الفرس والاغريق نقل الفينيقيون على سفنهم عساكر الدولة الغازية صاحبة السيادة عليهم . فانتقموا بذلك من طرد الاغريق لهم من مستعمراتهم فى شرق البحر الابيض المتوسط

الاسكندر الاكبر

ثم ظهر الاسكندر الاكبر المقدونى وقامت الحرب بينه وبين ملك الفرس ففقد الفينيقيون من ينصرهم ويقيهم عداء الاغريق . وفي عام ٣٣٢ ق. م. استولى الاسكندر على صور بعد حصار دام سبعة شهور ودمرها ثم دخلت فينيقيا نهائياً في حوزة الرومان كجزء من سوريا

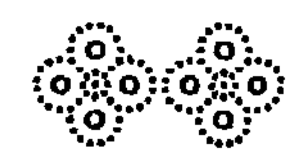
نفوذ قرطاجنة

ورثت قرطاجنة عظمة صور وحكمت المستعمرات الفينيقية في افريقية وصقلية واسبانيا ، وورثت أيضا عن صور عداوتها للاغريق والرومان . وسنرى كيف تغلبت روما على قرطاجنة وكيف دمرتها فى عام ١٤٦ ق . م .

سقوط قرطاجنة ١٤٦ ق . م

الحروف الهجائية

نقل الفينيقيون فيما نقلوا من حضارة الشرق الحروف الهجائية التى اتخذوها من الديموقراطية المصرية وجعلوها مكونة من اثنين وعشرين حرفا ساكنة ومتحركة ، وقد أخذ هذه الحروف عنهم الاغريق ومن الاغريق تعلمها الرومان .



الفصل الثالث عشر

الفرس

الفرس والاوربيون

يتكلم الفرس لغة آرية وكذلك الاوربيون لغتهم آرية وبذلك كان قيام دولة الفرس أول انتصار للناطقين بالآرية على الشعوب صاحبة اللغات السامية

وجدودهم الاول كانوا بدوا يسكنون بالقرب من بحر قزوين ومنهم أقوام تركوا مواطنهم واتجهوا غربا ثم سكنوا فى شبه جزيرة البلقان والى هؤلاء ينسب الاغريق والرومان، وأقوام رحلوا نحو الشرق فذهب فريق الى الهند وفريق سكن شرق الدجلة وهم الميديون والفرس

زروستر

حوالى عام ١٠٠٠ ق . م . قام بينهم معلم دينى عظيم اسمه زروستر . وعلمهم أن هناك آلهين أحدهما اله الخير واسمه اهور مازدا والآخر اله الشر واسمه اهرميان وان الالهين فى نزاع دائم

نمو ملك الفرس

كانت القوة أولا فى يد الميديين وهم الذين حالفوا بابل ودمروا نينوى عام ٦٠٦ ق . م . وكان الفرس إذ ذاك يخضعون لهم وكانوا غير متحضرين لهم آداب أو فنون أو كتابة ثم ظهر بين الفرس ملك عظيم هو مؤسس ملكهم ذلك هو كورش

كورش

فتح ليديا وآسيا الصغرى

٥٤٦ ق . م .

الاستيلاء على بابل

٥٣٩ ق . م .

تغلب كورش على الميديين ثم على ليديا، وهى مملكة اغريقية على شاطئ آسيا الصغرى ملكها اسمه كروسس وعاصمتها سرديس وذلك فى سنة ٥٤٦ ق . م . ثم حول الفتح نحو الكلدانيين فهزمهم واستولى على بابل سنة ٥٣٩ ق . م . وصارت دولته أقوى دول الشرق

وقد أتم خلفاؤه توسيع دولته

فتح قمبيز مصر

٥٢٥ ق . م .

فُفتح ابنه قمبيز مصر سنة ٥٢٥ ق . م . ولكنه فشل فى حملتين ارسلهما الى سيوه وبلاد النوبة والظاهر أن ذلك الفشل اغضبه فأهان المصريين

بذبح معبودهم ابيس . وقد اسرع فى العودة إلى بلاده لما علم بقيام رجل فيها ادعى الملك ولكنه مات فى الطريق

حكم دارا الاكبر وتنظيم الفتوح ٥٢١ - ٤٨٥ ق . م .

ثم تولى أمر الفرس الملك العظيم دارا الأول فنظم الملك وقسم الدولة إلى عشرين اقليما يحكمها ولاة من قبله

ولم يكن الفرس غلاظ الطبع كالاشوريين فتركوا للشعوب المحكومة شيئا من الحرية واكتفوا منها بالاتاوة والجند .

سوسه

ووصل دارا النيل بالبحر الاحمر لتسهيل المواصلات واهتم لتحقيق ذلك بانشاء الطرق والبريد وكانت عاصمته سوسه وموقعها في الشمال الشرقى من الخليج الفارسى وكانت له أيضاً مدينة ملكية لسكناه هى برسبوليس . وقد نقل الفرس فن البناء من مصر وبابل واشور وكتبوا أولا الخط المسماري ثم الارامى ثم الفينيقى

الاسكندر الاكبر

وقد بقيت هذه الدولة العظيمة الحسنة السياسة قائمة الى أن قضى عليها الاسكندر الاكبر في عام ٣٣٣ ق . م . ١

الدولة الفارسية في أقصى اتساعها (في الغرب) في عهد دارا الأول



الباب الثاني

الاغـــــــريق

الفصل الأول

كريد والحضارة الاغريقية الاولى

كريد وغيرها من الجزر وأشباه الجزر فى بحر الارخبيل بقايا أرض ممتدة من آسيا الصغرى لاوربا لم يغمرها الماء لارتفاعها

بحر الارخبيل

وفي كريد بيئة شديدة التنوع فى المناخ والحاصلات على ضيق الجزيرة ففيها جبال تكسوها الغابات وبها مراع وأرض زراعية ، فجمع أهلها بين الصيد في البحر والرعى والزراعة .

واتصال كريد بغيرها من الجزر أمر سهل ، فقامت بينها وبين سواحل البحر الأبيض المتوسط تجارة فى الاسفنج والسمك والزيت والنبيذ والاحجار والاوانى .

إلا أن اتصال اجزاء الجزيرة بعضها ببعض كان صعبا .

والخلاصة أن أهل كريد أوتوا بسطة فى العيش ، وأتمت الطبيعة عليهم نعمتها . فأمدتهم بأجمل المناظر مما بعث فيهم حبا للجمال ورقة فى الطبع

وقامت فى تلك الجزيرة فى عصور قديمة جدا حضارة عظيمة ولكن المؤرخين كانوا حتى القرن التاسع عشر لا يعرفون عنها كثيرا ، وكانوا

يظنون أن أول حضارة قامت فى تلك الجهات كانت الحضارة الاغريقية المشهورة فى التاريخ .

كيف كشفوا عن حضارة بحر الارخبيل شليمان . سير ارثر افانز

كان أول الكاشفين عن هذه الحضارة شليمان الالمانى . وتلاه باحثون آخرون أشهرهم الانجليزى سير أرثر افانز الذى رفع اللثام عن مدنية باهرة مقرها كريد

ترواده

بدأ شليمان بالحفر فى تلال تروادة فى الشمال الغربى من آسيا الصغرى في عام ١٨٧٠ وفى ظرف اربع سنين كشف عن بقايا تسع مدن الواحدة منها فوق الأخرى . وليست تروادة التى وصف هوميروس فى أشعاره تغلب الاغريق عليها اقدم تلك المدن التسع ، بل قدر العلماء الزمن بين تروادة هذه وبين أقدم المدن التسع بألف سنة

ثم انتقل شليمان الى بلاد الاغريق نفسها وأخذ يحفر فى أطلال قلعة

ميسينى

ميسينى بالقرب من خليج كورنث ، ووجد هناك قبورا من الحجر وعثر بها على تاج وآنية من الذهب الخالص ووجد أيضا آثارا مشابهة لها فى

تيرينس

مدينة تيرينس عند منتهى خليج ارجوس

أما مهد تلك الحضارة فلم يكشف عنه إلا في عام ١٩٠٠ عندمابدأ سير

كنوسس

ارثرافانز ينقب فياطلال كنوسس فيجزيرة كريد.وقدوالى سيرارثرالحفر حتى وصل الى أصول تلك الحضارة التى قدر أنها ترجع الى ٣٠٠٠سنةق.م

ومنذ ذلك الكشف ميز المؤرخون بين حضارتين الاولى وموطنها جزيرة كريد سموها الحضارة المينوية نسبة الى مينوس من ملوك الجزيرة المذكورين فى الخرافات الاغريقية ، والثانية وهى متفرعة عن الأولى وسموها الحضارة الميسينية نسبة الى ميسينى فى بلاد الاغريق

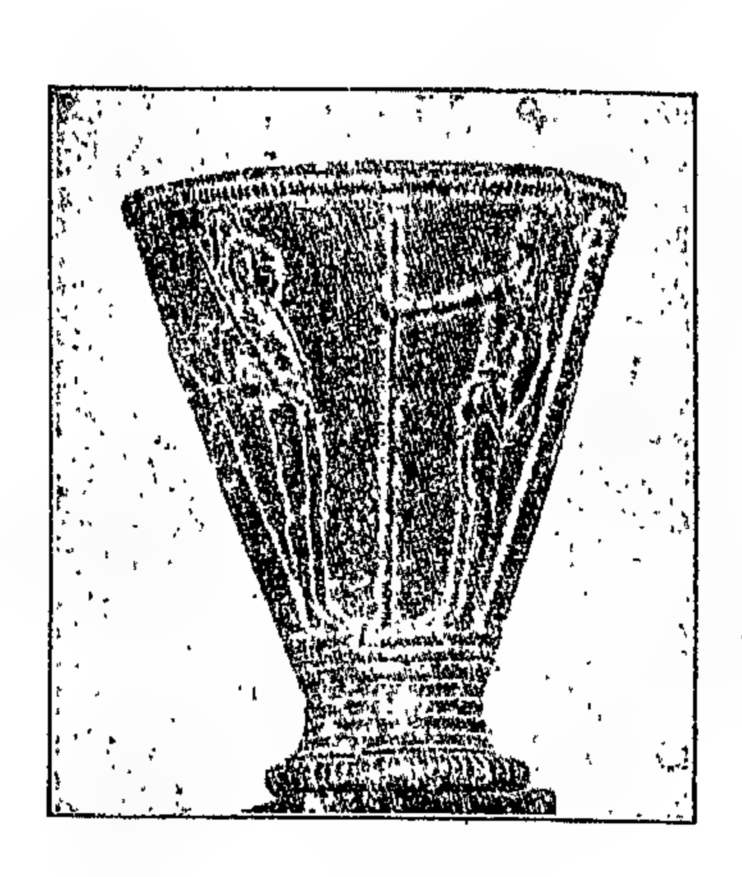
الكريديون

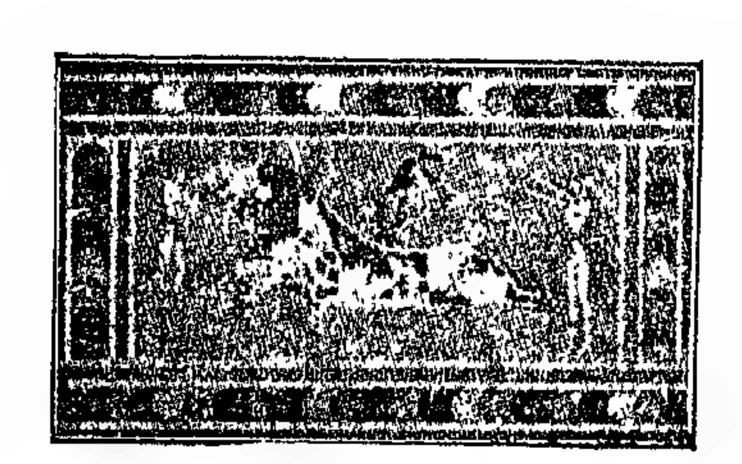
من هم اولئك الكريديون الذين قامت فيهم تلك الحضارة ؟

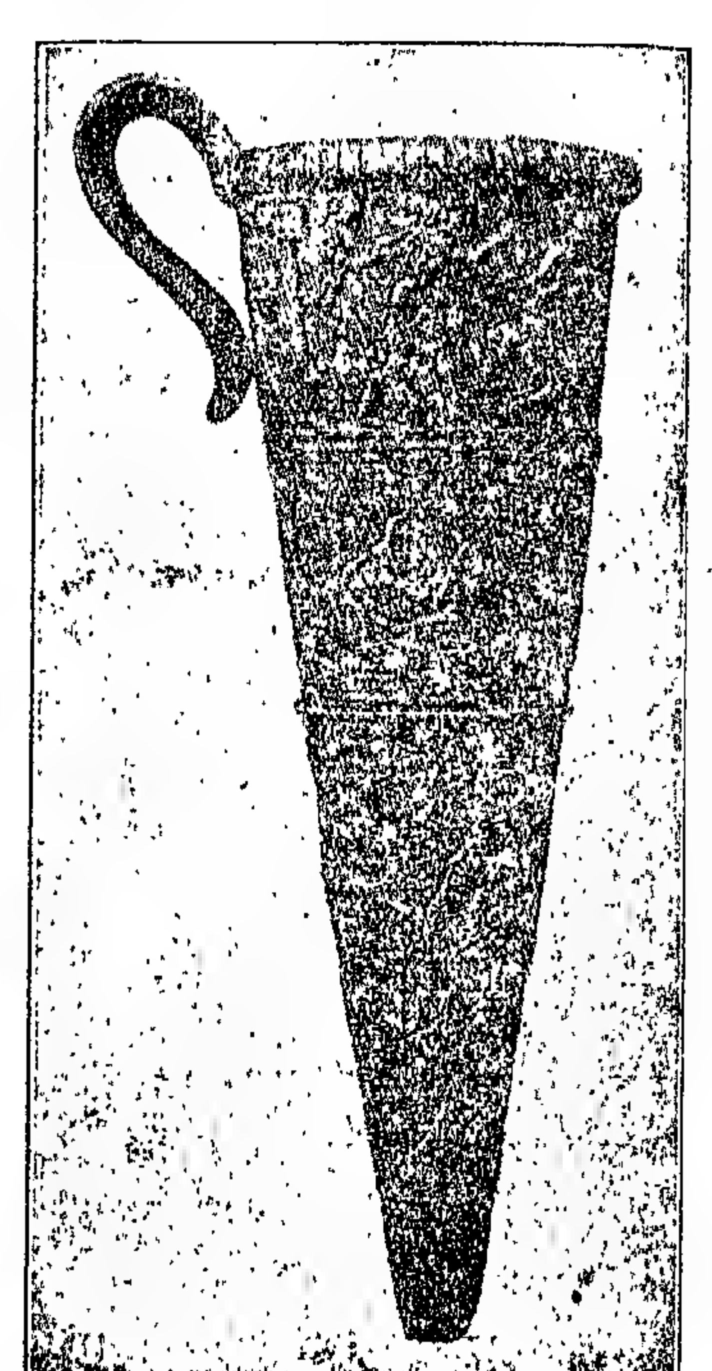
الرأى السائد انهم من الجنس الافريقى الابيض أو من جنس البحر الابيض المتوسط وليست لهم صلة جنسية بالاغريق المعروفين في التاريخ ويعتقدون أنهم كانوا على اتصال بالحضارة المصرية القديمة فنقلوا عنها

اشياء كثيرة : فآنيتهم تشبه الآنية المصرية وكتابتهم مأخوذة عن الرموز الهيروغليفية .











شكل (١٧) نماذج من الفن الكريدى

بنى الكريديون المدن وبرعوا فى الصناعة واتخذ ملوكهم بسكناهم فى كنوسس ، واصبحت لهم علاقات تجارية كبيرة بمصر ، وقد وجد الباحثون آنية كريدية فى القبور المصرية .

ولكن الكريديين لسوء حظ التاريخ لم يبنوا مبانى ضخمة تقاوم فعل السنين كمبانى المصريين ، وللان لم يستطع المؤرخون فك رموز كتابتهم

ازهى عصور الحضارة الكريدية ١٦٠٠ - ١٥٠٠ ق٠م

أما ازهى عصور تلك الحضارة فكان من عام ١٦٠٠ الى ١٥٠٠ ق٠م أى في عهد الاسرة الثامنة عشر المصرية ـ عهد تحوتمس الاول وحتشبسوت

الصور على جدران القصر الملكى

و فى ذلك العصر زين رجال الفن الكريديون جدران القصر الملكى بكنوسس بصور يخيل الى الرائى انها تتجسم فيها الحياة ، واتقن صناعهم عمل الآنية اتقانا لم يبلغه الصناع المصريون . وتمثل تلك الصور مناظر الحياة الكريدية بكل تفصيلاتها : يرى فيها الناظر السيدات وملابسهن التى لا تكاد تختلف عن احدث الملابس ولهوهن وغير ذلك من مناظر الحياة اليومية .

مساكن الكريديين

وقد سكن الملوك والعظماء فى مساكن من الحجر تتوافر فيها كل وسائل الراحة التى تجدها فى العالم اليوم مثل الحمامات وتقسيم المسكن الى غرف ومنافذ الاضاءة وتجديد الهواء وغير ذلك

خضوع كريد لمصر

وفى القرن الخامس عشر قبل الميلاد خضع الكريديون للسيادة المصرية وقد عثروا حديثاً على صحن من الذهب محلى بالنقوش اهداه تحوتمس الثالث الى قائد من قواده عينه حاكما على جزر الارخبيل

انتشار الحضارة الكريدية

ثم انتشرت الحضارة الكريدية الى بلاد الاغريق ومن مراكزها هناك تيرينس وميسينى وتعرف الحضارة هناك بالحضارة الميسينية . ويمتد عهد تلك الحضارة من ١٥٠٠ الى ١٢٠٠ ق ٠ م ٠

تروادة

وانتشرت قبل ذلك الى آسيا الصغرى حيث بنى الكريديون تروادة قبل ان تظهر ميسينى بألف سنة أى فى سنة ٢٥٠٠ ق.م. وصار لملوك تروادة شأن لا يقل عن شأن ملوك كنوسس ، ولكن ملكهم لم يشمل

الحيثيون

إلا الساحل فكان معظم الهضبة فى يد الحيثيين ، وقد تقدم الكلام عليهم

تدمير كنوسس أول مرة ١٥٠٠ ق . م .

وفى سنة ١٥٠٠ ق . م . أو بعدها بقليل أغار على كريد أقوام من الشمال وتغلبوا عليها وأحرقوا القصر الملكى بكنوسس ، ولكن الحضارة استمرت قائمة فى حالة ضعف خمسمائة سنة أخرى أي الى سنة ١٠٠٠ ق . م . عند ما تجددت إغارة أهل الشمال ودمروا كنوسس تماماً .

تدمير كنوسس النهائى ١٠٠٠ ق . م .

والظاهر أن هؤلاء المغيرين الآتيين من الشمال هم الدوريون المذكورون فى شعر هوميروس .

الفصل الثانى

قدوم الاغريق

بعد تدمير الحضارة الكريدية كانت فترة ساد فيها التبربر فى بحر الارخبيل وسواحله، واستمر الأمر كذلك الى أن قامت الحضارة الاغريقية

الحضارة الاغريقية

اذا قرنت هذه الحضارة بحضارة مصر و بابل تجدها أقصر منها عهداً: فلا يدوم أزهى عصورها أكثر من مائتى سنة اذا اعتبرنا المدة بين سولون والاسكندر الاكبر، ولكن لهاتين المائتى السنة أثراً خالداً فى تاريخ الانسان، ففي أثنائها ضرب الاغريق بسهم فى كل عناصر الحضارة من نظم سياسية وقانون وفنون وعلوم وآداب وفلسفة، ووضعوا الاساس الذى قامت عليه الحضارة الحديثة.

وللاغريق ميزة أخرى هى أن تأثيرهم لم ينتـه بانقضاء عهد استقلالهم السياسى فقد نشرت فتوح الاسكندر حضارتهم فى بلاد الشرق، وتتلمذ لهم الرومان بعد أن أخضعوهم لحكمهم فكانت الدولة الرومانية العظيمة إغريقية التمدين

من هم الاغريق

قدم الاغريق من مراعى وسط أوربا وأصلهم كما تقدم من مراعى قرب بحر قزوين ودخلوا شبه جزيرة البلقان حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. وقضوا نحواً من الف سنة فى الاستقرار فى شبه الجزيرة

الآخيون

وكانت أول القبائل قدوما قبائل الآخيين التى توغلت جنوبا فى أرض البلوبونيز (بلاد المورة الآن) وبعدها قدم الدوريون حوالى عام ١٥٠٠ ق.م. وأخضعوا الآخيين والكريديين الذين تقدم وصف حضارتهم وأسسوا مدينة أسبرطة الشهيرة. وبين عامى ١٣٠٠ و ١٠٠٠ ق.م

الدوريون

الايونيون

قدم الإيونيون، وما حلت سنة ١٠٠٠ ق.م. إلا وقد استقروا جميعاً فى شبه الجزيرة والجزر وسواحل آسيا الصغرى

الاغريق والكريديون
الدوريون يستولون على كنوسس

لا يعرف المؤرخون مصير الكريديين بعد تدمير حضارتهم، ويحتمل أن اختلط معظمهم بالفاتحين. وكل ما يعرف ان الدوريين استولوا على كنوسس حوالى عام ١٥٠٠ ق . م . ونقرأ فى أشعار هوميروس او الياذته حصار أهل الشمال لمدينة تروادة : والثابت أيضاً أن تلك الاغارات المختلفة سببت قلقلة عظيمة بين سكان الشرق جميعاً ، فاضطربت دولة الحيثيين فى آسيا الصغري وتحرك أقوام من أهل البحر نحو السواحل المصرية ، ولم يمنعهم عن مصر إلا بأس رمسيس الثالث، واستولى القوم المعروفون بالفلسطينيين على ساحل فلسطين . وعلى ذلك فما حلت سنة ١٢٠٠ ق . م . إلا وقد ضعفت الحضارة الكريدية .

حصار تروادة

أثر الحضارة الكريدية فى الاغريق

كان الاغريق وقت قدومهم متبربرين لا يعرفون كتابة ولا زراعة وكانوا رعاة . ولا بد أنهم تعلموا الكثير من الحضارة الكريدية فأسسوا المدن وخضعوا الملوك وأخذوا بالمعتقدات الدينية الكريدية وخرافاتها .

أثر الفينيقيين

ولا بد أن يكونوا قد تعلموا أيضاً من الفينيقيين . وقد تقدم كيف كان الفينيقيون منتشرين إذ ذاك فلا بد أن اتصل الفريقان وقلد الاغريق الفنون والصناعات الفينيقية وهذه كانت مصرية أواشورية أو بابلية الاصل . وعلى ذلك فمصدر الفن الاغريقى شرقى . وتعلم الاغريق أيضاً حروف الهجاء الفينيقية حوالى عام ٩٠٠ ق . م .

بدء الفن الاغريقى
الحروف الهجائية
المعتقدات الدينية

أما معتقداتهم الدينية فقد أخذوا الكثير منها عن الكريديين والفينيقيين

شعر هوميروس ٧٥٠ ق . م .

وقد عرف المؤرخون الكثير عن هؤلاء الاغريق الاول من شعر هوميروس وهو رجل مكفوف البصر من جزيرة خيوس وصف حصار تروادة في قصة شعرية طويلة . ولم تدون هذه القصة في أيامه انما كان يتناولها الرواة ويحفظها الناس لشدة اعجابهم بها ، وتعرف هذه القصة بالالياذة . وتلحق بهـــا قصة أخري تنسب أيضا لهوميروس واسمها الاديسيه وفيها وصف الشاعر ما جري لأحد أبطال الحصار بعد

الخرافات الاغريقية

الاستيلاء على ترو ادة الى أن عاد لبلاده . و للاغريق أيضا قصص خرافية شائقة كان يرو يها الرو اة المتنقلون من مدينة لاخرى و يتغنى بها المغنون في الولائم و الاجتماعات .

الآلهة

و من هذه الاشعار و القصص عرفنا ان الاغريق الاول كانوا يعتقدو ن أن آلهتهم تقطن جبل المبوس فى تساليا و انهم كانوا ستة من الذ كور وستة من الاناث ، كبيرهم زيوس و هو أبو الآلهة والناس، ومنهم ابولو آله الموسيقى و النور وافرديتى آلهة الجمال .

الفصل الثالث

عهد الملوك (١٠٠٠–٧٥٠ ق.م.) ٯ عهد الاشراف (٧٥٠–٦٠٠ ق.م.)

المدن الاغريقية

لم يكن للاغريق من أول ظهورهم دولة واحدة تجمعهم كلهم فى حكمها ولكن كانت لهم دول كثيرة جداً لاتزيد أرض الواحدة منها عن مدينة واحدة. ولكل منها ملكها وشريعتها وجيشها ومعبدها وعبادتها وهذا نظام سياسى لاتراه فى وقتنا الحاضر فالدولة الواحدة الآن تشمل مملكة بأسرها وأحيانا تشمل أقطارا نائية عنها

لماذا لم تكن للاغريق دولة واحدة

ويفسر المؤرخون ذلك بأسباب جغرافية: فبلاد الاغريق جبلية وسواحلها كثيرة الخلجان فيصعب قيام دولة واحدة فيها. والظاهر أن الاغريق ظنوا أن قيام الدولة الواحدة لايتفق مع الحرية، وأيدهم فى ظنهم مارأوه من الاستبداد فى الدول الشرقية العظيمة مثل فارس

وليس معنى ذلك أن الاغريق كانوا منفصلين انفصالا تاماً بعضهم عن بعض. فقد مرت بهم أزمات أدت الى اشتراك المدن المختلفة فى جهود واحدة وقامت بينهم أيضا أحلاف من المدن لاغراض دينية أو تجارية، فكان هناك حوالى عام ١٠٠٠ ق.م. أربعة أحلاف. أقدمها حلف أرجوس الذي تغلب على ميسينى وتيرنس الكريديتين واستولى على سهل أرجوس، ومنها حلف لاكونيا أواسبرطة الذى استولى على الاجزاء الجنوبية من شبه جزيرة البلقان المعروفة باسم البلوبونيز، وكان فى الشمال حلفان أولها حول مدينة أثينا اسمه اتيكا والآخر حول مدينة طيبة الاغريقية واسمه بوشيا.

حلف أرجوس — حلف لاكونيا — حلف أتيكا — حلف بوشيا

مظاهر الوحدة الاغريقية

١ ـ الألعاب الالمبية

ومما أظهر الوحدة الاغريقية الالعاب الالمبية، وأول ماعقدوها كان فى عام ٧٧٦ ق.م. ثم صارت بعد ذلك تقام كل أربع سنين مرة ويتبارى فيها اللاعبون من انحاء البلاد. وبلغ من قيمتها عندهم أنهم كانوا يؤرخون الحوادث بها.

٢ ـ المجامع الدينية

وكانت أيضا المجامع الدينية العامة يجتمع فيها الاغريق من مختلف المدن فى صعيد واحد ومن أشهرها اجتماعهم السنوى فى جزيرة ديلوس للاحتفال بابولو

٣ ـ وحدة اللغة

وللاغريق أيضا لغة واحدة وان تعددت لهجاتهم

٤ ـ أشعار هوميروس

ولهم أيضا أشعار هوميروس وهى تراث الاغريق جميعا يحفظها خاصتهم وعامتهم بذلك كله شعر الاغريق أنهم أمة واحدة على الرغم من استقلال مدنهم بعضها عن بعض، واتخذوا لانفسهم اسما واحدا هو أبناء هلاس، وكانوا فى نظر أنفسهم هم الناس ومن عداهم من الخلق برابرة

مميزات هذا العهد من تاريخهم

١ ـ التطور السياسى

ولهذا العهد من تاريخهم مميزات: أولها التطور السياسى فى المدن الاغريقية، فحدث فيها خلع الملوك واتخاذ حكم الاشراف بدل الملوك، ثم اغتصب الحكم فيها مغتصبون، وتخلص العامة من حكم المغتصبين واستولوا على أزمة الحكم فصار الحكم فى المدن ديموقراطيا أى حكم العامة

٢ ـ الاستعمار

وثانيها الاستعمار بين عامى ٧٥٠ و ٦٥٠ ق. م.

٣ ـ نمو الحضارة

وثالثها ارتقاء الصناعات والفن والآداب واصطباغها بصبغة جديدة مبتكرة بعد تعلمهم أصولها من الكريديين والفينيقيين.

نمو الحكم الديموقراطى

تقدم أن الملوك كانوا أول من حكم المدن، وكانوا يعتقدون أنهم من نسل الآلهة، ولكن على الرغم من ذلك لم يكونوا تامى السلطة فقد كان بجانبهم مجلسان أحدهما للشيوخ والآخر لاحرار الناس. وقد بقى هذا النظام حتى عام ٧٥٠ ق. م. وفى بعض الجهات ظلت الملكية قائمة أبدا مثل مقدونيا واسبرطة وحوالى ٧٥٠ ق. م. ألغيت الملكية فى أكثر المدن الاغريقية وحل محلها النظام الارستقراطى أو حكم الاشراف. وقد استمرت الارستقراطية فى بعض المدن ولكنها تحولت إلى الديموقراطية فى اكثر الجهات وصار الحكم فى أيدى العامة غير الارقاء الذين كانوا كثيرى العدد وغير الاجانب.

وقبل ان تنتصر الديموقراطية حدث أن السلطة كان يغتصبها رجل واحد، ومن المغتصبين من شجع الفنون والآداب وكان عادلا فى حكمه وبعد القرن السادس قبل الميلاد لم يكن هناك مغتصبون إلا في بعض المستعمرات الاغريقية كصقلية

الفصل الرابع

الاستعمار الاغريقي

فضل الفينيقيين

للفينيقيين فضل تعليم الاغريق كيف يصنعون السفن وكيف يسيرونها . ولما تم ذلك انتشر الاغريق فى البحار .

بواعث الاستعمار

دفعهم لذلك نزاع الأحزاب السياسية فى المدن ورغبة المغلوبين فى عراك السياسة فى النزوح الى أرض غريبة بعيدين عن أعدائهم . وكان الاتجار أيضاً باعثا قويا ، فأسسوا لهذا الغرض مستعمراتهم فى البحر

بزنطة ٦٥٨ ق . م .

الاسود ، ومن أشهرها بزنطه التى انشئوها سنة ٦٥٧ ق . م . ومن أجل

نوقراطيس

التجارة أيضا حلوا فى قبرص وسكنوا نوقراطيس فى مصر

جنوب ايطاليا

اتسعت حركة الاستعمار وامتدت غربا فسكن الاغريق جنوب ايطاليا حيث كانت مستعمراتهم تعرف باسم ماجنا جريشيا . وعلموا أصحاب البلاد الاصليين كتاباتهم وفنونهم .

سيراكيوز ٧٣٤ ق . م .

وسكنوا أيضا جزيرة صقلية وانتزعوا منها مستعمرة سيراكيوز من أصحابها الفينيقيين فى سنة ٧٣٤ ق . م . وناصبوا قرطاجنة العداء مناصبة الند للند

ساحل آسيا الصغرى وجزر الارخبيل

وتحول ساحل آسيا الصغرى وجزر الارخبيل الى بلاد اغريقية صرفة . وبلغ من نشاطهم أنهم استعمروا فى ساحل غالة (فرنسا)

ماسيليا

الجنوبى ، ومدينة مارسيليا الحالية أصلها ماسيليا المستعمرة الاغريقية .

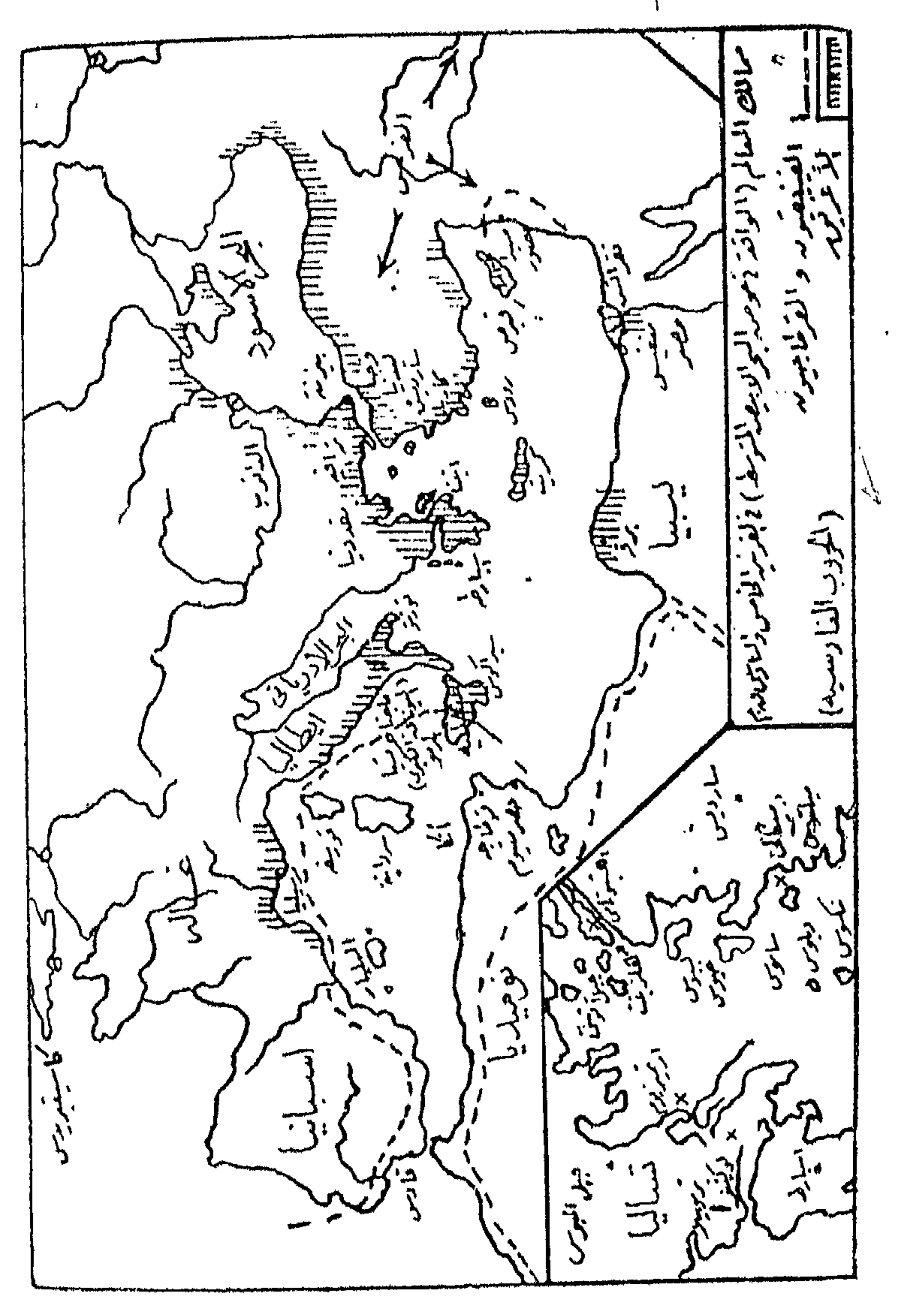
العلاقة بين المستعمرات والبلاد الاصلية

ومن أخص ما يذكر عن الاستعمار الاغريقى ان المستعمرات كانت مستقلة عن البلاد التى انشأتها ، فكانت العلاقة بينها علاقة حب وصداقة كالعلاقة بين افراد اسرة واحدة مستقل بعضهم عن بعض ولا تربطهم إلا أواصر القرابة

نشطت التجارة باتساع نطاق الاستعمار واثرى الاغريق ، فتطلبوا

الجديد فى الفن والصناعة وانتحوا فيها نحوا لم يسبقهم اليه أحد ، وارتقت فى ايديهم صناعة السفن وتم لهم فى آخر الامر انتزاع التجارة من الفينيقيين

وكانت هناك أيضاً نتائج اقتصادية وسياسية : منها أنهم سكوا النقود واستعملوها بدلا من المقايضة ، ومنها ظهور ذوى الثراء من التجار وكسرهم شوكة الاشراف :



الفصل الخامس

عهد المغتصبين (٦٠٠ — ٥٠٠ ق.م.)

المغتصبون

أصل الاغتصاب أنه فى أثناء النزاع بين الاشراف والعامة كان ينتهز الفرصة بعض ذوى الاطماع من الاشراف فيترك أهل طبقته و يتولى زعامة التجار والعامة ضدهم ، ويتدرج بذلك الى اغتصاب السلطة فى المدينة لنفسه

تجد ذلك النوع من الحكم سائدا حوالى عام ٦٠٠ ق.م. فى أكثر المدن ومن بينها أثينا .

سولون

و كيفية حدوثه فى أثينا أنه فى سنة ٥٩٤ ق.م. كان بينها و بين مدينة مجارا نزاع شديد على امتلاك سلاميس، فقام بين الاثينيين سولون وهو شريف أثرى بالتجارة واستنفر قومه وأثار ثائرهم بالخطب والشعر فانتزعوا سلاميس من المجاريين وأحبوا سولون حباً جماً وأسلسوا له قيادهم فوضع قوانين جديدة لاصلاح حال الفلاحين وأهل الطبقة الوسطى و كان تشريعه هذا خطوة فى سبيل الديموقراطية لأنه أدى إلى تساوي الناس فى نظر القضاء ثم وضع لاثينا دستوراً مهد لاشتراك العامة فى الحكم ، وبعد ما أتم عمله نزل عن سلطته بمحض رغبته .

بزيستراتوس

كليسثينيس

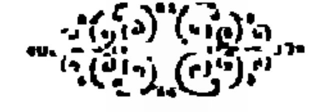
و وقعت السلطة بعده من عام ٥٤٠ ق.م. إلى عام ٥٢٨ ق.م. في يد بزيستراتوس وكان حاكما عادلا . ولكن ابنيه بعده لم يكونا على شاكلته فثار الناس ضدهما وصار صاحب الامر كليسثينيس . وقد تم هذا نقض النظام الارستقراطى فقضى على سلطة الأشراف ومن غرائب تشريع كليسثينيس أنه سن قانونا يجيز نفى من تقضى كثرة

النفى

الاثينيين باقصائه عن وطنه لمدة عشر سنوات

تقدم الحضارة

تقدمت الحضارة فى عهد المغتصبين فظهر شعراء مختلفون منهم بندار ومنهم سافو وهى امرأة شاعرة وعظم فن التمثيل وهو فن سيكون له شأن أيما شأن فى الأدب الاغريقى . وارتقى كذلك فن البناء وصنع التماثيل والآنية وابتدأ الاغريق يبحثون في الفلسفة والعلم ومن أشهر الفلاسفة الأول ثاليس ومن الرياضيين فيثاغورس



الفصل السادس

الكفاح بين الفرس والاغريق

٥٠٠ — ٤٧٩ ق.م.

تقدم القول كيف فتح كورش ملك الفرس مملكة ليديا الاغريقيه في عام ٥٤٦ ق.م. وقد كان من أثر ذلك أن تقابل الفرس والأغريق في آسيا الصغرى وجها لوجه، وذلك لأن اخضاع الليديين مكن الفرس من المستعمرات الاغريقية فى آسيا الصغري.

ثم مد قمبيز حكم دولته فشملت المدن الفينيقية وقبرص ومصر ومستعمرات الاغريق في أفريقية.

وفى عام ٥١٣ ق.م. تقدم الفرس نحو أوربا فغزا دارا تراقيا فى شبه جزيرة البلقان.

بذلك كله أصبح الفرس يحيطون بالاغريق احاطة السوار بالمعصم، ورأى الاغريق أن أعداءهم لا يهددون متاجرهم فقط بل إن استقلالهم وحضارتهم باتا تحت رحمة ملك الشرق العظيم. فكافحوه لا للنفوذ والغنى ولكن للدفاع عن أعز ما تملك أمة.

ثورة الاغريق فى آسيا الصغرى

بدأ الكفاح لما قامت المدن الاغريقية فى وجه الفرس فى سنة ٥٠٠ ق.م. وأرسل الاثينيون مددا للثوار نجح فى تخليص سرديس عام ٤٩٩ ق.م.

هاج ذلك دارا فصمم على تأديب الاغريق، وبلغ من عزمه أن أمر أحد اتباعه أن يكرر أمامه كل يوم: «مولاى! لا تنس الاثينيين.»

اخماد الثورة

وبعد عراك ست سنين تمكن دارا من اخماد الثورة فى آسيا الصغرى وخرب المدن وسبي أهلها، وأعد العدة بعد ذلك لعقاب الاغريق انفسهم

الحملة الفارسية ٤٩٢ ق . م . قامت الحملة الفارسية الاولى فى عام ٤٩٢ ق . م . ولكن الحظ خدم الاغريق فثارت عاصفة شتتت السفن الفارسية و أفسدت تدبير دارا.

الحملة الثانية ٤٩٠ ق . م . وبعد ذلك بسنتين أعاد دار الكرة . ونجح فى انزال جيشه عند ماراثون وتقابل الجيشان فى سهل ماراثون .

ماراثون

لم يكن للاثينيين فى تلك الواقعة من مساعد سوى مدينة بلاتيه الصغيرة وكانوا أقل من الفرس عددا ، ولكن كان لهم في ملتيادس قائد ماهر وكانوا على عكس الفرس شعبا حرا يحكم نفسه بنفسه وكانوا على عكس الفرس أيضا يحاربون لا للفتح و الغلب ولكن للدفاع عن وطنهم وأعراضهم وحريتهم .

انتصر الاغريق فى ماراثون . وقد قدر هيرودوت خسارة الفرس بستة آلاف رجل و الاغريق بمائتين .

ولانتصار الاغريق أثر كبير فى تاريخ العالم : إذ ان ذلك الانتصار حفظ لهم حريتهم ومكنهم من توريث العالم كله من غرب وشرق آراءهم فى السياسة والدين والعلم و الادب والفن والفلسفة .

ويؤيد هذا الانتصار رأى القائلين بأن حسن النظام والحماسة الوطنية قد يبلغان مالا تبلغه كثرة العدد وكمال العدة .

الحملة الثالثة ٤٨٠ ق . م . مات دارا قبل أن يثأر لنفسه ، فقام ابنه اجزركسيس بحملة في عام ٤٨٠ ق . م . وكان الاغريق فى تلك الاثناء قد أعدوا عدتهم ، وذلك ان أحد كبار ساستهم ثموستوكوليس تمكن من اقناع الاثينيين بضرورة إعداد قوة بحرية كبيرة حتى تكون الحرب براً وبحراً .

ثموستوكوليس

تقدم الفرس برا نحو اثينا ولم يبق عليهم للوصول اليها إلا اجتياز مضيق من الارض بين الجبال والبحار ، ذلك هو مضيق ترموبوليه ، وقد وقف لحراسته ليونيداس ملك اسبرطة . ولكن خائنا من الاغريق دل الفرس على مسالك فى الجبال تمكنوا بها من الاحداق بليونيداس وجنده وتركه معظم رجاله ولم يبق معه إلا ثلاثمائة اسبرطى قاوم بهم الآلاف من الفرس الى أن فنوا جميعا وتقدم الفرس على اثينا واستولوا عليها ودمروها .

واقعة ترموبولية

وهنا ظهرت حكمة ثموستوكليس فان السفن الأثينيـة دمرت الاسطول الفارسى عند سلاميس وعاد اجزركسيس الى بلاده موليا القيادة مردونيوس

واقعة سلاميس

وفى العام التالى استأنف مردونيوس القتال ، فانتصر عليه الاغريق انتصارا حاسما فى واقعة بلاتيه حيث قتل مردونيوس فى سنة ٤٨٨ ق.م.

واقعة بلاتيه

وفى تلك السنة أيضا انتصر الاغريق بحرا فى واقعة ميكالى وبعدها عدل الفرس تماما عن اعادة الكرة واحتفظ الاغريق باستقلالهم

واقعة ميكالى

الفصل السابع

حلف ديلوس وملك أثينا

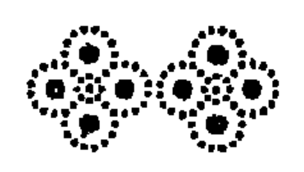
حلف ديلوس
٤٧٧ ق. م.

اشترك الاغريق كلهم فى الدفاع عن بلادهم ولكن أثقل الاعباء كان على اثينا فلا عجب اذا اصبح لها بعد هزيمة بلاتيه مركز خاص ورياسة بين المدن الاغريقية . واتجهت سياستها بعد انتهاء الكفاح مع فارس الى الاحتفاظ بهذه الرياسة فكونت من مدن آسيا الصغرى وجزر الارخبيل حلفا تحت زعامتها واتفقت معها على أن تقوم كل مدينة بتقديم عدد معين من السفن أو مقدار معين من المال كل سنة نحو الدفاع عن الاستقلال ويعرف هذا الحلف بحلف ديلوس نسبة للجزيرة بهذا الاسم حيث كانت خزانة الحلف وتقرر أن يجتمع كل عام مندوبون من المدن المختلفة للبحث فيما يهمهم من الامور

ملك اثينا

ولم يلبث الاثينيون بعد ذلك طويلا حتى تحركت فى نفوسهم الاطماع فأخذوا يعملون على تحويل الحلف عن حقيقته وجعله ملكا لاثينا وأشاروا على حلفائهم أن لا يقدموا للحلف سفنا بل مالا ثم أنفقوا ذلك المال فى تقوية بحريتهم وأصبحوا بذلك من القوة بحيث ضعفت المدن الاخرى ضعفا كبيرا وخضعت لاثينا خضوعا لا يتفق مع تساوى الحليفات

وبعد ذلك كشف الاثينيون عن سياستهم الحقيقية فنقلوا خزانة الحلف من ديلوس الى اثينا وانفقوا منها كما يشاؤن



الفصل الثامن

عصر بريكليس

٤٦٠ — ٤٣٠ ق . م .

الحرب بين اثينا واسبرطه

أثار ملك أثينا واستبدادها بحلف ديلوس ثائرة الغيرة والخوف والغضب فى المدن الاغريقية الكبيره وعلى الاخص فى مدينة اسبرطة ، وكان أهلها يرون أنهم ليسوا أقل من الاثينيين جدارة بالزعامة بين الاغريق . وتهيأت بذلك أسباب الحرب بين أثينا واسبرطة ، ولم تنته إلا بعد أن ضعف الاغريق جميعاً وزال ملك اثينا .

سيمون

ثموستوكوليس

ولما بدأ النزاع بين المدينتين انقسم الاثينيون الى فريقين : فريق رأى تجنب أسباب الخصام وحبذ المسالمة وكان على رأسه سياسى اسمه سيمون ، وفريق رأى وجوب العمل على حفظ الزعامة لاثينا ولو أدى ذلك الى الحروب وكان على رأسه ثموستوكوليس . وفى عام ٤٧١ ق . م . هزم ثموستوكوليس وابعد عن اثينا . وبعد ذلك بعشر سنين نفي سيمون

بريكليس

وظهر بذلك سياسى عظيم هو بريكليس كان بريكليس على رأى ثموستوكوليس فى وجوب مناصبة اسبرطة العداء وبسط سلطان الاثينيين على الاغريق جميعاً . وقد نجحت سياسته وصارت مدة زعامته من ٤٦٠ إلى ٤٣٠ ق . م . عصراً معدودا . ولكن بعد موته ظهرت نتيجة سياسته فانفرجت مسافة الخلف بين اثينا واسبرطة وقامت بينهما حرب دامت ثلاثين سنة انتهت بسقوط أثينا كما تقدم .

شكل (١٨) بريكليس

أثينا فى عصر بريكليس الديموقراطية.

حوّل بريكليس الحكم فى أثينا الى ديموقراطية تامة . فجرد مجلس الشيوخ من السلطة ووضعها فى مجلس من خمسمائة عضو منقسمين

الى عشرة اقسام كل منها مكون من خمسين رجلا وتتناوب الاقسام العشرة الحكم.

وقرر أيضا أن يكون التوظف بالاقتراع فمن خدمه الحظ فيه نال الوظيفة واستثنى من ذلك النظام قيادة الجيش وقت الحرب ولكنه لم يستثن منه القضاء

وعدا ذلك كان هناك مجلس عام لكل الاحرار اشتراك فيه يجتمع ثلاث مرات فى الشهر الواحد ويرأسه بريكليس.

وكان للاثينيين شغف شديد بالمناقشات السياسية وتقدير كبير للفصاحة فى الخطابة : فكان يسود الجم الغفير منهم فى اجتماعات المجلس الانتباه التام وعلى الاخص اذا كان المتكلم بريكليس وقد بلغ ما بلغ اليه بمقدرته الخطابية

موازنة بين الديموقراطية الاثينية والديموقراطيات الحديثة

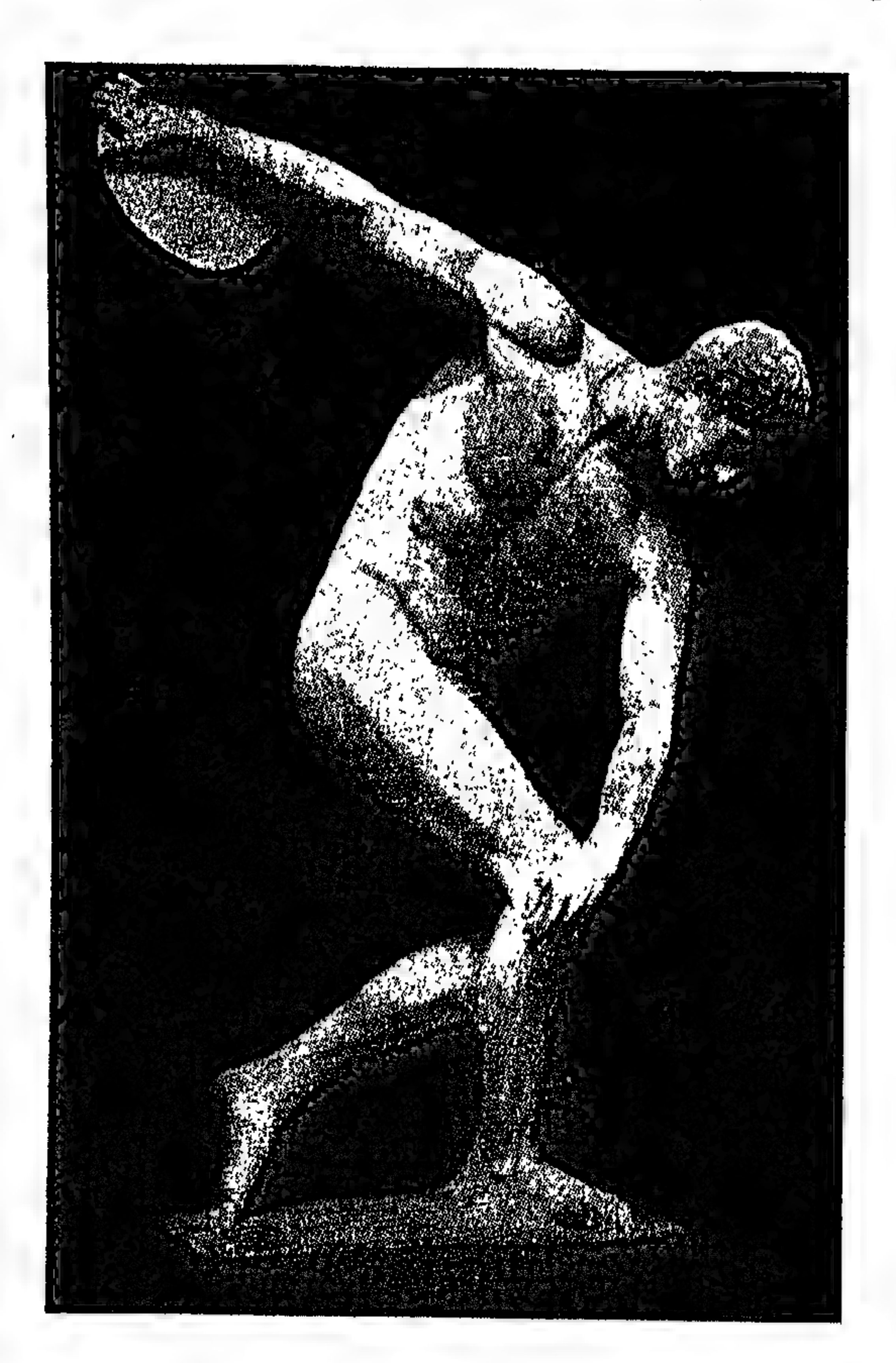
تقوم الديموقراطيات الحديثة فى ممالك قد يبلغ سكانها الملايين مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة على حين كانت الديموقراطية الاثينية لايزيد عدد سكانها عن بضعة آلاف. فعلى ذلك لا يوجد فى الوقت الحاضر مجالس عامة كالذي وصفناه فى اثينا إذا لايمكن للملايين الانجليز والفرنسيين أن يجتمعوا فى مكان واحد كما أمكن آلاف الاثينيين. وكل ما يمكنهم عمله هو أن ينتخبوا مندوبين عنهم لايزيدون عن بضع مئات ويتكلمون بلسان قومهم : فعلى ذلك تقوم الديمواطيات الحديثة على فكرة النيابة السياسية

وتختلف الديموقراطيات الحديثة أيضاً عن أثينا في أمر التوظف: فالاقتراع على الوظائف قد يؤدي الى حلول غير الأكفاء فى وظائف الدولة وعلى الاخص فى الوقت الحاضر الذى كثرت فيه أعمال الحكومات واستلزم تشعب الادارة كفاية خاصة فى الموظفين : فعلى ذلك لا يقترع في الديموقراطيات الحاضرة لا على وظائف الدولة ولا على مناصب القضاء

وقد تمكن الاثينيون من القيام بنصيبهم في الحكم لوجود الرق بينهم فيلزمنا تذكر أن الاحرار في أثينا كانوا قليلين اذا قرنوا بالارقاء المحرومين من كل حق سياسى، أما الديموقراطيات الحديثة فليس فيها استرقاق أبداً

الحضارة الاثينية في عصر بريكليس

لم تظهر عيوب الديموقراطية الاثينية أيام بريكليس لعظم نفوذه السياسي ولحسن قيادته لها . وقد أخفاها أيضا ما بلغه الاثينيون ايامه

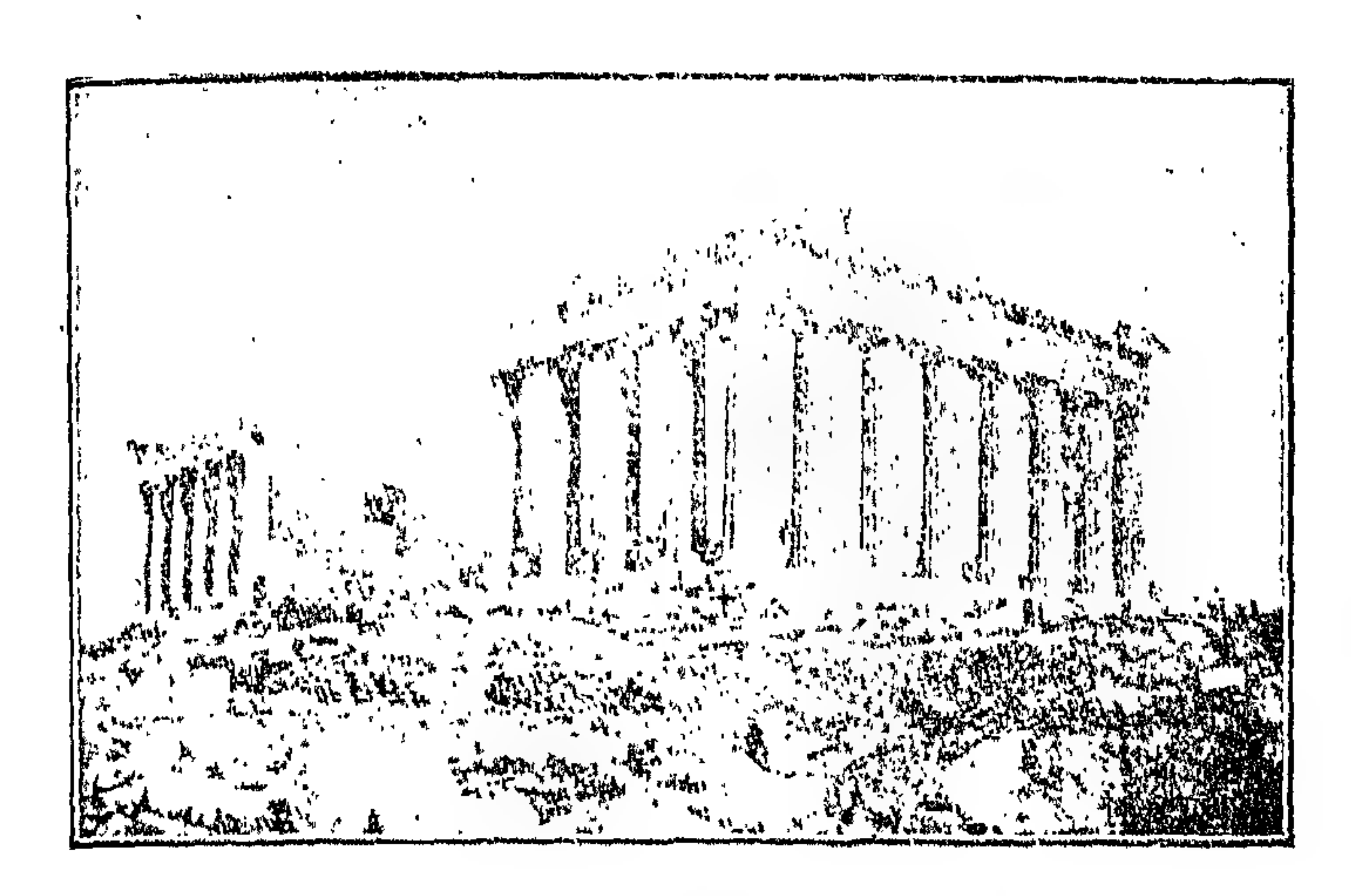


شكل (١٩) : قاذف «القرص» — مثال من الفن اليونانى

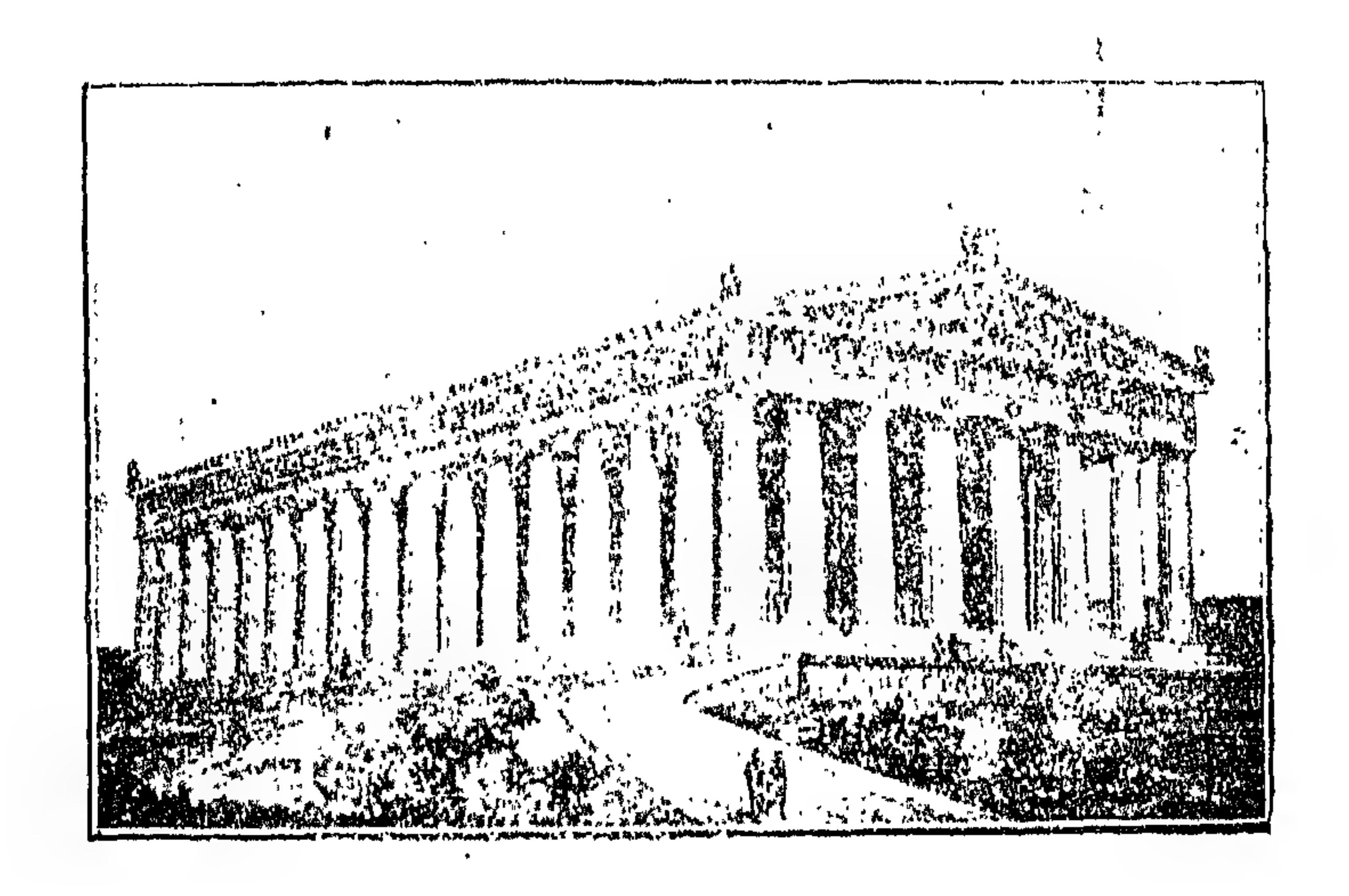
فيدياس

فى الفنون والآداب فبنوا المعابد الفخمة ومن أشهرها البارثينون الذى زينه فيدياس باجمل المناظر وهذا المعبد فوق تل عال مشرف على أثينا يعرف بالاكروبوليس وجعلوا خارجه تمثالا للمعبودة اثينا ارتفاعه سبعون قدما ويري على مسافة كبيرة.

واهتم بريكليس اكبر اهتمام بالتمثيل لما فيه من تربية الذوق السليم فكان بالقرب من الاكروبوليس مسرح ديونيسيوس وهو عظيم يسع ٣٠٠٠٠ شخص



شكل (٢٠) : البارثينون فى حالته الراهنة



شكل (٢١) : البارثينون كما كان

وكانت تمثل فيه الروايات التى وضعها اسكيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس واريستوفانيس . ولايزال الناس يعجبون اعجابا كبيرا بما كتبه هؤلاء الرجال العظام

الفصل التاسع

الحرب بين أثينا وأسبرطة

٤٣١ — ٤٠٤ ق. م.

اسباب الحرب

تقدم ذكر ما أثارته عظمة أثينا من الغيرة ؛ وأنها أدت الى حرب طويلة بينها و بين أسبرطة دامت من ٤٣١ إلى ٤٠٤ ق.م. وقد شطرت تلك الحرب الأغريق شطرين ، فانضمت إلى اسبرطة مدن البلوبونيز والأجزاء الوسطى من بلاد الاغريق وانتصرت لأثينا الجزر

الاختلاف بين اثينا واسبرطة

و بين أثينا واسبرطة اختلاف كبير : فاثينا وحليفاتها أهلها أصلهم أيونيون أما أهل اسبرطة وحليفاتها فهم من نسل الدوريين ، وبينما أثينا يسود فيها الحكم الديموقراطي تجد اسبرطة تسود فيها الارستقراطية. وفي هذا الاختلاف تفسير لطول مدة الحرب وللوحشية التي ظهرت فيها.

اسبرطة

تفرغ الاسبرطيون طول تاريخهم لاتقان فن الحرب فكانوا لا تهمهم السياسة ولا الآداب ولا الفنون ولا التجارة ، وكانوا ثلاث طبقات : الطبقة الاولى كانت مكونة من الاسبرطيين الاصليين وعددهم نحو ٩٠٠٠ وكان لهم مركز خاص فى المدينة وليس لهم عمل إلا التأهب للقتال ويعيشون من عمل الطبقتين الثانية والثالثة . وكانت الطبقة الثانية مكونة من نحو ٣٠٠٠٠ شخص أحرار إنما ليست لهم حقوق سياسية ، يزرعون الارض ويتاجرون وربما كانوا من نسل أصحاب البلاد الاصليين الذين تغلب عليهم الدوريون أجداد الاسبرطيين. أما أقل الطبقات شأنا وان كانت أكثرها عددا فكانت طبقة الارقاء ويبلغ عددهم نحو ٢٠٠٠٠٠ شخص

الحكومة الاسبرطية

ذكر بلوتارخس صاحب التراجم الاغريقية والرومانية المشهورة أن الحكومة الاسبرطية من وضع مشرع اسمه ليكرجس عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد .

وكان فى اسبرطة ملكان يقومان بقيادة الجيش ويرأسان الحفلات الدينية

ولكن لم يكن لهم من الأمر أكثر من ذلك ، فان مجلس الشيوخ وأعضاؤه ثمان وعشرون من الاشراف كان أكبر منهما سلطة ، إذ كان من حقه وضع القوانين وبعد الانتهاء منها تعرض على مجلس عام من الاسبرطيين أهل الطبقة الأولى فقط . وكان ذلك المجلس العام يجتمع مرة في الشهر الواحد ويختلف عن مثيله في أثينا فى أنه لم يسمح فيه بالمناقشات ، بل كل الأمر أن أعضاءه يرفضون أو يوافقون. وقد سمح لهم بعد بانتخاب خمسة موظفين يعرف الواحد منهم باسم ايفور وكانت مهمتهم مراقبة سير الملوك والحكام .

الايفورس

التربية الاسبرطية

كانت مدينة اسبرطة شبيهة بثكنة عسكرية ، فلم تكن فيها عيشة منزلية إذ كان الرجال يتناولون طعامهم على موائد عامة . وكان الاطفال يؤخذون ويعرضون للبرد في العراء ومن سلم منهم تعهدت الدولة بتربيته تربية عسكرية خضة بعد بلوغه السابعة من العمر . وكانت الحكومة تتعمد تعويدهم تحمل الألم بلا شكوى : فمن ذلك أن الاولاد كانوا يجلدون علناً فاذا أنّ أحدهم سقط فى نظر رفاقه. ومن ذلك أيضاً أنه كان يمنع عنهم الاكل فاذا وجد أحدهم يسرق طعاما عوقب على اخفاقه فى اخفاء السرقة عقابا قاسيا . ولم تهمل الحكومة الاسبرطية تعويد البنات على الالعاب العنيفة فكن فى اسبرطة على عكس مثيلاتهن فى أثينا حيث كانت البنات لا يقمن إلا بالاعمال المنزلية ولا يختلطن بالرجال

الحرب الاولى
٤٥٩ – ٤٤٥ ق . م .

بدأت الحرب في عام ٤٥٩ ق . م . واستمرت الى ٤٤٥ ق . م . ولم ترجح فيها كفة فريق على كفة الفريق الآخر ، وانتهت على ذلك بهدنة حددت مدتها بثلاثين سنة .

وفى أثناء تلك الهدنة اتبعت أثينا سياسة خرقاء وأخذت حليفاتها بلا هوادة واشتطت معهن في جمع الأتاوات . ولم تكتف بذلك بل

تدخلت بين كورنثه واحدى مستعمراتها ، واستغاثت كورنثه باسبرطة ضد أثينا ، فلبت أسبرطة الاستغاثة ، وقامت الحرب الثانية

الحرب الثانية تبتدىء عام ٤٣١ ق٠م

وصف هذه الحروف مؤرخان عظيمان لكتبهما قيمة كبيرة إلى الآن هما ثيوسيديس وزينوفون. وقد مرت هذه الحرب فى أدوار ثلاثة : ينتهى الدور الأول في عام ٤٢١ ق . م . أي بعد عشر سنين ؛ ويستمر الثانى من عام ٤١٥ الى عام ٤١٤ ق . م. وفيه هزمت اثينا هزيمة بحرية عظيمة ، وفي الدور الثالث أغارت اسبرطة على اثينا واستولت عليها فى عام ٤٠٤ ق. م.

الدور الاول ٤٣١ - ٤٢١ ق٠م

اعتمدت اثينا على قوتها البحرية إذ ان جيشها كان أضعف كثيرا من جيش أعدائها فعلى ذلك لما غزت اسبرطة الأرض حول أثينا المعروفة باسم أتيكا أشار بريكليس على سكانها أن يتركوا قراهم ويلتجئوا إلى داخل اسوار اثينا ؛ وفى أثناء ذلك هجمت السفن الاثينية على سواحل البلوبونيز وحاصرت كورنثه حليفة اسبرطة وقطعت تجارتها

ولكن ذلك لم يمنع الاسبرطيين من التقدم براً في اتيكا حيث أحروا الحرث والنسل كما فعل الفرس قبلهم . وقد روى المؤرخ ثيوسيديس قطعة رثاء خالدة عن لسان بريكليس رثى فيها من سقط في الحرب من الاثينيين ؛ ووصف فيها الحضارة الاثينية ومرامى السياسة الاثينية وصفا بليغا . وقد جاء فيها قوله « العالم بأجمعه قبر العظماء وذكراهم منقوشة على صفحات القلوب لا على الاحجار »

وقد أدى ازدحام اللاجئين فى أثينا الى انتشار طاعون فتك بأكثر السكان ، وكان بريكليس نفسه من ضحاياه .

موت بريكليس ٤٢٩ ق . م

وبعد موته استمرت الحرب ثمانية أعوام أخرى بلا نتيجة ظاهرة. وقد خلا الجو بموته فظهر في أثينا زعماء وصلوا الى ماوصلوا اليه بتملق العامة والتغرير بهم . وقد سخر اريستوفانيس فى رواياته التمثيلية من هؤلاء الزعماء المضللين بالشعب. وانتهت الحرب عام ٤٢١ ق٠م كما تقدم

السيباديس

ثم ظهر في أثينا زعيم جديد هو السيبياديس من أقرباء بريكليس وكان طائشا نزقا أدت سياسته إلى نشوب الحرب . وقد أشار بارسال حملة ضد سيراكيوز في جزيرة صقلية . وقد أثبت ما حدث فساد رأيه فأن الحملة الاثينية المكونة من ١٣٤ سفينة و ١٠٠٠٠ جندى باءت بالخذلان التام فقد تمكنت سيراكوز بمساعدة اسبرطة من ارغام السفن الاثينيـة التسليم ومن قتل قواد الجيش وأسر ٧٠٠٠ جندى وفر السيبياديس من غضب قومه ولجأ الى أعدائهم الاسبرطيين .

الحملة على سيراكيوز ٤١٥ ق. م.

اسبرطة تغزو اتيكا

تسليم أثينا ٤٠٤ ق .م

قضت هذه الضربة على قوة أثينا ؛ فغزت اسبرطة أرض أتيـكا، ووجدت أثينا نفسها مجردة من القوة منفضة عنها حليفاتها فسلمت فى عام ٤٠٤ ق . م . وتعهدت بتهديم حصونها والتخلى عن مستعمراتها وحالفت اسبرطة محالفة الضعيف للقوى . وبذلك انتهى ملك أثينا .

زعامة اسبرطة ٤٠٤ - ٣٧١ ق . م

وأصبحت اسبرطة زعيمة الاغريق . ولكنها لم تتمكن من الاحتفاظ بزعامتها مدة طويلة ؛ فقد كانت شديدة على الاغريق تسلك بهم طريق العسف فانتهزوا فرصة اشتباكها بفارس فى حرب عام ٣٩٤ ق.م للاتحاد عليها تحت زعامة مدينة طيبة ، وهزموها في عام ٣٧١ ق . م . بفضل القائد الطيبي العظيم ابامينداس في واقعة لكترا ، وحلت محلها في الزعامة طيبة وانتهت الزعامة الطيبية بموت ابامينداس في عام ٣٦٢ ق . م .

فشل الوحدة الاغريقية

مغزى ذلك كله أن أثينا ثم اسبرطة ثم طيبة فشلت فى تحويل الاغريق الى أمة متحدة ، وأن الاغريق على تفوقهم العقلى لم يعرفوا كيف يوحدون صفوفهم حتى عند ما داهمهم المقدونيون، وأن عظمتهم تتجلى فى فنونهم وآدابهم وفلسفتهم ولا تتجلى فى سياستهم فقد أظهروا فيهـا قصر نظر كبير وتغليبا للعواطف المحليـة على مصلحة الجنس الاغريقى كله .

الفصل العاشر

عظماء كتاب القرن الخامس

قبل الكلام على زوال استقلال الاغريق على يد المقدونيين تجب الاشارة الى النهضة الفكرية التى امتاز بها القرن الخامس قبل الميلادعلى سائر العصور.

أشهر مؤلفى الروايات التمثيلية أربعة : اسكيلس وسوفوكليس ويوريبيدس واريستوفانيس.

اسكيلس
٥٢٥ - ٤٩٦ ق . م

عاش اسكيلس في ذلك العصر العظيم عصر الجهاد الوطنى ضد فارس وقد شهد بنفسه واقعتى ماراتون وسلاميس

وأشهر رواياته ثلاث : « الفرس » و « اجاممنون » و « بروموثيوس المغلول » . وموضوعها كلها كيف يحل غضب الآلهة بمن تكبر وبغى. فوصف في « الفرس » مثلا كيف أذلت الآلهة اجزركسيس وخلصت أبناء هيلاس

سوفوكليس
٤٩٦ - ٣٠٥ ق . م

وقد ولد سوفوكليس بعد اسكيلس وفى حداثة سنه أحرز قصب السبق عليه فى مباراة أدبية . ويقول بلوتارخس أن ذلك ساء اسكيلس وحداه على النزوح الى صقلية . ومن أهم روايات سوفوكليس « اديبوس تيرانوس » و « انتيجونى » وموضوعها قصص ملوك طيبة الاول . وفلسفة سوفوكليس لا تختلف عن فلسفة اسكيلس

يوربيديس
٤٥٠ - ٤٠٦ ق . م

وكان يوريبيديس معاصرا لسوفوكليس وكان أحب الكتاب للشعب وطبقت شهرته آفاق العالم الاغريقى ، وكان اجرأ من زميليه فشك في الديانات القائمة وفي قدرة الآلهة وفي عملها على خير الانسان

اريستوفانيس
٤٥٠ - ٣٨٠ ق . م

وقد تجلت روح الشك فى اريستوفانيس ، وأظهر ما في رواياته قدرته على السخرية فسخر من كل من أراد حتى من الآلهة ، وتهكم

حتى على يوريبيديس نفسه ولكنه اختص بأحد سهامه الزعماء الذين ظهروا بعد موت بريكليس وبين أن فصاحتهم جعجعة بلا طحن، وكشف عن ضعة أصلهم وسوء رأيهم وتذبذبهم. وأشهر رواياته «السحب» و«الفرسان» و«العصافير».

المؤرخون

وقد ظهر من المؤرخين هيرودوت وثيوسيديس وزينوفون

هيرودوت
٤٨٤ – ٤٢٥ ق . م

أما هيرودوت فقد سبق الكلام عليه، ويختلف عنه ثيوسيديس مؤرخ الحرب بين أثينا واسبرطة اختلافا كبيرا فبينما كان هم هيرودوت جمع الاخبار وعلى الاخص الغريب منها كان أكبر ما عنى به ثيوسيديس تحرى الاسباب وضبط الوقائع واستخلاص عبرها مع حسن تبويب وبلاغة في التعبير

ثيوسيديس
٤٧١ – ٤٠٠ ق . م

زينوفون
٤٥٥ – ٣٥٥ ق . م

عاش زينوفون في عصر يوريبيديس وكان قائدا كما كان كاتبا. خرج في عام ٤٠٠ ق . م . مع جماعة من الاغريق يبلغون عشرة آلاف رجل ودخلوا في خدمة أحد الامراء الفارسيين كان في حرب مع مليكه، وانتهى الأمر بهم إلى الجلاء عن فارس فتقهقروا حتى منابع الدجلة في الجبال ومنها وصلوا سواحل البحر الاسود بعد أن قاسوا هولا كبيرا. وقد وصف ذلك التقهقر في كتاب قيم. وله كتاب آخر خلد فيه ذكرى الفيلسوف سقراط

الفلسفة

وللاغريق في تاريخ الفلسفة مقام خاص.

فيثاغورس
٥٨٠ – ٥٠٠ ق . م
اناكساجوراس
٥٠٠ – ٢٧٤ ق . م

تقدم ذكر فيثاغورس، وكان يعلم أن الارض كروية وأنها تدور حول الشمس. ومن الفلاسفة اناكساجوراس وقد شك في وجود الالهة وقرر أن العقل هو منظم هذا الكون. وبحث آخرون في أصل المادة والعالم وجاء في بحثهم كلام على التطور بين المخلوقات

السفسطائيون

ومن الفلاسفة طائفة السفسطائيين وكانوا يشتغلون بتعليم اللغة والخطابة ولهم آراء خاصة في الفلسفة. وقد مهدوا لظهور أكبر فلاسفة العالم القديم: سقراط وافلاطون وارسطو.

سقراط

كانت طريقة سقراط فى التعليم الحوار ، وكان دائما يحث على أن يسعى الانسان إلى معرفة كنه نفسه قبل أي شيء آخر ، ويهزأ بمن يقبل الاشياء على علاتها دون أن يحكم العقل . وكان سقراط يعتقد في خلود النفس وفى أن الكون يدبره آله .


شكل (٢٢) : سقراط

وسما سقراط في تعليمه الخلق سموا كبيرا فلا فرق بين الأخلاق التى حث عليها والأخلاق التى حضت عليها الديانات العظمى

واتهم سقراط فى آخر أيامه بتضليل الشباب وحكم عليه بشرب كأس من السم ومات .

افلاطون
٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م .

كتاب الجمهورية

ومن تلاميذه افلاطون ، ترك بلاد الاغريق عند موت معلمه وجال في بلاد الشرق وبعد عودته أخذ فى تعليم الفلسفة بطريق الحوار . ومن مؤلفاته كتاب الجمهورية وهو من الكتب الخالدة .

ارسطو
٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م .

وهو أكبر فلاسفة الحضارة القديمة ، وكان لآرائه تأثير كبير فى فلسفة الشرق والغرب . ويعرف عند العرب باسم المعلم الأول . وقد بحث في كل فروع الفلسفة من أخلاق وسياسة وعلوم طبيعية وأدبية وهكذا . وكان مربى الاسكندر الاكبر



الفصل الحادى عشر

ظهور مقدونيا

فيليب والاسكندر الاكبر

مقدونيا

تغلبت مقدونيا على المدن الأغريقية كما تقدم ، ولم يكن لها شان قبل ملكها فيليب الثانى الذى حكم من سنة ٣٦٠ الى ٣٣٦ ق . م .

وهى بلاد جبلية تقع شمالى بلاد الاغريق وفيها سهول خصبة وسكانها أشداء لغتهم اغريقية وان كانوا في نظر الاغريق أشبه بالاجانب عنهم لقلة رفاهيتهم وحضارتهم

فيليب الثانى
٣٦٠ - ٣٣٦ ق . م .

مضى فيليب صباه فى مدينة طيبة وتعلم فن الحرب على ابامينينداس وتحضر بالحضارة الاغريقية . وأدرك أيضاً عن كثب ما عليه المدن الاغريقية من انقسام وما ساد بينها من شقاق . ولما تقلد الحكم فى بلاده عزم أولا على تحضير قومه وثانيا على اخضاع سائر الاغريق لحكمه وطمع فى آخر الأمر أن يقوم بحرب عظيمة ضد فارس فيغزوا أرضها ويذلها

الجيش المقدونى

ولتحقيق ذلك كون جيشا فريدا في نوعه إذ كان جيشا نظاميا يختلف عن جيوش المدن الاغريقية المكونة من متطوعين يعودون لمنازلهم اذا انتهت الحرب التى تطوعوا فيها ثم عبأ هذا الجيش تعبئة تعلمها من ابامينينداس ، وبها جعل قلب الفرقة الواحدة مكونا من ٥٠٠٠ جندى مصطفين صفوفا في كل منها ١٦ رجلا مسلحين برماح طويلة ، ووضع الفرسان فى الميمنة والميسرة . وكان فى الجيش أربع فرق من هذا النوع وقد أحسن تدريبها حتى صارت الفرق تتحرك كأنها فرقة واحدة . واهتم أيضاً بآلات الحصار وكان الاغريق لا يستعملونها وان كانت قد استعملها الاشوريون قديما . وبهذا الجيش دوخ الاسكندر العالم .

اثينا وفيليب

بدأ فيليب بالمستعمرات الاغريقية فى شمالى الارخبيل و تغلب عليها فأثار ذلك الاغريق. وكان فيليب يحب الاثينيين فعرض عليهم صداقته، ولكن الاثينيين لم يتفقوا على اجابة طلبه فبعضهم مال الى اكتساب وده وبعضهم نفر وعده عدوا يريد استعباد الاغريق وكان على هذا الرأي ديموسينيس أخطب خطباء الاغريق. وله فى استنفار قومه خطب رنانة اجتذبهم بها الى رأيه و يعتبرها المؤرخون من أبلغ ما خلف الأغريق، ويتخذها الخطباء نموذجا ينسجون على منواله.

ديموسينيس

الخطب القلبية

شكل (٢٣) : ديموسينيس

اتحدت اثينا وطيبة على فيليب وقامت الحرب لكنه هزمهم فى واقعة كيرونيا عام ٣٣٨ ق. م. وكانت حاسمة. ولم يبق أمامه إلا التغلب على اسبرطة.

واقعة كيرونيه

٣٣٨ ق. م.

وقد دعا فيليب الاغريق الى مؤتمر فى كورنثه ليبسط فى مندوبيهم ما اعتزم عليه من الاغارة على فارس ولكنه قتل فى عام ٣٣٦ ق. م. قبل أن يتم هذا المشروع

الاسكندر



شكل (٢٤) : الاسكندر الاكبر

وخلفه ابنه الاسكندر وحقق كل مشروعات أبيه واكتسب بين عظماء الفاتحين اسما خالدا وكانت سنه وقت توليه العرش عشرين سنة وكان ارسطو قد باشر تربيته منذ الثالثة عشرة من عمره وقد قرأ الاسكندر كل ما خلفه الاغريق من أدب وشب متشبعا بحضارتهم شديد التحمس لنشرها فى الخافقين

ثورة طيبة

أول ما تولى العرش أصغره الاغريق وثارت عليه مدينة طيبة ولكنه أخضعها ودمرها تماما وسبي أهلها والقى بذلك على الاغريق درسا قاسيا.

الاغارة على آسيا
واقعة نهر جرانيكوس ٣٣٤ ق . م .

ولما تم خضوع الاغريق سار في ربيع ٣٣٤ ق. م. نحو آسيا فعبر المضيقين البوسفور والدردنيل وهزم جيشا فارسيا عند نهر جرانيكوس واستولى بذلك على المستعمرات الاغريقية فى آسيا الصغرى. ثم توغل

واقعة نهر اسس

فيها والتقى بالفرس مرة ثانية عند نهر اسس. وكان الفرس يقودهم ملكهم دارا الثالث ولكن الاسكندر انتصر عليهم انتصارا تاما وفر دارا الى بلاده ليعد جيشا جديدا واتجه الاسكندر جنوبا وأخضع المدن

حصار صور

الفينيقية. وقد قاومته مدينة صور ولم تسلم إلا بعد حصار طويل.

فتح مصر

ثم سار نحو مصر وكانت إذ ذاك تحت حكم الفرس وقد تمكن من فتحها بسهولة إذ لم ير المصريون ضررا فى الانتقال من حكم الفرس

تاسيس الاسكندرية

الى حكم المقدونيين. وفي مصر أسس مدينة الاسكندرية.

ثم ترك مصر وارتحل الى سوريا ومنها اتجه شرقا نحو فارس.

واقعة اربل ٣٣١ ق . م.

وقد عبر الدجلة قرب اطلال نينوى وهزم الفرس مرة ثالثة فى واقعة اربل. وهرب ملكهم دارا ولكن قتله أحد رجاله.

انتصر الاسكندر ومزق ملك الفرس، فكأنه قد ثار بذلك مما لحق الاغريق من دارا واجزركسيس.

ولهذا الانتصار أثر كبير فقد مهد الطريق لنشر الحضارة الاغريقية فى بلاد الشرق.

توغل الاسكندر في فارس وحل محل ملوكها واستولى على نفائسهم وخزائنهم. ولم يكتف بذلك بل طمع فى الاستيلاء على الهند نفسها، ونجح فى التغلب على افغانستان ونزل بجيوشه على السند. ولكن رجاله أبوا التقدم لفرط ما لاقوا من التعب، فاضطر الى الرجوع بهم.

تنظيم الملك

عاد الى بابل فى عام ٣٢٣ ق . م . بعد سبع سنين قضاها فى فارس والهند وبدأ ينظم ملكه .

اتخذ بابل عاصمته وكان يرمى الى انشاء ملك مصطبغ بالصبغتين الاغريقية والشرقية . فتزوج ببنت دارا الثالث وتبعه عسكره فتزوج كثير منهم بفارسيات ووظف الفرس في وظائف الدولة المختلفة

وكان الاسكندر يطمح فى مد ملكه حتى يشمل غربى البحر الابيض المتوسط ، وبدأ فى صنع السفن اللازمة لاخضاع إيطاليا وصقلية وقرطاجنة . ولكن انتابته حمى ومات فى بابل فى الثالثة والثلاثين من عمره قبل أن يقوم بذلك .

انقسام ملك الاسكندر

وبعد موته بقليل انقسم ملكه اقساما ثلاثة تولى الأمر فيها قواده إذ كان ابنه صغيرا . وكانت هذه الاقسام مقدونيا وسوريا ومصر ، وقد اختص بالاخيرة بطليموس .

الفصل الثانى عشر

انتشار الحضارة الاغريقية

أهم ما نتج من فتوح الاسكندر الاكبر انتشار الحضارة الاغريقية فى بلدان الشرق القديم وكان لتلك الحضارة فى الشرق مراكز أهمها

دولة البطالسة

الاسكندرية عاصمة البطالسة الذين استقلوا بمصر وأعادوا لها رخاءها المادى وجعلوا لها اسما بين الدول. وسيفرد للبطالسة فصل خاص

جامعة اثينا

وكانت أثينا أيضاً مركزاً آخر من مراكز الحضارة، قامت فيها جامعة كبيرة واشتهرت فيها طائفة من الفلاسفة يعرفون باسم الرواقيين

زينو والرواقيون

وكبيرهم الفيلسوف زينو. وقد حث زينو على كبح العواطف واستنكر الرق والقسوة وكان لتعليمه أثر كبير فى التاريخ، ومن فلاسفة أثينا

ابيقور

أيضاً ابيقور. وقد اجتذب هؤلاء المعلمون التلاميذ من كل صوب، واكتسبت اثينا فى أيام محنتها السياسية نفوذا في العالم العلمى، وحققت بذلك ما كان يرجوه بريكليس لها

مدينة برجامن

برجامن مدينة من مدن آسيا الصغرى نالت استقلالها عن حكم مملكة سوريا وصارت مركزاً من مراكز الحضارة الاغريقية، وجمعت حكومتها مكتبة عظيمة وأقام بها عدد من رجال الفن خلفوا تماثيل قيمة

جزيرة رودس

واشتهرت جزيرة رودس أيضاً برجال الفن فيها ولكن لسوء الحظ لم يبق إلا القليل من آثارهم.

براكسيليس فى أثينا

وكذلك أثينا كانت فيها أيضاًنهضةفنيةمنأعظم رجالها براكسيليس

ملك السلوكيين فى سوريا

استقل سلوكس أحد قواد الاسكندر بسوريا وقامت فيها أسرة من نسله

ولم يكن لسوريا ما كان لمصر من الشأن ايام البطالسة ولكن السلوكيين اتبعوا سياسة الاسكندر ونشروا الحضارة الاغريقية نحو

الشرق فانشئوا المدن في آسيا الصغري وأرض الفرات والدجلة وفارس حتى حدود الهند على نمط المستعمرات الاغريقية الاولى . وكانت هذه المدن من وسائل نشر الحضارة

مملكة مقدونيا

كانت مقدونيا اقل من مصر وسوريا . ومن اشهر ملوكها انتيجونيس الثانى الذى دفع عن بلاده خطرا شديدا فقد رد عنها اغارة أقوام متبربرين قدموا من فرنسا واسمهم الغالة وذلك في عام ٢٨٠ ق.م. وحكم خلفاؤه بعده إلى أن سقطت مقدونيا فى أيدى الرومان

بلاد الاغريق

أما المدن الاغريقية في تلك الأثناء فقد قامت بينها احلاف من المدن تشبه الأحلاف التى قامت فى سويسرا فى العصور الوسطى. ولبثت كذلك إلى أن سقطت كلها ودخلت في حكم الرومان .



الفصل الثالث عشر

دولة البطالسة

مميزات عصر البطالسة

لعصر البطالسة مميزات خاصة تجعله مغايرا لعصور الفراعنة : أول تلك المميزات أن الاسرة الحاكمة لم تكن من أصل مصري بل كانت إغريقية ولكن ليس معنى ذلك أن مصر لم تكن دولة مستقلة أو كان لغيرها سيادة عليها ، إذا أن أصل الاسرة الحاكمة لايهم فى ذلك ، وهذه انجلترا لم يحكمها منذ الفتح النرمندى فى عام ١٠٦٦ إلى وقتنا الحاضر ملوك من أصل انجليزي . إذن من الخطأ أن نضع عصر البطالسة فى مصاف العصور التى حكم مصر في أثنائها ولاة من قبل فارس أو روما أو الخلافة الاموية والعباسية أو الدولة العثمانية بل يجب اعتباره عصر استقلال كالعصور التى سبقت الفتح الفارسى فى عام ٥٢٥ ق . م . وحكم مصر فيها ملوك مصريون .

ومن تلك المميزات ظهور العنصر الاغريقى في حضارة مصر ايامهم حقيقة لم يكن ذلك أول عهد مصر بالاغريق فقد عرفتهم أيام ملوكها بسماتيك وخلفائه ولكن لم يكونوا إذ ذاك الا تجارا أو جنداً مرتزقة ، ولم تكن مصر من مراكز حضارتهم ، أما فى أيام البطالسة فقد قامت لهم فيها حضارة باهرة

ومن الموضوعات المهمة فى تاريخ البطالسة دراسة علاقة العنصرين المصرى والاغريقى احدهما بالآخر والبحث في سياسة الملوك إزاء المصريين وفي موقف المصريين إزاء الحضارة الاغريقية .

فتح الاسكندر مصر

قبيل ذلك الفتح كانت مصر ولاية فارسية ، ولم يكن الحكم الفارسى سيئا أو قاسيا كما يظن الناس . ولكن المصريين لم يميلوا للفرس لسبب مهم هو أن الفرس لم يحترموا معتقدات المصريين الدينية احتراما كافيا وإن كانوا لم يحاولوا تحويلهم الى معتقدات أخرى . وفي هذا يختلف عنهم الاسكندر والبطالسة اختلافا تاما .

ضعف الفرس فى مصر بعد ما أصاب دولتهم من الهزائم على يد الاسكندر. فلما وصل هذا الفاتح العظيم الى حدود مصر الشرقية لم تعترضه مقاومة تذكر ووصل الى منف وقرب القرابين الى ابيس وفتاح.

بعد ذلك ارتحل الى واحة سيوه وزار معبد آمون فيها. وقد يتساءل الانسان لِمَ لم يذهب لطيبة مقر عبادة آمون ويتمكن بذلك من أن يرى بنفسه حالة الوادى كله.

والظاهر أنه أحب أن لا يثير الحسد فى نفس كهنة منف، وأنه أحب أن يزور الواحة ليكون على علم بحدود مصر الغربية ولكى يمر بنوقراطيس المستعمرة الاغريقية.

تأليه الاسكندر

وفي سيوه دخل المعبد وقرب القرابين للمعبود ولقبه الكهنة ابن آمون. وقد قلده فى ذلك البطالسة بعده ولم يكن تأليه الملوك أو على الاقل الزعم أنهم من نسل الآلهة أمراً شرقيا فقط فقد كان معروفا للاغريق فى بلادهم.

تاسيس اسكندرية

وعند عودته من سيوه اختط مدينة الاسكندرية بأن وصل بين جزيرة صغيرة قريبة من الارض وقرية صغيرة على الساحل اسمها راكوتيس فتكون بذلك مرسيان أحدهما شرقى والآخر غربى.

وكان بالقرب من راكوتيس انخفاض من الارض هو موضع بحيرة مربوط يملؤها ماء النيل وقت الفيضان فكانت الاسكندرية بذلك ميناء نهرية أيضاً.

وبعد الفراغ من ذلك عاد الى منف عن طريق الصحراء واتجه نحو الشرق لاتمام فتوحه.

بطليموس الاول

ترك الاسكندر عند وفاته ابنا صغيرا وأخا غير شقيق واقتسم قواده دولته فحكم مصر بطليموس أولا باسم ابن الاسكندر وأخيه. وفي سنة ٣٠٥ ق. م. لقب بملك مصر.

والمعروف عن بطليموس أنه كان رجلا حازما سديد الرأى غير كبير الاطماع، فكان حكمه بتلك الصفات موفقا.

فتوحه

وقد قام بطليموس بحروب كثيرة انتهت باسترداده بعض أراضى فى فلسطين وباستيلائه على جزيرة قبرص ، وكانت له السيادة البحرية فى البحر الابيض المتوسط . وكان من شأن ذلك ارتقاء التجارة المصرية فى ذلك البحر

سياسته الداخلية

لم تمنع تلك الفتوح بطليموس من الاهتمام بتنظيم بلاده وترقية شؤنها و يقال إنه أسس دار كتب الاسكندرية ودار تحفها أو كان على الاقل صاحب المشروع .

ولم يكن بطليموس مولعا بالنظم السياسية الاغريقية بمجالس شيوخها ومجالسها العامة ، فلم يمنح أهل الاسكندرية دستورا من ذلك النوع ، ولكنه جعل لهم مركزا يمتاز بعض الشيء عن المدن الاخرى.

بطليموس الثانى
٢٨٥ — ٢٤٧ق.م.

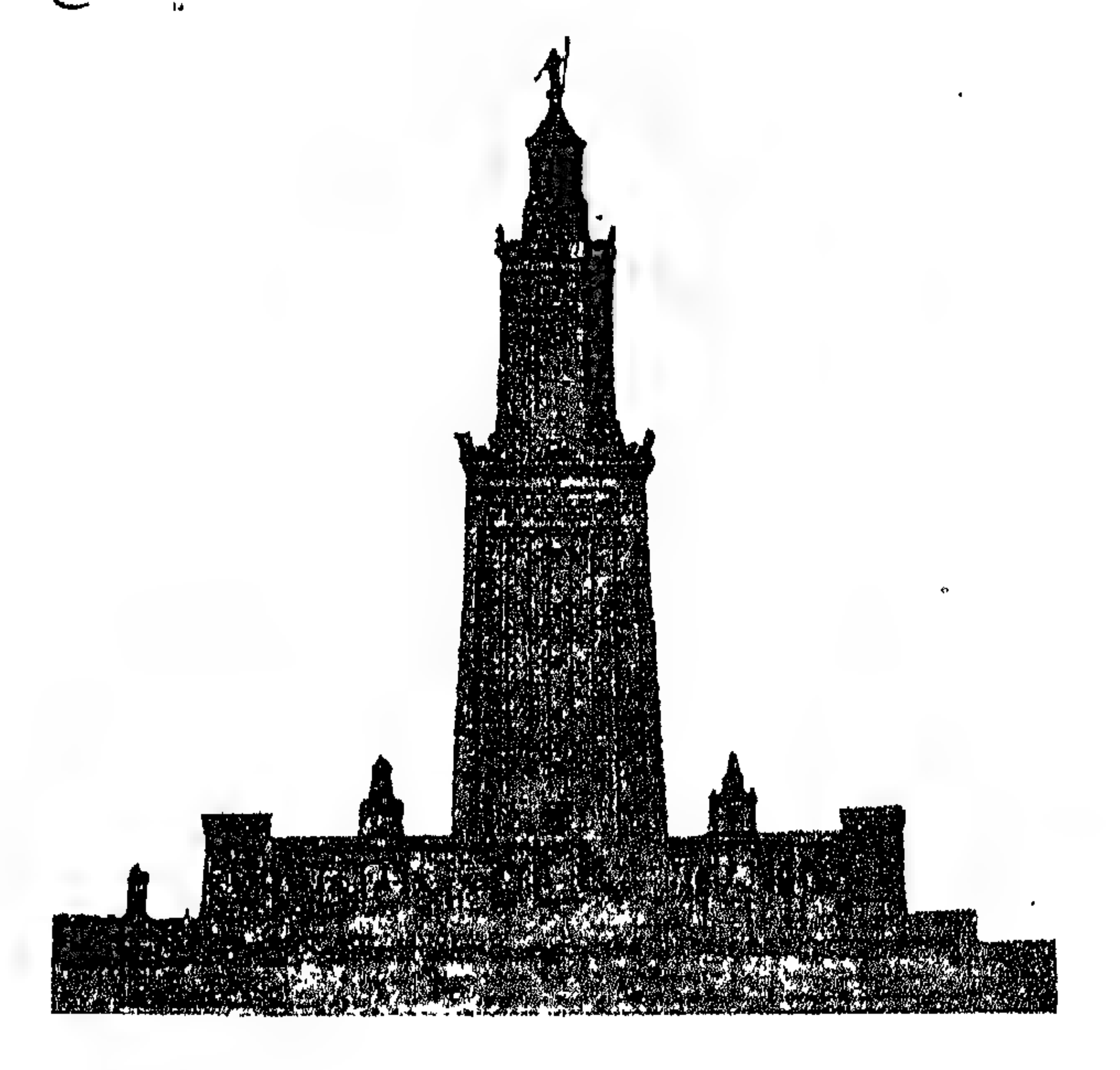
ولم تحدث فى مدة خلفه بطليموس الثانى حروب مهمة فانصرف الى تنمية ثروة البلاد ونشر العلوم :

التجارة

جدد القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر واعاد طريق القوافل الموصل بين البحر الاحمر والنيل عند قفط . فتقدمت تجارة مصر فى البحر الابيض المتوسط وفى البحار الشرقية مع بلاد العرب والهند والاحباش

منارة الاسكندرية
٢٧٩ ق . م .

وقد بنى لهداية السفن منارة الاسكندرية المشهورة فى التاريخ وقد



شكل (٢٥) : منارة الاسكندرية كما كانت

وصفها سترابون بأنها كانت برجا ذا طبقات من حجر أبيض يشبه الرخام . وذكر يوسيفوس أن نورها كان يرى ليلا على بعد ثلاثة وثلاثين ميلا من الشاطئ وكانت تبلغ من الارتفاع مائة متر وقد دمرها زلزال فى عام ١٣٠٧ م .

دار الكتب ودار التحف بالاسكندرية

بنى بطليموس الثانى أو وسع هاتين الدارين العظيمتين وأصبحت بهما الاسكندرية اكبر مراكز الحضارة الاغريقية .

ترجمة التوراة عن العبرية الى الاغريقية

ويقال أنه شجع ترجمة التوراة من العبرية الى الاغريقية ، والظاهر أنه لم يكن شيء من ذلك وأن اليهود قاموا بذلك العمل من تلقاء انفسهم لما وجدوا مواطنيهم فى الاسكندرية قد نسوا العبرانية .

تاريخ مانيثون

ويقال أيضا إنه حمل مانيثون على كتابة تاريخه المشهور لملوك مصر القدماء

سياسته ازاء المصريين والاغريق

ولا يصح أن نستخلص من ذلك أن بطليموس الثانى وضع نصب عينيه إحياء الحضارة المصرية القديمة أو مزج العنصرين المصرى والاغريقى فى حضارة جديدة .

ولكن ذلك لا ينافى اهتمامه الشديد باكتساب حب المصريين وتنمية ثروة مصر فأقام المبانى وشيد الهياكل لمعبوداتهم ومن أشهر مبانيه جزء من قصر انس الوجود المعروف .

ومعنى الاكثار من المبانى العظيمه أن الشعب يسترد جزءا كبيرا مما يدفعه من الضرائب التى تجمعها الحكومة . ومعناه أيضا تربية الشعب تربية فنية عظيمة . وليس هناك ما يدل على أن بطليموس سخر الناس فى اقامة مبانيه

وقد اهتم بطليموس أيضا بالاغريق وأقطع جنوده منهم أرضا في الفيوم ولكنه لم يظلم المصريين لاجلهم فليس هناك ما يدل على أنه انتزع الارض في الفيوم من اصحابها أو على وقوع النزاع بين العنصرين في ذلك الاقليم .

بطليموس الثالث اضمحلال البطالسة

وفى أيام بطليموس الثالث امتد ملك مصر فشمل برقة أو طرابلس وسوريا و بلاد النوبة . ومن مبانى هذا الملك الشهير معبد ادفو ودندرة ولكن ذلك الملك الواسع لم يدم بل ضعفت مصر نفسها بعد بطليموس

الثالث ، وبلغ من ذلك أنها دخلت في حماية الجمهورية الرومانية وقد بدأت إذ ذاك تتغلب على البحر الابيض المتوسط ، وانتهى الأمر بدخولها في حكم الدولة الرومانية كما سيأتى بعد .

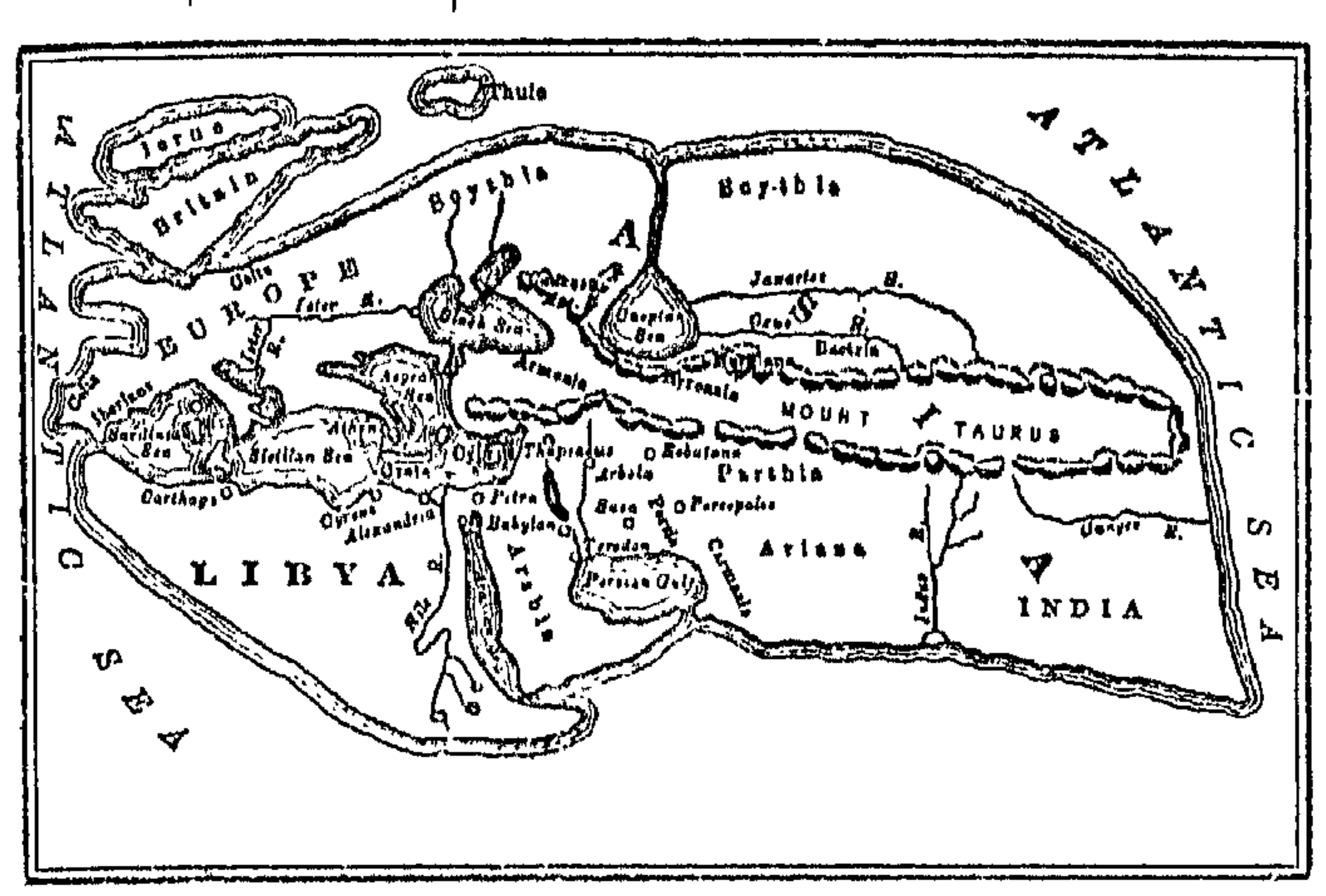
الحضارة أيام البطالسة دار الكتب ودار التحف

تعتبر دار التحف بمثابة جامعـة تدرس فيها العلوم المختلفة ويقوم فيها العلماء بالبحوث العلمية الراقية . ومن هؤلاء العلماء اقليدس الذي وضع قواعد الهندسة ومنهم ارخميدس العالم الطبيعى الذى لم يقم في الاسكندرية ولـكن كان على اتصال تام بعلمائها . ومنهم ايراتشونيس الذى قاس طول محيط الكرة الارضية ورسم خريطة للعالم .

اقليس

ارخميدس

ايراتشونيس



شكل (٢٦) : العالم كما رسمه ايراتشونيس



شكل (٢٧) : العالم كما رسمه بطليموس

الطب

ومن الدراسات العالية بالاسكندرية دراسة الطب وقد التحق بها عدد كبير من الطلبة وقام علماء الطب بابحاث مهمة .

اجرومية ديونيسيوس

ومن أكبر ثمار تلك النهضة وضع ديونيسيوس لقواعد الاجرومية الاغريقية وقد أثرت في اجروميات اللغات الأخرى

وأما دار الكتب فكانت تحتوى على اكثر من نصف مليون مجلد وقد حفظت هذه المجلات علم الاغريق وآدابهم إذ من مجلدات الاسكندرية قبل احراقها نسخ النساخون المؤلفات الاغريقية .

احراق مكتبة الاسكندرية

ويقال ان تلك المكتبة أحرقت يوم تغلب يوليوس قيصر الرومانى على الاسكندرية أو عند فتح العرب مصر . والظاهر أن محتويات المكتبة كانت قد تبددت على توالى العصور بحيث لم يبق منها يوم احراقها إلا جزء مما كان فيها .

الادب الاغريقى

كانت فى الاسكندرية نهضة أدبية اغريقية ومن أشهر من ظهر من الكتاب ثيوكريتوس .

وجملة القول انه كانت أيام البطالسة حضارة باهرة إلا أنه يسهل المبالغة في وصف تلك الحضارة ، وقد كتب الفيلسوف الرومانى سنكا أن بعض البطالسة قصدوا فى انشاء الدور العلمية الى التباهى ، واستشهد على ذلك بأن العلماء في عهد البطالسة الأواخر كان معظم همهم منصرفا الى تسلية هؤلاء الملوك الضعفاء .

المصريون والحضارة الاغريقية

كان للمصريين أيام البطالسة بعض حضارتهم القديمة وقد احتفظوا بما ورثوه عن آبائهم ، ولم يكن للحضارة الأغريقية سبيل اليهم فكانت معاهد الاسكندرية دوراً أجنبية فى أرض مصرية . وليس معنى ذلك أن المصريين كانوا شعباً مهاناً فقد كان لهم حتى فى الاسكندرية مع كثرة الاغريق والاسرائيليين بها صوت مسموع .

الباب الثالث

روما

الفصل الأول

عصر الملوك (٧٥٣ — ٥٠٠ ق . م .)

النزاع بين الاشراف والعامة

أصل الايطاليين

تقدم القول كيف ارتحلت القبائل الساكنة فى الأرض شمال بحر قزوين الى سهول أوربا الوسطى ومنها أغار بعضها على شبه جزيرة البلقان وبعضها على شبه جزيرة ايطاليا .

ومن تلك القبائل كانت قبيلة الايطاليين وقد استقرت في الأجزاء الوسطى والجنوبية من شبه الجزيرة وفى جزيرة صقلية . وتاريخها فى الالف والخمسمائة السنة التى تلت اغارتها على ايطاليا غير معروف وليس لدينا منه إلا بعض خرافات لا يمكن الاعتماد عليها .

الخرافات

لم تكن في ايطاليا وقت قدوم أولئك المغيرين حضارة مثل التى وجدها الاغريق فى بحر الارخبيل والظاهر أن قدومهم أحدث اضطرابا في شبه الجزيرة فغادرها بعض السكان الاصليين ، وبما كان منهم من خدم في الجيوش المصرية فقد وجدوا فى الآثار المصرية التى ترجع الى القرن الثالث عشر رسوما ربما كانت رسومهم .

شبه الجزيرة وقت قدومهم

سكان ايطاليا الاخرون

وكان فى ايطاليا غير الايطاليين ثلاثة أجناس أخرى :

١ ـ الاترور يون

أولها الاترور يون وموطنهم بلاد اترور يا وهى أرض فى شمال ايطاليا ولا يعرف المؤرخون انى اتوا وقد يكون القوم هم البحريين الذين اغاروا على الدلتا ورسم المصريون صورهم .

٢ ـ القرطاجنيون

وكان هناك أيضاً القرطاجنيون وهم كما تقدم من أصل فينيق وكانوا ذوي تجارة ودراية كبيرة بالملاحة . وكانت لهم في صقلية مستعمرة

٣ ـ الاغريق

أما الجنس الثالث فكان الاغريق أعداء القرطاجنيين ومستعمراتهم فى صقلية وجنوبى ايطاليا واشهرها سيرا كيوز ، ومن هؤلاء الاغريق تعلم الايطاليون بعض أصول الحضارة .

اللاتين

ولم يكن الايطاليون شعبا موحدا تحت حكم واحد بل كانوا منقسمين الى قبائل دائمة التحارب ومن تلك القبائل اللاتين وقد سكنوا فى سهل لانيوم جنوبى نهر التيبر وحوالى عام ٧٥٠ ق . م تغلب الاترور يون على اللاتين

الاتروريون يحكمون اللاتين

تأسيس روما عام ٧٥٣ ق . م

وكانت قاعدة الحكم الاتروري حصنا على جبل البلاتين عرف بعد باسم روما وبدأ بالحكم الاترورى العصر الملكى فى تاريخ روما . وعلى ذلك فملوك روما الأول كانوا اتروريين . ولا سبيل حينئذ إلى قبول رواية قصة روميلوس وريموس عن تأسيس مدينة روما .

حكم روما الملوك الاتروريون من عام ٧٥٣ الى ٥٠٠ ق . م . ولا يعرف المؤرخون كثيراً عن عصرهم .

والظاهر أنه فى ذلك العصر تحضر اللاتين بعض التحضر فأخذوا عن تجار الاغريق الحروف الهجائية والنقود المسكوكة والمعتقدات الدينية فنجد لكل معبود إغريقى معبودا يعادله في الدين الرومانى فمثلا جوبيتر يقابل زيوس عند الاغريق وهكذا .

طرد الملوك عام ٥٠٠ ق . م .

وحوالى عام ٥٠٠ ق . م . أدت قسوة الملوك واستبدادهم وعلى الاخص سوء سيرة آخرهم تاركوينيوس سوبر بوس إلى قيام الرومان ضدهم . فطردوا الملوك وأقاموا جمهورية ارستقراطية أى أن الحكم فيها

في أيدى الاشراف إذ كانوا هم زعماء الثورة ضد الملوك. وفي تلك الجمهورية كانت السلطة العليا فى يد رجلين يلقبان بالقنصلين و يتجدد انتخابهما آخر كل عام، ولا ينتخب للقنصلية إلا شريف.

القنصلان

قسا حكم الاشراف فقام نزاع طويل بينهم و بين العامة وحصلت العامة بعد جهد كبير على حق انتخاب موظفين يعرف الواحد منهم بالتريبون لحمايتها فكان للتريبون أن يرفض الموافقة على عمل أي موظف من موظفى الدولة حتى القناصل وينتصف للعامة بذلك اذا وقع بها حيف

النزاع بين الاشراف والعامة

التريبون

فى أول عهد الجمهورية كان القناصل يقومون بوظائف الدولة فكانوا يقودون الجيش ويدبرون المال و يقضون بين الناس ولكن لما كبرت روما وزادت أعمال الحكومة ضيق من دائرة اختصاص القناصل وقام ببعض وظائفهم موظفون آخرون. فاختص بأمور المالية الكويستر، وبالاحصاء و تقدير الضرائب وتحرير كشوف المنتخبين ومراقبة سلوك الناس السنسور وبالقضاء البريتور

تعدد وظائف الدولة

الكويستر

السنسور ـ البريتور

وكان فى نظام الجمهورية مجلس يجلس فيه الشيوخ اسمه السناتو يتولى القناصل بالنصح والارشاد.

السناتو

دام النزاع مائتى سنة وانتهى بتساوى الاشراف والعامة في الحقوق

ادوار النزاع بين الاشراف والعامة

أول ما طلبته العامة تدوين القوانين حتى يعرف كل انسان ماله وما عليه ونجحت في ذلك، فدونت القوانين المعروفة بالالواح الاثنى عشر

الالواح الاثنى عشر حوالى ٤٥٠ ق. م.

وطلب رجال العامة بعد ذلك أن يكون لهم صوت فى وضع القوانين أى فى التشريع، وتمكنوا من أن يكون لهم مجلس عرف باسم الكوميتيا تريبونا أى مجلس القبائل ويرأسه التريبون.

الكوميتيا تريبونا

وعدا هذا المجلس كان هناك أيضا المجلس المئوى أو الكوميتيا سنترياتا وفيه تجتمع العامة على حسب المئات المنتظمين فيها. وفي أول الأمر كانت للاشراف القوة فى ذلك المجلس ولكن العامة نجحت فى التساوى بهم فيه.

الكوميتيا سنترياتا

ثم حصلت العامة أيضاً على نصيب أوفر مما كان لها من الأراضى العامة وعلى حق التزوج كما تشاء وعلى حق المتاجرة ثم بعد ذلك حصلت على حق الانتخاب لوظائف السنسور والبريتور والقنصل .

الاشراف الحديثون

بعد ذلك التساوى التام قامت فى روما أسرات شريفة ولكنها من أصل عامى وقد حرم رجال هذه الأسرات زمنا طويلا الجلوس في السناتو ولكنهم نالوا هذا الحق أخيراً

السناتو الجديد

وأصبح بذلك السناتو مكونا من ٣٠٠ عضو من خيرة رجال روما حنكة ودراية بالأمور ، وتحت ارشاد السناتو علا شأن روما فصارت سيدة ايطاليا ثم سيدة العالم .



الفصل الثانى

روما سيدة ايطاليا

التحالف مع اللاتين

لم تكن روما فى أول أمرها إلا مدينة صغيرة تحكم أرضاً لا تزيد اتساعها على بضعة أميال. وأول ما عملت روما لتوسيع ملكها كان تحالفها مع اللاتين. وقد قرر السناتو أن يكون للاتين معظم ما للرومان من الحقوق، فأصبح بذلك لحلفاء روما باعث قوى على الارتباط بها.

الاترووريون

وأكبر خطر على روما وحلفائها كان من ناحية الاترووريين ولكن لحسن حظ الجمهورية الناشئة وقع الاترووريون في حرب مع سيراكيوز الاغريقية وفى عام ٤٧٤ ق. م. دمرت سيراكيوز قوة الاترووريين البحرية ثم دهم الاترووريين أيضا عدو آخر: وذلك أن قبائل الغالة

الغالة

أغارت على شمال ايطاليا ونهبت مدن الاترووريين فضعفوا بذلك، وتمكن الرومان من الهجوم على بلادهم والاستيلاء على مدينتهم فى وذلك في عام ٣٩٦ ق. م.

الاستيلاء على مدينة فى عام ٣٩٦ ق. م.

كذلك تمكن الرومان أيضاً من رد بعض القبائل الايطالية عن أرضهم ولكنهم وقعوا فى خطر عظيم: وذلك أن قبائل التى ذكرنا اكتساحها لمدن الاترووريين هجمت على روما واستولت عليها فى عام ٣٩٠ ق. م. غير أن الغالة لم يمكنهم التغلب على حصنها وقبلوا بعد حصار طويل أن ينجلوا عن روما في مقابل مبلغ من المال. فارتدوا عن روما واستقروا فى وادى نهر البو

الغالة فى روما عام ٣٩٠ ق. م.

الحلف اللاتينى

نجح الرومان في اجلاء الغالة ولكنهم خشوا تجدد الاغارة فبنوا حول مدينتهم سوراً يحميها وأمعنوا فى قتال الاترووريين والتغلب على مدنهم فقلق اللاتين لتلك السياسة وأوجسوا خيفة من ازدياد قوة الرومان فحاولوا أن ينفصلوا عنهم تماما، ولكن الرومان نجحوا فى اخضاعهم

بعد حرب دامت عامين أصبح اللاتين فى نهايتها رعية رومانية لا أحلافا

ثم اتجهت أنظار روما نحو الايطاليين الآخرين ويعرفون بالسامنيين ويسكنون أرض سامنيوم فى الجنوب الشرقى من روما ، ولا اتصال لها بالبحر .

السامنيون

وكان السامنيون أشداء هزموا الرومان مرارا وتحالفوا عليهم مع الاتروريين والغالة ولكن روما انتصرت عليهم جميعا فى واقعة حاسمة هى واقعة سنتينوم في عام ٢٩٥ ق . م . وبعدها صارت روما أقوى دول ايطاليا تتحكم في شمالها ووسطها ، وأرغمت الاتروريين والسامنيين على محالفتها .

سنتينوم
٢٩٥ ق . م .

بذلك الانتصار امتد نفوذ الرومان الى حدود المدن الاغريقية فى ايطاليا ولم تكن تلك المدن خاضعة لحكم واحد بل كانت في حروب مستمرة . وكانت مدينة تارنتم الواقعة فى أقصى الجزء الجنوبى من ايطاليا أكبر تلك المدن . وقد تخوف أهلها من ارتفاع شأن روما فاستغاثوا بالملك بيروس وكان يحكم الابيروس على الساحل الشرقى للبحر الادرياتيكى . فلبى بيروس النداء لانه كان يطمح في تكوين حلف من الاغريق الساكنين فى ايطاليا وصقلية ؛ وعبر البحر الى ايطاليا : وكان له جيش مدرب عظيم وله دراية بفن الحرب اكتسبها من القائد الطيبى الكبير أبامنداس وفيليب المقدونى . فهزم الرومان فى واقعتين كبيرتين في عامى ٢٨٠ و ٢٧٩ ق . م . ثم تغلب على جزيرة صقلية . فاثار ذلك عليه القرطاجنيين ولهم في صقلية مستعمرات فجهزوا اسطولا لمساعدة روما ضده . فعول بيروس على الرجوع لبلاده لما رأى أنه لن يمكنه الاستيلاء على روما بعد أن هزمته جيوشها في واقعة بنفنتم ؛ ولما رأى أن لا سبيل لجمع كلمة الاغريق بعد أن الفوا التفرق عهدا طويلا .

المدن الاغريقية فى ايطاليا

تارنتم

بيروس

وبعد عودته خضعت المدن الاغريقية لروما الواحدة تلوا الاخرى واصبحت روما سيدة ايطاليا ، وبدأت الكفاح مع قرطاجنة للسيادة فى البحر الأبيض المتوسط .

الفصل الثالث

الكفاح بين روما وقرطاجنة

٢٦٤ — ١٤٦ ق . م .

قوة قرطاجنة

وجدت روما في قرطاجنة عدوا أشــــد كثيرا من الاترووريين والسامنيين والاغريق ، إذ كانت قرطاجنة أقدم من روما عهدا بسياسة الملك ، ويرجع تأسيسها الى عام ٨١٤ ق . م . ولها مستعمرات فى أفريقية وصقلية واسبانيا وكورسيكا وسردينيا وجزر البليار ، ولها تجارة عظيمة وقوة بحرية كبيرة . ولم يكن لروما قوة بحرية ، ولم يكن لها من الغنى ما للقرطاجنيين .

قوة روما

ولـكن الرومان كانوا أقوى برا وكانوا وإن أعوزهم المال أتم نظاما من خصومهم وأطوع منهم لقوادهم .

وكان جيشهم مكونا من رومان أحرار يزرعون الارض ولا سيد لهم إلا القانون سيد الجميع من كبير وصغير على حين كان القرطاجنيون لا صوت لهم فى ادارة شؤون بلادهم ، إذ أن الحكم في بلادهم كان في يد التجار الاغنياء يملكون معظم الارض ويزرعها لهم أرقاؤهم .

وكان الحكم الرومانى فى ايطاليا قائما على حسن معاملة سكانها فاخلص هؤلاء له وقت محنة روما . أما الحكم القرطاجنى فقد قام على استعباد الشعوب فلم تملك قرطاجنة قلوب رعيتها ولم تأمن لها ، واضطرت إلى تجنيد المرتزقة من كل الشعوب .

الحرب البونية الاولى ٢٦٤ ق . م .

قامت الحروب الاولى المعروفة بالبونية أو الفينيقية فى عام ٢٦٤ ق . م . وذلك أن مدينة مسينا في جزيرة صقلية كان يحاصرها هيرو صاحب

سيراكيوز واستغاثت مسينابروما وهيرو بقرطاجنة فتدخل القرطاجنيون واستولى قائدهم هانو على حصن مسينا وتدخل الرومان وبدأت الحرب

وفى عام ٢٦٣ ق . م. ترك هيرو جانب القرطاجنيين وانضم للرومان وتمكن الفريقان من الاستيلاء على الجزء الشرقى من صقلية . ولكن لما لم يكن لروما قوة بحرية اكتسح القرطاجنيون سواحلها ودمروا تجارتها فلم تجد روما بدا من بناء أسطول

بناء الاسطول الرومانى

وحدث إذ ذاك أمر غريب هو انتصار الزومان في البحر على قلة خبرتهم وهزيمتهم برا على طول عهدهم بالحرب البرية .

الصلح

وفى آخر الأمر تراضى الفريقان على الصلح ، فدفعت قرطاجنة غرامة كبيرة وتركت للرومان معظم صقلية والجزر المجاورة لها فكان ذلك أول فتوح الرومان خارج إيطاليا

الحرب البونية الثانية

هاملكار فى اسبانيا

لم يكن ذلك الصلح إلا هدنة مؤقتة ، وقامت الحرب لما احتل الرومان سردينيا وكورسيكا في عام ٢٣٨ ق . م . فقام القائد القرطاجنى هاملكار بتجهيز قوة كبيرة فى اسبانيا للاغارة بها على إيطاليا . ولكنه قتل قبل اتمام مشروعه فقام من بعده قائدا اسمه هاسدروبال لاكمال العدة وقتل أيضا فقام محله هانيبال اكبر أبناء هاملكار ، وكان إذ ذاك في التاسعة والعشرين وله فى التاريخ ما لقيصر ونابليون من المقام العظيم

هانيبال

ترك هانيبال اسبانيا فى عام ٢١٨ ق . م . بجيش يزيد عن المائة الالف من مشاة وفرسان ، وتقدم برا واجتاز جبال الالب ونزل على سهول ايطاليا الشمالية . وقد اختار تلك الخطة المحفوفة بالمصاعب لخوفه من الاسطول الرومانى ولرغبته في الاستعانة بالغالة وغيرها من القبائل المتبربرة النازلة فى تلك الجهات

اغارته على ايطاليا

وتغلب هانيبال على الجليد والبرد ومنع المتبربرين من تعطيل حركته واجتاز الجبال ، ولكنه فقد في ذلك جزءا كبيرا من جيشه . وعلى الرغم من ذلك هزم الرومان فى واقعتين متتاليتين واستولى على شمال ايطاليا وجند من المتبربرن عددا كبيرا .

استيلاؤه على شمال ايطاليا

وفي عام ٢١٧ ق . م . اجتاز جبال الابنين وتقدم على روما فاسرع القنصل فلامنيوس لملاقاته . ولم يكن القنصل ماهرا فوقع فى كمين نصبه له هانيبال عند بحيرة ترازيمين وهزم الرومان في أرض ضيقة بين جبلين فى يوم انتشر فيه الضباب .

انتصاره عند بحيرة ترازيمين

لم يفقد الرومان شجاعتهم بل وضعوا السلطة كلها فى يد رجل واحد هو فابيوس مكسيموس وكان هذا يري أن الازمة شديدة ولكن لاداعى للقنوط إذ أنه كان يعلم أن هانيبال لا يملك شيئا من آلات الحصار ، وأنه ليس لديه ما يتمكن به من تجديد قوته على شرط أن يمنعه الاسطول الرومانى من الاتصال بقرطاجنة . فكانت الخطة المثلى في نظر فابيوس هى أن يتجنب الرومان الواقع الحاسمة ويكتفوا بأجهاد هانيبال الى أن ينتهى الامر به بالجلاء عن إيطاليا .

خطة فابيوس

ولكن الرومان ملوا الصبر ، وهاجهم اكتساح هانيبال أرضهم وفابيوس هادئ لا ينزعج ولا يتعجل الامور ، فعرفوه بفابيوس المؤجل وعينوا بدله قنصلين وجهزوا جيشا عظيما .

ولكن هانيبال أوقع بذلك الجيش وهزمه شر هزيمة فى واقعة كانى وقتل من الرومان عدداً كبيراً . وتحالف مع فيليب ملك مقدونيا الذي تعهد بانزال جيش على ساحل ايطاليا الشرقى وانضمت الى هانيبال سيراكيوز حليفة روما القديمة . وصار بذلك للقرطاجنى الأمر في جنوب ايطاليا وصقلية .

واقعة كانى ٢١٦ ق . م

هانيبال يستولى على جنوبى ايطاليا وصقلية

ولكن الرومان لم تطر قلوبهم شعاعا ، بل أخذ السناتو فى تجهيز جيوش جديدة وجند الكل حتى الأرقاء والصغار وبدأت الجنود الرومانية تسترد ما فقدته . وتحققت صحة رأي فابيوس فان هانيبال على الرغم من عظم انتصاره لم يتمكن من تجديد جيشه فلم يقو على منع روما من استرداد سيراكيوز في عام ٢١٢ ق . م . ومن فرض جزية كبيرة عليها ومن فتح جزيرة صقلية كلها .

فتح سيراكيوز

الحرب فى اسبانيا

وفي تلك الاثناء كانت الحرب قائمة في اسبانيا بين الرومان والقرطاجنيين ولما حاول هاسدروبال اخو هانيبال ترك اسبانيا لمساعدة أخيه هزمه القائد الرومانى سيبيو هزيمة كبيرة فى عام ٢١٧ ق . م .

حرج موقف هانيبال

أخذ هانيبال بعد ذلك يرى أن لا خلاص إلا اذا امدته بلاده بالرجال والعدة ، ولكن القرطاجنيين كانوا قد ملوا الحرب وأخذوا يفكرون في عقد الصلح ثم تخلى فيليب المقدونى عن محالفتهم وانحاز الى روما عام ٢٠٥ ق . م . ولما تمكن جيش قرطاجنى تحت قيادة هاسدروبال من الوصول لايطاليا هزمه الرومان عند نهر متوروس فى عام ٢٠٧ ق . م وقتلوا قائده

سيبيو

ظهر في اسبانيا أثناء ذلك القائد الكبير سيبيو وعندعودته الى بلاده انتخب قنصلا وغزا قرطاجنة نفسها بجيش ، فاضطر القرطاجنيين الى استدعاء هانيبال فى عام ٢٠٣ ق . م . بعد خمسة عشر عاما قضاها فى ايطاليا .

واقعة زاما عام ٢٠٦ ق . م.

تقابل هانيبال وسيبيو فى واقعة زاما بالقرب من قرطاجنة وانتصر الرومان وقبلت قرطاجنة الشروط الرومانية ، وهى دفع غرامة كبيرة وجزية سنوية وتسليم اسطولها عدا عشرين سفينة والنزول عن مستعمراتها في اسبانيا

نهاية هانيبال

غادر هانيبال بلاده على أثر ذلك وقصد الى الشرق ليثير العداء على الدولة الرومانية ولما وجد من لجأ اليه يريد تسليمه لروما سم نفسه فى عام ١٨٣ ق . م

الحرب الثالثة

خرجت قرطاجنة من الحرب الثانية مخذولة ولكن بقى لها استقلالها وتجارتها فامكنها فى خلال خمسين سنة اعادة ما كان لها من الرخاء القديم على الرغم من الجزية السنوية ، فساء ذلك فريقا قويا من أعضاء السناتو كان يرى أن لا حياة لروما إلا إذا قضت على عدوتها تماما . ومن أنصار ذلك الرأى « كاتو » وقد اعتاد أن يخطب خطبة بكلمة ذهبت مثلا فى اللغات الاوربية « لا بد من تدمير قرطاجنة »

« لابد من تدمير قرطاجنه »

وفى عام ١٤٦ ق . م . سنحت فرصة لتحقيق ذلك الرأى وذلك أن القرطاجنيين وقعوا فى حرب مع جيرانهم سكان نوميديا حلفاء روما ، فاعلنت هذه الحروب وبعد ثلاث سنوات استولت على قرطاجنة وعفت آثارها وحولت أرضها الى ولاية رومانية اسمها افريقية .

تدمير قرطاجنة

أصبحت روما ولا منافس لها فى البحر الابيض المتوسط ، وامتلكت اسبانيا وصقلية وأرضا فى افريقية الشرقية .

نتائج الحروب البونيه

وثبتت دعائم ملكها فى ايطاليا فهزمت المتبربرين الساكنين فى الشمال وأوصلت حدوده الى جبال الالب وعاقبت المدن التى انحازت الى جانب القرطاجنيين وجعلت أرض تلك المدن ملكا لها ووزعته بين صغار المزارعين .

ولكن الحروب الطويلة انهكت قواها : فقد قتل فيها خيرة شباب ايطاليا فقلت الايدى العاملة واضمحلت الزراعة لانصراف الفلاحين الى الخدمة العسكرية ، فنتج من ذلك حلول الارقاء محل الأحرار فى فلاحة الارض وتجمع المزارع الصغيرة فى ضياع كبيرة يملكها الاغنياء .



الفصل الرابع

فتوح الرومان فى مقدونيا وآسيا

٢١٥ — ١٦٨ ق . م .

الحالة فى الشرق

رأينا كيف انقسمت دولة الاسكندر ثلاثة أقسام : مصر ويحكمها البطالسة ، وآسيا أو سوريا ويحكمها السلوقيون ، ومقدونيا . أما المدن الاغريقية فقد كونت أحلافا

مقدونيا

كانت مقدونيا أول هذه الاقسام وقوعا فى الحكم الرومانى وذلك أن ملكها فيليب الخامس حالف هانيبال فى أثناء الحرب البونية الثانية . فقام العداء بذلك بين روما ومقدونيا وانقسم الاغريق الى فريقين فريق انحاز الى روما والآخر الى فيليب . ولم تحدث في تلك الحرب وقائع ذات بال ، إذ كان الرومان منصرفين الى حرب هانيبال ، وكان فيليب غير قادر على اعانة حليفه اعانة جدية فعقد الصلح بين الدولتين فى عام ٢٠٥ ق . م .

الحرب المقدونية الاولى ٢١٥ - ٢٠٥ ق . م .

الحرب المقدونية الثانية ٢٠٠ - ١٩٧ ق . م

ثم قامت الحرب الثانية لما هاجم فيليب اثينا واستغاثت هذه بروما . ولم يغنه تحالفه مع ملك آسيا وبعض المدن الاغريقية ، فهزمه الرومان وجردوه من ممتلكاته في آسيا الصغرى وجزر الأرخبيل وشبه جزيرة البلقان ، ولم يتركوا له إلا مقدونيا نفسها . بذلك تخلصت الاحلاف الاغريقية من نفوذ مقدونيا ولكنها دخلت فى حماية روما .

الحرب بين روما وانتيوخوس ملك آسيا ١٩١ ق . م.

ولما حاول ملك آسيا انتيوخوس الاعتداء على مصر وعلى الاحلاف الاغريقية فى آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان أعلن الرومان عليه الحرب وأرغموه على مغادرة بلاد البلقان

روما سيدة الاغريق

لم يستقل الاغريق بذلك فان روما حلت أحلافهم وبسطت عليهم سيادتها

تقسيم آسيا الصغرى وسياسة روما

وتبع الرومان انتيوخوس الى آسيا الصغرى وازالوا سلطانه عنها، ولكنهم لم يضموها لملكهم بل قسموها بين صديقتيهم رودس وبرجامون ويدل ذلك على أن الرومان لم يكن قصدهم التوسع في الملك بل تكوين دول قوية يمكنها الدفاع عن نفسها . وفي عام ١٨٨ ق . م . جلا الرومان عن آسيا اعتمادا على قوة حلفائهم

برجامون ولاية رومانية

وفى عام ١٣٣ ق . م . أوصى ملك برجامون بملكه لروما فصارت برجامون ولاية آسيا الرومانية وأول أرض امتلكتها روما شرقى بحر الأرخبيل .

الحرب المقدونية الثالثة ١٧١ - ١٦٨ ق . م .

واقعة بيدنا ١٦٨ ق . م

وقبل ذلك كانت مقدونيا قد فقدت استقلالها . وذلك ان مقدونيا نهضت واستنفرت الاغريق واستحثتهم على الثورة باسم الاستقلال فقامت الحرب الثالثة وانتصر الرومان في واقعة بيدنا، وقسمت مقدونيا أربعة أقسام تخضع لروما ولما حاولت التخلص من ذلك الخضوع فى عام ١٤٨ ق . م . حولتها روما الى ولاية رومانية .

مصر تحت الحماية الرومانية ١٦٨ ق . م .

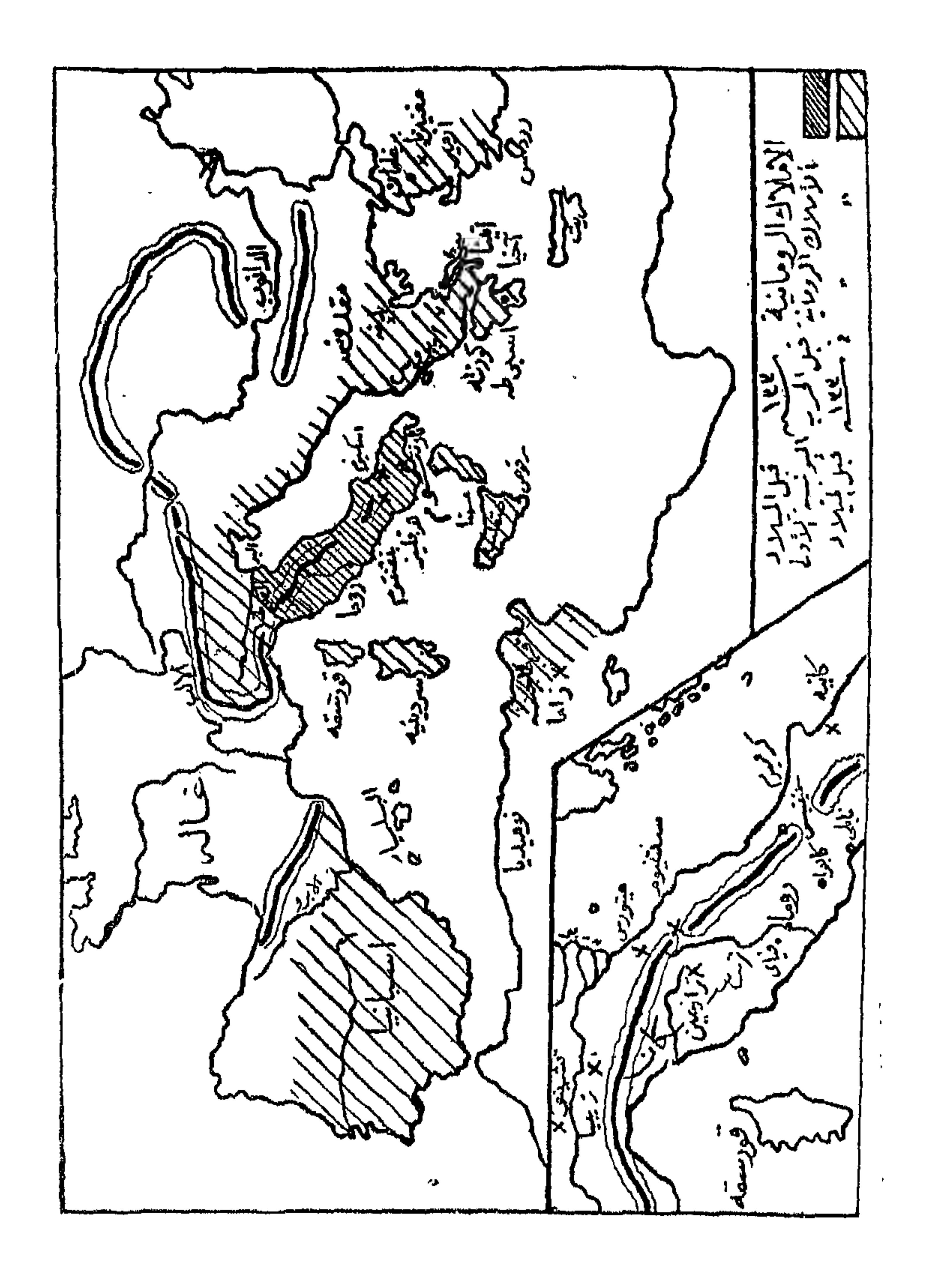
وفى عام ١٦٨ ق . م . دخلت مصر فى حماية الرومان أيضا وبذلك انتهت دولة الاسكندر .

السياسة الرومانية والفتوح

كانت السياسة الرومانية قبل واقعة بيدنا متجهة الى تجنب التملك خارج ايطاليا والاكتفاء ببسط نفوذها السياسى فى الشرق الأدنى . ولكنها وجدت أن تلك السياسة لم تأت بالمقصود منها بل أوجبت تدخلا مستمرا من جانب الحكومة الرودانية ووجدت تلك الحكومة سياسة الضم أقل مشاكل وأسهل تنفيذا .

فعلى ذلك يخطىء من يرى فى اتساع الدولة الرومانية أمراً مقصوداً أو مشروعا مفصلا ، بل كان فى الحقيقة أمراً حتمته الظروف وحاول السناتو تجنبه مدة طويلة .





الفصل الخامس

عصر الثورات

١٤٦ — ٣٠ ق . م .

اتسع ملك روما وشمل بلاد البحر الابيض المتوسط ، وبعد أن كان السناتو مجلس شيوخ مدينة صغيرة من مدن إيطاليا أصبح محكمة تفصل في أمور الملوك والشعوب ، وقصد روما الملوك والامراء التابعون ليقيموا فيها يتزلفون الى السناتو ([illegible]

وما لبث هذا الملك العظيم حتى أثر في الرومان أنفسهم وفي حكومتهم.

الحكم الروماني في الولايات

كان الحكم الروماني في الولايات سيئا أيام الجمهورية وذلك لأن أهل الولايات لم يكن لهم شيء من الحقوق التي كانت للرومان . وقد وضع السناتو قوانين لحكم الولايات ولكنها لم تراع : فالحاكم الروماني في الولاية كانت سلطته تامة ، في يده الحامية الرومانية والاموال التي يجبيها ، وهو بعيد عن أعين السناتو ، ولا سبيل لوصول شكاوى الاقاليم النائية الى مسامعه .

ومما زاد الطين بلة أن العادة اقتضت ان لا يمكث الحاكم اكثر من عام واحد ، فكان الغالب على الحكام انتهاز الفرصة لجمع كل ما يمكنهم جمعه من المال ولو وقع الحيف على الرعية . وذلك لأن الحاكم كان لا يعين في الحكم إلا إذا بذل المال بين ذوى النفوذ في روما فكان يهمه أن يسترد ما بذل من جيوب المحكومين .

الالتزام

وكان الحكام يتبعون في جمع الأموال طريقة فاسدة هي المعروفة بطريقة الالتزام : وذلك أن يتعهد بعض الناس بدفع ما على الاقاليم من الضرائب جملة واحدة و يقومون هم بجمعها من الناس لانفسهم. وعيب هذه الطريقة أن الملتزمين كانوا يربحون من ذلك ربحا كبيرا فقد كانوا يقدمون للحكومة أقل مما لها و يجمعون من الناس اكثر مما عليهم من الحقوق

المرابون

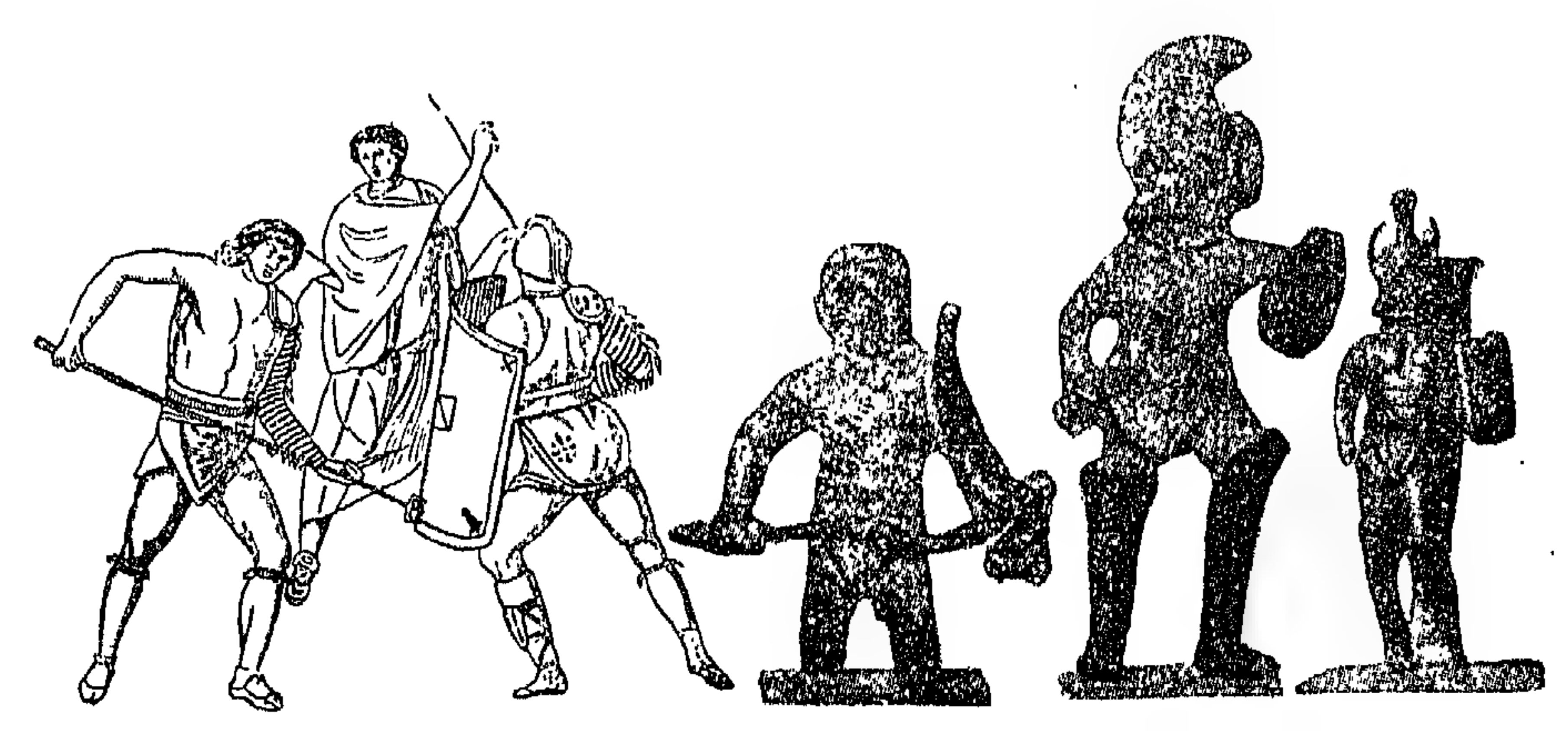
ساءت الحالة في الولايات وعمد أهلها الى الاقتراض من طائفة المرابين وكانوا يقرضون أموالهم بربا فاحش ، وليس هناك من يحمى الفقراء منهم ومن تحكمهم .

الاغنياء فى روما

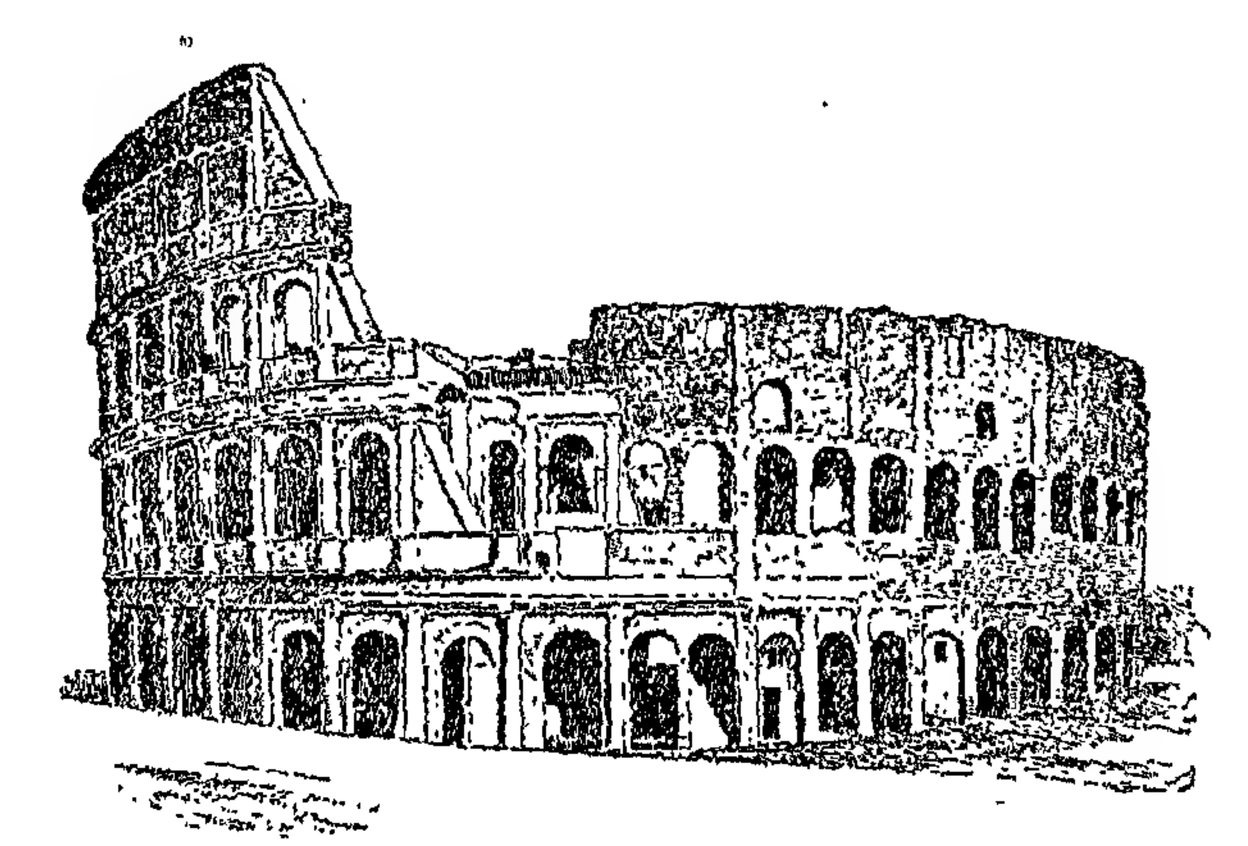
وقد اعتادت تلك الطوائف من الحكام والملتزمين والمرابين الرجوع الى روما بعد جمع ثروة عظيمة في الولايات والاقامة فيها والانفاق على سعة . فبنوا قصورا فخمة في العاصمة وزينوها بما جمعوه فى بلاد الاغريق والشرق من النفائس ، وحاطوا انفسهم بالجم الغفير من الارقاء والخدم . وكانت معيشتهم أبعد ما تكون عن معيشة الاشراف الذين بنوا مجد الجمهورية . وصار لهؤلاء الاغنياء بفضل مالهم نفوذ كبير فى الحكومة ، وصار كل أعضاء السناتو منهم وشغلوا وظائف الدولة العظيمة كلها ، وانتهى الأمر بأن المجالس العامة في روما التى سبق ذكرها لم يصبح لها من الأمر شئ

فساد العامة

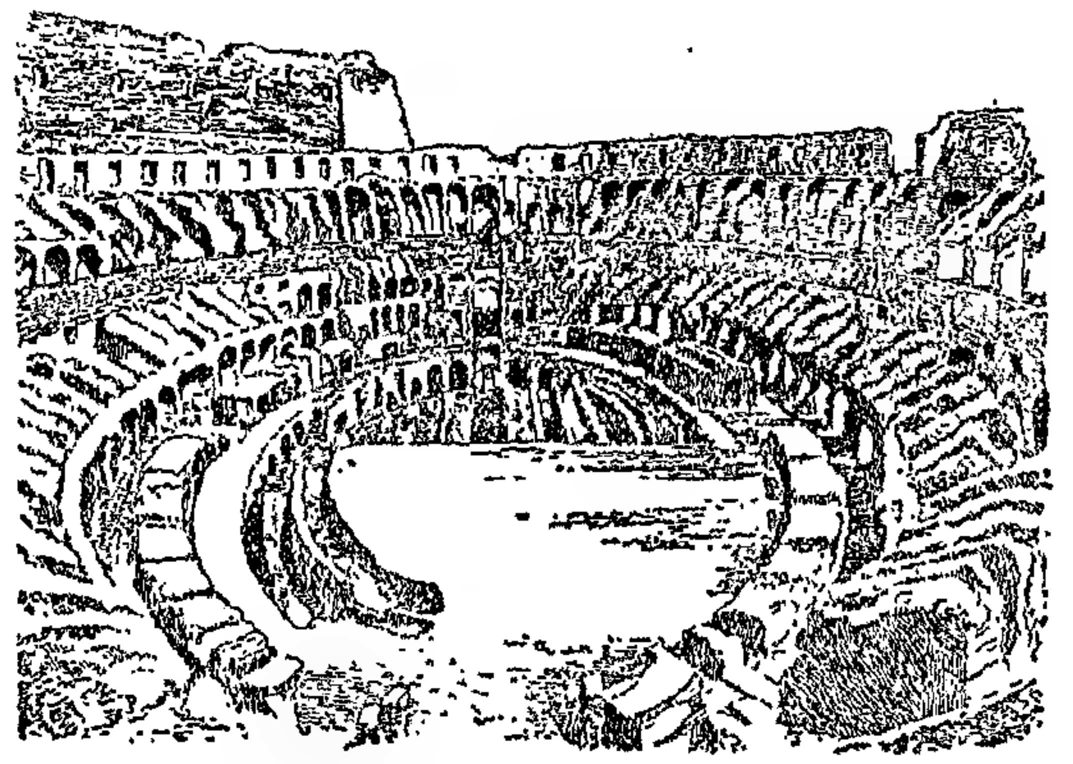
ولم يقف الأمر عند ذلك فأن الاغنياء عملوا على اكتساب نفوذهم بافساد العامة بطرق مختلفة : منها بيعهم الغلال لهم بثمن بخس ، ومنها الاكثار من المواسم والاعياد والعاب المصارعين وسباق العجلات .



شكل (٢٨) : المصارعون ـــ تماثيل مصغرة



شكل (٢٩) مسرح الكلوسيوم — الشكل الخارجى



شكل (٣٠) الكلوسيوم — داخل البناء

فضمنوا بتلك الطرق أصوات الشعب في الانتخابات ، ولم يجرؤ الفقير كذلك على ترشيح نفسه لأية وظيفة من الوظائف . وحتى الجند فسدت أخلاقهم فوضعوا أنفسهم تحت تصرف قوادهم الذين كانوا يمنونهم بالاسلاب والغنائم وأصبحوا في أيديهم آلات لتحقيق مطامعهم الذاتية . وجملة القول أن الشعب الرومانى الذى كان كبير الفضائل السياسية والحربية استحال الى جمهور من الرعاع يعيش على فتات موائد الاغنياء

المزارعون
استخدام الرقيق

وأخذ الاغنياء أيضا في ابتياع أرض صغار المزارعين وتحويلها الى ضياع كبيرة ، وعملوا على استخدام الرقيق في الزراعة بدلا من الاحرار . ومعظم الرقيق أصلهم من أسرى الحروب فى قرطاجنة واسبانيا وغالة

و مقدونيا وبلاد الاغريق وآسيا . وكانت هناك اسواق يباعون فيها و يشرون ، واثري أناس كثيرون من تلك التجارة .

ثورات الارقاء

ولم يحسن السادة معاملة ارقائهم فقاموا مرارا وثاروا طلبا للحرية ، واحتشد منهم فى إحدى الثورات جمع يبلغ نحو ٦٠٠٠٠ وجعلوا من أحدهم ملكا ، ولم تخمد الحكومة حركتهم إلا بعد حرب دامت سنين عدة

نتيجة كل ذلك اضمحلال طبقة الزارعين الصغار ، اذ أن الزارع الصغير عجز عن مزاحمة الملك الكبير فلم يمكنه أن يبيع حاصلاته بأثمان حاصلات الضياع العظيمة أو بأثمان الغلال المستوردة من مصر أو صقلية أو افريقية ، فاضطر الى بيع مزرعته والارتحال الى روما — كما فعل آلاف على شاكلته — والعيش فيها عيشة المتشردين

تأثير الفتوح فى الحضارة الرومانية

كان من شأن الفتوح اتصال روما بالحضارة الاغريقية ، فأخذ أغنياء الرومان يدرسون الآداب والفلسفة الاغريقية ، واتخذوا لابنائهم مؤدبين من الاغريق . ولم يكن كل ذلك خيرا فقد صحب انتشار الحضارة الاغريقية افلاع الرومان عن بساطتهم القديمة وفقدهم إيمانهم بآلهتهم وتفكك أواصر الاسرات . وقد قاوم تلك المساوئ رجال

الجهود فى سبيل الاصلاح

أشهرهم « كاتو » الذى كان طول حياته مثال المحافظة على العادات والنظم الرومانية القديمة . والسر في اهتمام كاتو وأمثاله بالاشياء القديمة رؤيتهم أن انتشار الآراء الجديدة لابد أن يؤدى يوما ما إلى القضاء على النظام الجمهوري نفسه ، فأن هـذا النظام قام فى الأصل على أساس اجتماعى خاص ، فمن شأن نقض هذا الاساس سقوط الجمهورية في آخر الأمر

وكانت هناك جهود أخري لاصلاح الحالة الاجتماعية والاقتصادية

تيبريوس جراكوس

وأشهر من قام بهذه الجهود الاخوان تيبريوس وكايوس جراكوس .

انتخب تيبريوس تريبونا فى عام ١٣٤ ق . م . وانتهز فرصة ذلك لاصلاح نظام الاراضى . فسن قانونا يرمى الى انتزاع أرض الدولة ممن اغتصبوها

معارضة السناتو

وتقسيمها بين الفقراء ، فعارض السناتو فى ذلك اذ كان جل أعضائه ممن

بمسهم ذلك ، وحاول تيبريوس التغلب عليه باعادة ما كان لمجالس العامة من سلطة. وقد أدى ذلك الى فتنة قتل فيها تيبريوس وثلاثمائة من أنصاره.

كايوس جراكوس

وفي عام ١٢٤ ق . م . انتخب أخوه كايوس تريبونا فحاول تنفيذ مشروع تيبريوس ولكن لم يكن حظه أحسن من حظ أخيه فقتل فى عام ١٢١ ق . م . هو وثلاثة آلاف من أنصاره .

ظهور ماريوس

رأس حزب العامة بعده جندى ماهر هو ماريوس وكان من أصل وضيع يحقد على الاشراف والشيوخ . وأول ما ظهر كان عند ما تولى القيادة في افريقية لاخماد حركة يوجورثا ملك نوميديا الخاضعة للنفوذ الرومانى وكان القواد الذين عينهم السناتو ضد يوجورثا قد فشلوا حتى ذلك الوقت فشلا معيبا . انتصر ماريوس وهزم يوجورثا واسره ، فأحب ماريوس الشعب وانتخبه قنصلا .

اخماد ثورة نوميديا

التغلب على قبائل السمبر والتيوتون

ثم قام فى عام ١٠٤ ق . م . لاخماد قبائل السمبر و التيوتون بعد أن عجز القواد الآخرون عن التغلب عليهم ، وتمكن من هزمهم هزيمتين ساحقتين ، ورجع رجوع الظافر .

اصلاح ماريوس

وفي عام ١٠١ ق . م . انتخب ماريوس للقنصلية مرة سادسة وبدأ الاصلاح وأحيا اقتراح الأخوين جراكوس وفتح الانتظام فى الجندية لجميع الطبقات وجعل الترقى فيه تبع الكفاءة لا الالقاب والمال .

ولكن قبل أن يتم عمله نشبت ثورة عظيمة فى ايطاليا أدت الى ما يعرف بالحرب الاجتماعية (٩١-٨٩ ق.م.) وسببها استياء الايطاليين من تمييز الرومان عليهم في الحقوق السياسية على الرغم من تساوى الفريقين فى التكاليف.

الحرب الاجتماعية

ثار الايطاليون وأقاموا دولة مستقلة وجعلوا لها سناتو ومجلسا عاما تنبه الرومان لخطر الحركة ، وكفت أحزابهم عن التطاحن ، وانصرفوا الى اخماد حركة الايطاليين . وقامت بين الفريقين حرب لم تنته إلا بعد ان نال الايطاليون مطالبهم .

الحرب ضد متراداتيس

وتبع ذلك تجدد نزاع الاحزاب في روما وقيام الحرب فى الشرق. وذلك أن مترادانيس ملك بونتس فى الشمال الشرقى من آسيا الصغرى انتهز فرصة اشتغال الرومان في ايطاليا وناصبهم العداء . فحاول حزب العامة تعيين ماريوس للقيادة في الشرق وحاول الأشراف تقليدها « سلا » وكان قائدا شريفا اكتسب شهرة فى الحرب الاجتماعية .

زحف (سلا) على روما بجيشه — وهذه سابقة خطرة — فهرب ماريوس وأنصاره منها ، ونال « سلا » ما كان يرمى اليه . معنى ذلك أن الأمر فى روما أصبح فى يد صاحب السيف لا فى يد من له كثرة الاصوات وفى مثل تلك الظروف لا يستقيم نظام جمهوري

عودة ماريوس

غادر سلا روما إلى ميدان القتال فى عام ٨٧ ق . م . وما برحها إلا ورفع حزب العامة رأسه ورجع ماريوس على رأس جيش من الايطاليين والارقاء وتغلب على السناتو وانتخب قنصلا للمرة السابعة

موت ماريوس

ولكنه مات بعد قليل .

عودة سلا

وفى تلك الأثناء كان سلا قد هزم مترادانيس وعاد بجيشه غانما ظافرا ، وبعد قتال مع أنصار حزب العامة انتصر سلا وأصبح الحاكم المطلق

الفتك بأعدائه

وأول ما عمل كان الفتك باعدائه ويقال إنه قتل منهم نحو ٤٧٠٠

اعادة نفوذ الاشراف

ولم يكتف بذلك بل انتزع ملكهم ، ثم أعاد ما كان للاشراف من الكلمة وحرم العامة حقوقها وانتزع من التربيون حق رفض القوانين . ولما انتهى

موت سلا ٧٨ ق . م

من كل ذلك نزل عن السلطة فى عام ٧٩ ق . م . ومات فى العام التالى .

ظهور بومبى

نقض ذلك النظام القائم على القوة العسكرية قائد آخر مستندا أيضا على جنده . ذلك القائد هو بومبى . وأول ظهوره كان عند اخماده فتنة فى أسبانيا

الحرب ضد القرصان

وفى عام ٧٠ ق . م . انتخب قنصلا وكلف تطهير البحر الأبيض المتوسط من قرصان انتشروا فيه وعبثوا بالتجارة البحرية واستفحل أمرهم فقطعوا عن روما الغلال الآتية من مصر . وقد نجح بومبى نجاحا باهرا وتتبع القرصان الى حصونهم على سواحل آسيا الصغري ودمرها

بومبي ومتراداتيس

وفي عام ٩٦ ق . م. تولى بومبي قيادة الحرب ضد متراداتيس وكان قد اشعل نار الحرب ، فقضى عليه قضاء تاما .

سوريا ولاية رومانية

وردف ذلك بفتح سوريا وتحويلها الى ولاية رومانية وضم الى ملك الرومان ايضاً ارشليم وبذلك صار الاسرائيليون رعية رومانية



شكل (٣١) يوليوس قيصر

ظهور يوليوس قيصر

ظهر في اثناء غياب بومبي فى الشرق رجل آخر هو يوليوس قيصر سيكون له شأن أيما شأن فى تاريخ روما . واول مابدأ حياته السياسية

مؤامرة كاتيلين

كان فى حزب العامة لقرابته من ماريوس. ثم اتصل بزعيم اسمه كاتيلين وكان رجلا سيء السيرة طائشا دبر مؤامرة لقلب الحكومة. وقد كشف

شيشرون . عن تلك المؤامرة شيشرون اخطب خطباء الرومان . وظن الناس أن لقيصر ضلعا فيها فساءت سمعته وقتا ما .

التحالف الثلاثى
وعند عودة بومبي من الشرق عالى الصيت واسع النفوذ اتفق هو وقيصر وكراسوس على اقتسام الحكم بينهم ، فانتخب قيصر قنصلا في عام ٥٩ ق . م وكان إذ ذاك في الاربعين من عمره

اطماع قيصر
كان قيصر كبير الهمة يطمع فى أن يكون لهمن المجد ما كان لبومبي وكان عالى النفس لايريد السلطة لذاتها ولكن للتمكن من اصلاح مااختل من الاحوال .

الحرب فى غالة ٥٧ - ٥٠ ق . م .
عين قائد لغالة (فرنسا الحالية) وكانت اذ ذاك تسكنها قبائل حربية شديدة الشجاعة لكن لاقبل لها بالجنود الرومانية المنظمة . أخضع قيصر تلك القبائل بعد حروب دامت ثمانيةأعوام ،وخلد بذلك اسمه فى التاريخ الحربى . وقد ترك وصفا بديعا لتلك الحرب فقد كان

النزول فى بريطانيا
كاتبا عظيما كما كان جنديا كبيرا . وفي أثناء حروبه في غالة اجتاز البحر الى بريطانيا وتوغل فيها حتى نهر التيمس

روما فى أثناء غياب قيصر
اوجس السناتو خيفة من انتصار قيصر الباهر . والظاهر أيضا أن بومبي لم يرتح للشهرة العظيمة التى اكتسبها حليفه ، فانحاز الى جانب السناتو ، وكان قد قتل فى تلك الاثناء كراسوس ثالث الثلاثة فى حرب على الفرات فأمر السناتو قيصر بتسريح عسكره والرجوع الى روما ، وحاول هذا أن يقنعهم بالعدول عن أمرهم حقنا للدماء فلم ينجح ولم ير

قيصر يعبر الروبيكون ٤٩ ق . م .
بدآ من الرجوع على رأس جيشه ، فعاد وأجتاز الروبيكون وهو الحد الفاصل لقيادته عن ايطاليا وتقدم نحو روما وأصبح الحكم للسيف .

فرار بومبي
فر بومبي وزعماء السناتو من روما ودخل المدينة قيصر ظافرا

قيصر ينتخب قنصلا
وانتخب قنصلا

الحرب بين قيصر وبومبي
ذهب بومبي الى الشرق حيث كان له اسم كبير ، ولم تكن قوته مما يستهان بها ، اذا كان طوع امره الاسطول الذى هزم به القرصان وكان له انصار فى اسبانيا

قيصر فى اسبانيا

أغار قيصر على اسبانيا فى عام ٤٩ ق . م . وتغلب عليها ورجع الى روما قبل أن يتمكن بومبى من العودة اليها ، ثم لحقه في شبه جزيرة البلقان وهزمه فى واقعة فرساليا ، ففر بومبى الى مصر وقتل فيها غدراً .

واقعة فرساليا
٤٨ ق. م.
قيصر فى مصر
قيصر فى آسيا الصغرى

ذهب قيصر وراء عدوه الى مصر وكان تحكمها إذ ذاك كليوبطرة فخضعت له وأقام معها وقتاً ثم غادرها وأخضع أنصار بومبى في آسيا الصغرى. وقد كتب إذ ذاك رسالته المشهورة للسناتو : « أتيت فرأيت فغلبت » .

وما حلت سنة ٤٥ ق. م. إلا كان قيصر قد أخضع الدولة الرومانية كلها وعاد لروما وصار فيها الحاكم المطلق.

الاصلاح

كان قيصر رجل سياسة كما كان رجل سيف وقلم : لم ينهج منهج ماريوس وسلا السيء فعفا عن أعدائه وحتى السناتو لم يلغه مع علمه بعدم أهليته واكتفى بتجريده من كل سلطة ، وابقى أيضا من مظاهر الحكم الجمهوري انتخاب الموظفين .

ثم اهتم بتنفيذ مشروع الاخوين جراكوس ، واصلح ما اختل من نظام الحكم فى المدن ، وشرع فى تنظيف مدينة روما ، وادخل اصلاحا فى حساب السنين ، وانشأ الطرق الكبرى .

وقد فكر أيضاً في التغلب على القبائل المتبربرة الساكنة بالقرب من نهر الرين ومد حدود الملك الى بحر الشمال .

قتل قيصر فى ٤٤ ق.م.

ولكنه قتل وهو منهمك فى اصلاحه . قتله نفر تحت رياسة بروتوس وكاسيوس لمنعه من قلب النظام الجمهورى

تجددت الفوضى بعد قتله ؛ فحاول السناتو إعادة الحالة الى ما كانت عليه أيام سلا ، ولكن قاومه حزب العامة وعلى رأسه رجلان قادران :

انتونى
اكتافيوس
التحالف الثلاثى الثانى

انتونى صديق قيصر الذى نهض للمطالبة بدم صديقه ، واستفز غضب الناس على قاتليه بمرثية مشهورة ، واكتافيوس قريب قيصر وكان إذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمره

وفى عام ٤٣ ق . م . انتخب قنصلا واقتسم السلطة هو وانتونى ولبيدوس . وأول أعمالهم كان الثأر لقيصر من أعدائه ، فقتلوا منهم عددا كبيرا منهم شيشرون وتعقبوا بروتوس ومن معه الى شبه جزيرة البلقان وهزموهم فى فلبى وقتلوهم .

واقعة فلبى

انتونى فى مصر

وبعد ذلك ذهب انتونى الى مصر لانحيازها الى اعداء قيصر وعاد اكتافيوس لايطاليا وتولى لبيدوس حكم افريقية .

وفى مصر أحب انتونى كليوبطرة حبا عظيما ، وعاش معها عيشة ترف وخمول ، وفكر فى اقامة دولة شرقية لها ولنفسه .

فانتهز اكتافيوس تلك الفرصة وأثار عليه غضب الرومان ، وأعلن السناتو الحرب على كليوبطرة وهزم اكتافيوس الأسطول المصرى فى واقعة اكتيوم واقتفى أثر انتونى وكليوبطرة الى مصر ، وقد انتحر الاثنان قبل وقوعهما في قبضته . ودخلت مصر في حكم الرومان

واقعة اكتيوم ٣١ ق . م .

مصر ولاية رومانية

أصبح بعد ذلك اكتافيوس لا منافس له ، إذ لم يكن لبيدوس ذا خطر كبير ، وقد قبل التخلى عن السياسة وصار كاهنا كبيرا ، وانتهت بذلك الثورات والحروب الاهليـة التى بدأت باصلاح جراكوس في عام ١٣٣ ق . م .

انتهاء عصر الثورات

الفصل السادس

تأسيس الامبراطورية

وعصر اجسطوس



شكل (٣٢) اجسطوس

سياسة اكتافيوس

عاش اكتافيوس بعد انتصاره فى اكتيوم أربعة وأربعين عاما صرف فى أثنائها جهدا كبيرا فى وضع النظام السياسى على أساس ثابت فكان

بذلك المؤسس للامبراطورية . بيد أنه عنى عناية كبيرة بأن لا يظهر بمظهر الحاكم المستبد ، فابقى وظائف الدولة كما هى ولكن جمعها كلها فى شخصه وتجنب التلقب بلقب الحاكم المطلق (دكتاتور) واكتفى بلقب اجسطوس أو الفخم أما لقب امبراطور فلم يكن اذ ذاك يدل إلا على قيادة الجيش ، وترك مظاهر الحكم الجمهورى على حالتها . فاستمر السناتوا يضع القوانين وبقى الموظفون يحكمون باسم الشعب . وكل ذلك فى الظاهر فقط .

تلقبه بلقب اجسطوس

معنى لقب امبراطور

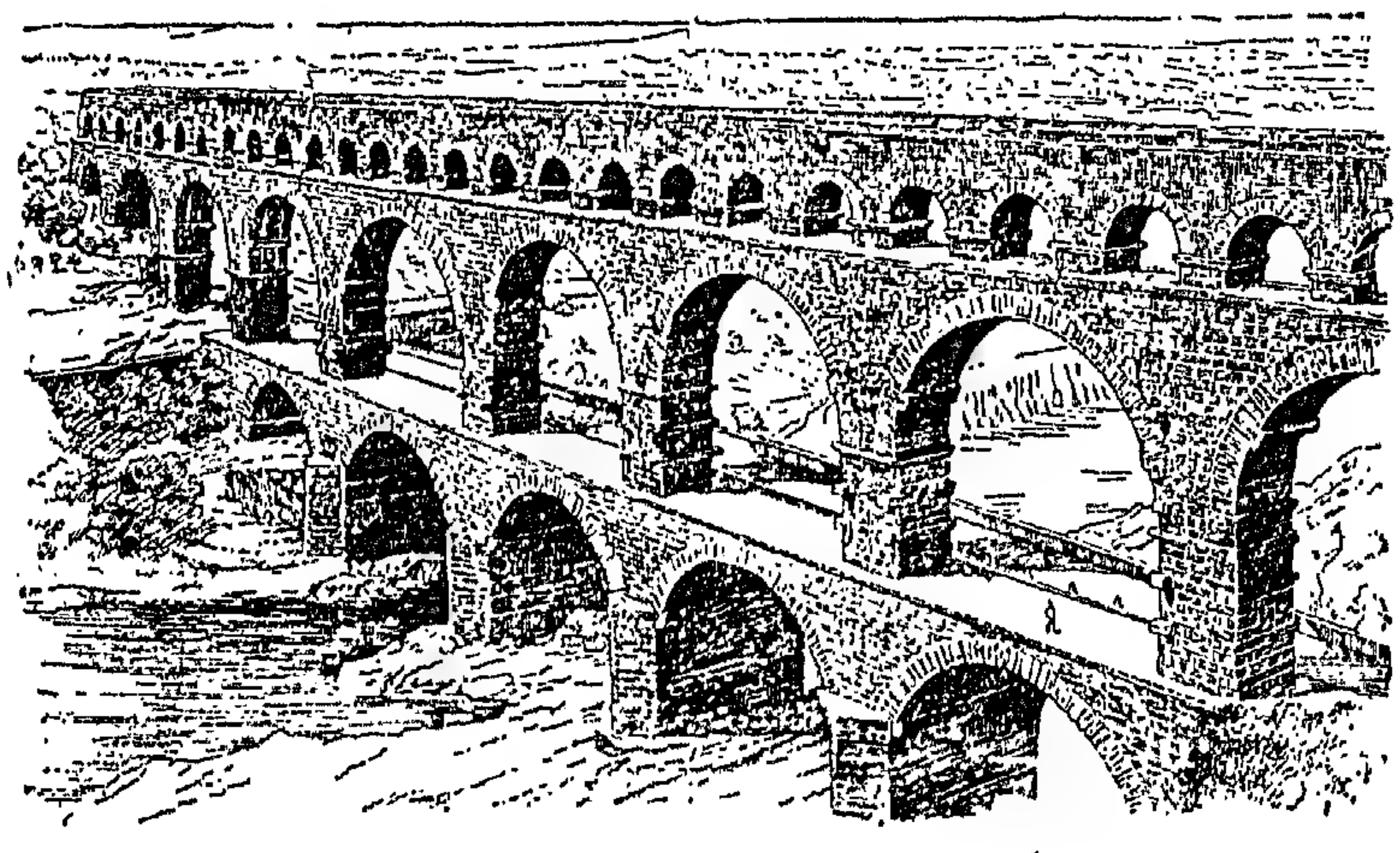
وعاش اجسطوس عيشة متجردة عن ابهة الملك : يذهب للمجالس العامة للتصويت كعامة الشعب ويجلس في السناتو ويخطب فيه وابواب منزله مفتوحة للواردين

ولكن كان فى الحقيقة الحاكم المطلق ، ويعاونه في الحكم مجلس من اخصائه وله حرس يحفظ الأمن ، ويعتمد عليهم فى ذلك وفي العناية بتدبير الغلال اللازمة لأهل روما . ويتلقى أوامره في ذلك الشأن موظفون من العتقاء يثق فى اخلاصهم له

خيم النظام على روما فى أيامه وساد السلام في ربوعها بعد أن طال عبث العابثين به وأخذت الرفاهية تحل محل البؤس

بناء روما

واهتم اجسطوس بتجديد روما وتحسينها وقد باهى بذلك فقال :



شكل (٣٣) مثال من المجارى الرومانية لجلب الماء

« إنه وجد مبانيها مبنية باللبن وتركها مبنية بالرخام » ونظم توزيع الماء على دورها وجلبه من مسافات بعيدة بمجارى عالية وخصص له طائفة من المهندسين . وحاول اصلاح الأخلاق فأحيا العبادات وقيد الطلاق كى يمنع تفكك الأسرات .

اصلاح الحكم فى الولايات

أخرج الامبراطور معظم الاقاليم من حكم السناتو ووضعها فى يده، واهتم بازالة النظام السيء الذى تقدم وصفه ، فكان هو الذي يعين الولاة ويجرى عليهم رواتب ثابتة ويراقبهم مراقبة تامة . وجعل لسكان الولايات حق انتخاب مجالس لها أن ترفع الشكوى للامبراطور نفسه .

ثم قام باحصاء دقيق للولايات وحدد بعده مقدار الضرائب فعلم الناس حينئذ ما عليهم بالضبط ، وخلصهم بذلك من ظلم الجُبَاة وتحكم المرابين . وقد أردف ذلك باصلاح جليل هو انفاق معظم ما يجيء من أي اقليم فى الاقليم نفسه : فى انشاء طرقه وقناطره ومجاريه وغير ذلك من المنافع العامة .

صار بذلك الحكم في الاقاليم عادلا ثابتا .

الدولة الرومانية

كانت الدولة تحدها حدود طبيعية : نهر الرين فى الغرب والدانوب في الشمال والفرات فى الشرق . وبالقرب من تلك الحدود كان المتبربرون .

الجيش

وقد نظم اجسطوس جيشا عظيما لحماية الحدود ، عقد له ثلاثة وعشرين لواء ، وجند أيضا فرقا احتياطية من أهل الولايات ، وبلغ عدده جميعا ٤٠٠٠٠٠ جندى ، ووزعه في معسكرات فى النقط المهمة ، وبذلك ساد السلام .

وقد فكر الامبراطور فى اخضاع المتبربرين شمالى الدانوب ومد الملك الى نهر الالب ولكن الجيش الذي أرسله لذلك الغرض هزمه المتبربرون وقفل راجعا .

عصر اجسطوس

وكان عصره من أزهى العصور حضارة .

وقد تقدم أن الرومان اتصلوا بالحضارة الاغريقية فاصبح متعلموهم شديدى الشغف بآداب الاغريق ، حتى كانوا يفضلون استعمال الاغريقية فيما بينهم على اللاتينية لغتهم . ولما قام شيشرون وكتب باللاتينية وأجاد إجادة عظيمة أثبت بذلك أنها تصلح للتعبير عن كل المعانى . ولايزال ما كتبه شيشرون فى الخطابة والأدب والتراسل نموذجا للأدباء من جميع الأمم ، ففضله على اللاتينية عظيم .

شيشرون

وكان اجسطوس يميل الى مخالطة الادباء وتبعه في ذلك بعض عظماء الرومان ومنهم مايسيناس ويضرب به المثل فى تشجيع الأدب ورجاله وأنشأ اجسطوس دارين عظيمين للكتب في روما . فلا عجب أن ظهر فى عصره رجال نوابغ برزوا فى مختلف الفنون . فكتب ليفى تاريخا لروما استغرق وضعه أربعين عاما . وظهر من الشعراء هوراس وفرجيل .

ملسيناس

ليفى

هوراس وفيرجيل

هذا ما كان من أمر الادب ، ولكن الرومان لم يصلوا فى الرسم والبناء وصنع التماثيل الى ما وصل اليه الاغريق ، وكذلك فى العلوم . يدلك على ذلك أن المؤلف العلمى الوحيد الذى وضع فى عصر اجسطوس هو جغرافية اسطرابون . ولم يكن اسطرابون رومانيا بل كان اغريقيا يسكن فى روما . كذلك فى الفلسفة لم يبلغ الرومان ما بلغه الاغريق .

اسطرابون

الحضارة الرومانية والحضارة الاغريقية

وجملة القول أن الرومان امتازوا بحكمتهم السياسية فكانوا أقدر من الاغريق فى التشريع واكفأ منهم فى الحكم والحرب ، أما الاغريق فكانوا شعبا واسع الخيال سريع الفهم بلغ فى الفنون والآداب مبلغا لم ير التاريخ له مثيلا .

موت اجسطوس ١٤ م .

مات اجسطوس فى عام ١٤ م . وهو فى السادسة والسبعين من عمره ولم يترك ولداً فآل الحكم الى ابن زوجته تيبريوس .

تيبريوس عام ١٤ — ٣٧ م .

كان تيبريوس قائداً ماهراً وحاكما حازما ، ولكن الناس لم يحبوه كما أحبوا اجسطوس إذ كان أميل للاستبداد ، وأقل عناية بالمحافظة على المظاهر الدستورية ، واكثر اقتصادا فى نفقات الملاهى العامة . وفى آخر

حكمه فسد تدبيره بعض الفساد فأصبح كثير الشكوك تخامره الاوهام، وقتل عدداً من الناس ظنهم يأتمرون به ، واعتزل الناس وعاش في جزيرة كابري بالقرب من خليج نابولى وقد ترك المؤرخ العظيم تاسيتوس وصفاً دقيقاً لتيبريوس في آخر أيامه .

تاسيتوس



شكل (٣٤) : تمثال رومانى يوضح اثر الفن الاغريقى فى الفن الرومانى

ويجدر بنا أن نذكر أن تاسيتوس لم يكن ممن يحبون الامبراطورية.

كاليجولا وكلوديوس

وحكم بعده كاليجولا ثم كلوديوس وليس لهما شأن كبير، ولكن بفضل النظام الذى وضعه اجسطوس لم تشب حكمهما شائبة .

تولى كاليجولا وهو فى الخامسة والعشرين من عمره، وقد اختل عقله لما تولى تلك السلطة الهائلة فانصرف الى الشهوات وبدد ما جمعه تيبريوس وبلغ من اختلاله أن عين حصانه قنصلا مظهراً بذلك احتقاره للنظم الجمهورية. ثم قتل بعد أن حكم أربع سنين

بريطانية ولاية رومانية

وحكم بعده كلوديوس وكان ضعيف العقل والخلق. وأهم ما يذكر عن عصره اخضاعه الجزء الجنوبى من جزيرة بريطانية (انجلترا الحالية) للحكم الرومانى وقد مات مسموما.

نيرون

وتولى بعده نيرون. وكان أسوأ من حكم: ترك حبل الأمور على غاربها، وصرف وقته لاهياً لاعباً، وأصبح يضرب به المثل فى القسوة، فقتل الفيلسوف سنكا مؤدبه ووزيره وقتل أيضاً أمه وهكذا.

قتل سنكا

احراق روما

وفى أيامه أحرقت مدينة روما. وذاع بين الناس أنه أحرقها ليكتسب فخر إعادة بنائها. وقيل أيضاً أنه جلس يعزف على قيثارته حينما كانت النار تلتهم المدينة. ولا صحة في ذلك وان كانت الاشاعة تدل على رأى الناس فى نيرون وتوقعهم ارتكابه أى جرم.

موت نيرون عام ٦٨ م.

وقد أخذ يجمع المال للبناء واشتد فى ذلك فأثار ذلك استياء عاما، وقتل نيرون نفسه قبل أن يقع فى أيدى الثوار لما علم بأن السناتو حكم بأعدامه.



الفصل السابع

القياصرة الفلافيين والانتونين

فسبازيان ٦٩ — ٧٩ م.

قام بين قواد الجيش بعد موت نيرون نزاع على العرش، ونجح أحدهم فسبازيان وتولى الامبراطورية فى عام ٦٩م.

حكم فسبازيان

يعرف فسبازيان ومن خلفه من اسرته بالقياصرة الفلافيين، وكانوا حكاما عظاما أعادوا للدولة ما كانت عليه أيام أجسطوس من القوة والرفاهية.

أصلح فسبازيان ما أختل من الامور المالية، وأعاد النظام في الجيش، وأخمد الثورات المختلفة، وأخرج من السناتو عديمى الاهلية من رجاله، والغى قانوناً يبيح للامبراطور الفتك بأعدائه جملة واحدة دون محاكمة

تيتوس ٧٩ — ٨٠ م

تخريب أرشليم ٧٠ م

تدمير بومبى ٧٩ م

وتولى بعده ابنه تيتوس، ولم يحكم إلا عاما واحداً. وفى أيام أبيه تولى إخماد ثورة قام بها الاسرائيليون واستولى على ارشليم ودمر مبانيها وقد حدث فى أيامه ثوران بركان فيزوف وتخريبه المدن على سفحه ومنها بومبى.

انتهت مدة الفلافيين في عام ٩٦م. وقامت بعدهم أسرة الانتونين

تراجان ٩٨ — ١١٧ م.

ولاية داشيا

اتساع الدولة فى الشرق

ومن اشهر رجال هذه الاسرة الامبراطور تراجان، وكان قائدا ماهرا دفع المتبربرين عن حدود الدولة، واستعمر ولاية داشيا وهى الان جزء من رومانيا الحالية. وأضاف الى الدولة أيضاً أرمينيا وأشور والأرض بين الدجلة والفرات. وقد نصب فى روما العمود المشهور باسم عمود تراجان تخليدا لهذه الحروب

وكان تراجان يشبه اجسطوس فى شدة احترامه للمظاهر الدستورية وفى بساطة عيشته



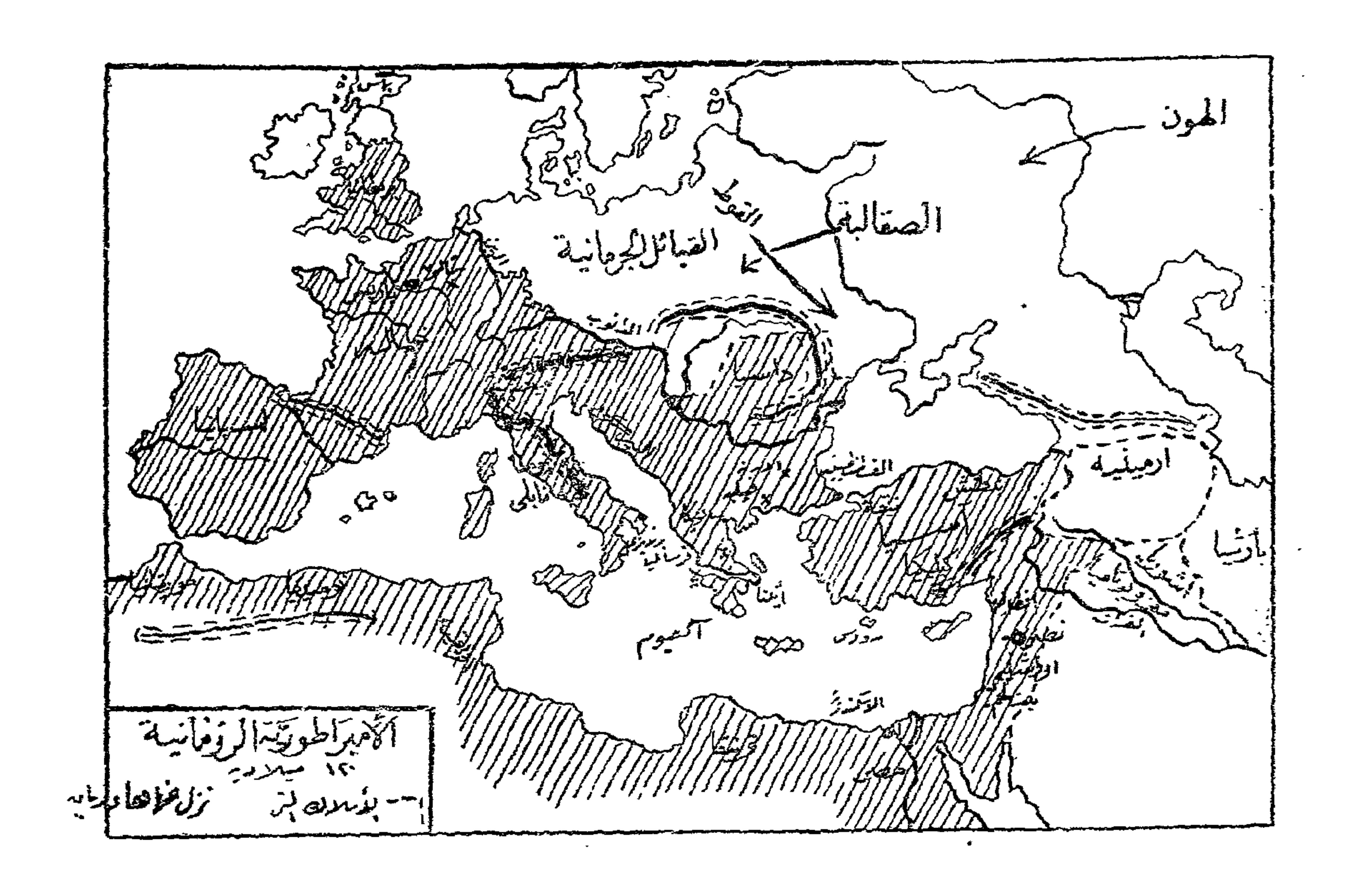
شكل (٣٥) تراجان

هادريان
١١٧ — ١٣٨ م

وخلفه أمبراطور عظيم هو هادريان، وكان أيضا قائدا عظيما وحاكما ماهرا . ولما رأى أن فتوح سلفه كانت مصدر ضعف لا قوة تخلى عنها وجعل الفرات حد الدولة الشرقى . وبنى اسوارا على الحدود الشمالية لمنع المتبربرين من التوغل في أرض الدولة . وأشهر تلك الأسوار سور هادريان فى شمال انجلترة ؛ وكانت تمتد شرقا وغربا بين البحرين ، ولاتزال أجزاء منها باقية .

سور هادريان

وكان يحب التجول في الولايات ، وأينما حل ترك مايدل على عظم همته . واهتم بنوع خاص باقامة المبانى المختلفة وترميم العمائر القديمة ؛ وكان


الهون
الصقالبة
القوط
القبائل الجرمانية
ارمينيه
بارثيا
اكتيوم
الامبراطورية الرومانية
١٢٠ ميلادية

يحب اثينا حبا كبيرا و يميل للسكنى فيها و العناية بها فكانت تعرف باسم مدينة هادريان



شكل (٣٦) : هادريان

ولهذا الامبراطور أثر آخر فى التاريخ الرومانى : وذلك أنه حتى أيامه كانت الادارة في يد العتقاء فانتزعها منهم ، وأوجد لها موظفين ثابتين في وظائفهم من الاحرار كما هو الحال فى الحكومات الحاضرة وبدأ أيضاً جمع القوانين المختلفة فى مجموعة واحـــدة هى أول مجموعة من نوعها .

الادارة

القوانين

وبالجملة بلغت الدولة الرومانية أيامه مبلغ قوتها . وفي مدة خلفه بدأت

بدء اغارات المتبربرين

إغارات المتبربرين التى استمرت سنين عدة ، ولم تنته إلا بانحلال الدولة وقيام ممالك المتبربرين محلها

اشتدت تلك الاغارات في عهد أحد خلفاء هادريان الامبراطور الفيلسوف



شكل (٣٧) : ماركس اركليوس

ماركس اركليوس
١٦٨ — ١٨٠ ق . م
تأملات
ماركس اركليوس

ماركس اركليوس ، وقد خلف هذا الامبراطور مجلداً صغيراً يعرف باسم « تأملات ماركس اركليوس » وتدل تأملاته على أنه كان يسعى طول حياته لبلوغ غاية الكمال الخلقى ، ولكن اغارات المتبربرين لم تدع له التمتع بهدوء الفلسفة . فعاش طول حكمه فى حرب معهم . ولما يئس من الوصول لغرضه بالقتال استن سنة خطرة هى السماح لبعضهم بالسكنى فى أرض الدولة

الفصل الثامن

عصر الفوضى الحربية

عصر الفوضى الحربية

بدأ بموت ماركس اروليوس عصر سادت فيه الفوضى وذلك لتدخل الالوية المختلفة فى تعيين القياصرة · وقامت بينها حروب طويلة أضعفت الدولة اضعافا كبيرا . ولا أدل على سوء الحالة من أنه حكم فى مائة سنة ثمانية وعشرون امبراطورا .

نتجت من ذلك نتائج سيئة : فثارت عدة ولايات وخرجت عن حكم الدولة ، وعبث المتبربرون بالحدود وعاثوا فى أرضها فسادا .

دقلديانوس
٢٨٤ — ٣٠٥ م.
تقسيم الدولة

وقد حاول الامبراطور دقلديانوس اصلاح ذلك ، وكان يرى أن لا طاقة لرجل واحد بحكم الدولة كلها فأقام معه امبراطورا آخر مقر حكمه ميلان فى إيطاليا ، وأقام أيضا قيصرين آخرين أقل مرتبة من دقلديانوس وزميله ويتوليان الامبراطورية بعد موتهما . وقد قدر أن ذلك الترتيب يمنع الجند من التدخل في تعيين القياصرة .

اختص دقلديانوس بأمر الشرق وابتدع فى عيشته بدعة سيئة : تلك هى الانزواء عن أعين الشعب وحياطة شخصه بمظاهر الملكية الشرقية وظن أنه بذلك تعظم هيبته فلا يجسر فرد على مسه بسوء . وزاد أيضا فى عدد الموظفين لتوسيعه نطاق الحكومة .

فشل سياسة دقلديانوس

فشلت سياسة دقلديانوس : فتقسيم الدولة لم يؤد الى الغرض منه . فلم يمنع الحروب الأهلية ، والبذخ والاسراف والاكثار من عدد الموظفين افقر الامبراطورية

قسطنطين
٣٠٩ — ٣٣٧ م.

ولم يدم النظام الذى وضعه بعد موته ، اذ انتصر أحد الرومان قسطنطين على منافسيه وتولى الامبراطورية ووحدها ثانية .

تاسيس القسطنطينية ٣٣٠ م. المسيحية دين الدولة الرسمى ٣١٢ م. مجمع نيقية

أسس قسطنطين مدينة القسطنطينية واتخذها مقرا لدولته، ثم رفع عن المسيحيين الاضطهاد الذى انزله اسلافه بهم ، واعتنق دينهم وجعله دين الدولة الرسمى فى عام ٣١٢ م . واجتمع فى أيامه بناء على مشورته أول مجمع عام لكنائس الشرق والغرب فى مدينة نيقية بآسيا الصغرى .



الفصل التاسع

انتشار المسيحية

تمهيد

أشير فى آخر الفصل السابق الى انتصار المسيحية على الوثنية فى أيام قسطنطين، وثبتت بذلك دعائمها وأصبحت عنصراً مهماً من عناصر الحضارة الاوربية الحديثة. وأثر المسيحية فى التاريخ أعظم شأناً من القانون الرومانى والآداب اللاتينية والاغريقية: إذ أنها دين الملايين من الخلق، أما الفلسفة والأدب فلا تؤثر إلا في قليل من الناس، فلا يسع طالب التاريخ الا العناية بدراستها دراسة تاريخية بعيدة عن الجدل الدينى.

الدعوة المسيحية

بولس

قتله فى روما ٦٥ ق. م.

رسائله

دعا حواريو (أصحاب) المسيح الناس الى اعتناق دينه، فاعتنقه أولا الكثير من بنى اسرائيل، ثم أخذ بولس أحد الحواريين يحاول نشره بين غير الإسرائيليين فجال فى آسيا الصغرى وبلاد الاغريق وألقى عصا التسيار (استقر) فى روما حيث أعدم فى عهد نيرون. وقد خلف بولس الرسائل التى كتبها فى أثناء رحلاته وانتشرت باللغة الاغريقية وشغف الناس بها.

الكتب الاربعة

العهد الجديد

وانتشرت أيضا كتب أربعة تقص سيرة المسيح وتتضمن تعليمه، وهذه الكتب الاربعة ورسائل بولس هى أهم محتويات العهد الجديد.

اسباب انتشار المسيحية

انتشر الدين انتشاراً سريعاً فى سائر ارجاء الدولة الرومانية، ولذلك الانتشار السريع أسباب:

ضعف الوثنية

منها ضعف الدين الرومانى الوثنى، وعيبه وعيب العبادات الوثنية جميعاً أنها لا تصلح للانسان إلا في طفولة الحضارة، ينفر منها اذا نضج فكره وتكون خلقه، فليست العبادات الوثنية إلا طقوساً ترمى الى اتقاء شر الآلهة أو استجداء خيرها:

أثر الفلسفة

وقد حاولت الفلسفة تكميل ما فى الوثنية من نقص: فعلم الفلاسفة

الأغريق الفرق بين الخير والشر ، وبينوا واجبات الانسان المختلفة ،

الرواقيون

واهتمت طائفة الرواقيين بالاخلاق فحثت على الصبر والتجلد والتواضع ونهت عن الكبر والاثرة واستنكرت الرق والقسوة .

انتشرت هذه الآراء بين الرومان ، وهذه تأملات ماركس اورليوس أثر من آثارها .

ولكن الفلسفة لا تنفذ الى قلوب الكثيرين ولا تبلغ من العامة ما يبلغه منها دين يعلم الوحدانية وحب الله والناس ويقرر تساوى الخلق جميعا .

انتشرت المسيحية بذلك ، ولم ترض حكومة الدولة الرومانية عن ذلك فعمدت الى اضطهاد معتنقيها .

أسباب اضطهاد المسيحيين

ولم يكن ذلك الاضطهاد صادراً عن غلظة قلب أو كره لكل ما لم يكن مألوفاً فقط ، فقد اضطهد المسيحية بعض من أكرم القياصرة خلقاً وأوسعهم فكراً ، إنما كان الاضطهاد لشعور الحكومة بأن الدين الجديد ينقض الأسس التى قام عليها المجتمع الرومانى .

أنكرت المسيحية الرق والقسوة في معاملة الارقاء على حين أن الوثنية تعدهما أمراً طبيعياً ، وحثت المسيحية على التواضع وانكار الذات والاخوة أما الطبقات الرومانية الحاكمة فكانت قائمة على تمييز الناس بعضهم عن بعض وتعد السعى الى القوة والجاه والثروة أمراً مشروعاً ، فلا عجب أن أوجست خيفة من انتشار الدين الجديد بين الفقراء والارقاء

عبادة الامبراطور

ورفض المسيحيون التعبد لتماثيل القياصرة المنصوبة فى المعابد وكانت تلك العبادة فرضاً على الجميع ، فعدت الحكومة ذلك عصياناً وخيانة ، وحداها ذلك الى اضطهاد المسيحيين وعدهم فئة خارجة على الجماعة

قسطنطين

وقد بلغ الاضطهاد أشده في عهد نيرون ودقلديانوس ولكنه لم يأت بالغرض المقصود منه ، بل زاد المسيحيين تمسكا بدينهم الى أن أصبحوا فى أيام قسطنطين أكثر عددا من الوثنيين ، فرأى هذا الامبراطور أن يجعل دين الكثرة دين الدولة الرسمى .

الالحاد

ولما ارتفع عن المسيحيين الاضطهاد بدءوا ينقسمون فرقا وقام فيهم قسيس اسمه اريوس يدعو الى مذهب عرف بالآرية نسبة اليه، فاجتمع من رجال الدين مجمع كبير فى مدينة نيقية ونظر في الخلاف السائد وقرر أن أريوس ملحد وطلب الى قسطنطين عقاب الملحدين.

مجمع نيقية

وبعد قسطنطين حاول أحد القياصرة نقض ماعمله. وذلك هو الامبراطور جوليان نشأ في أثينا ودرس الفلسفة الاغريقية وعمل على اعادة الوثنية، ولكنه مات وعكس خلفه سياسته.

جوليان المرتد

ولما استتب الامر للمسيحية تماما أخذت الحكومة تضطهد الوثنية فاصدر الامبراطور ثيودوسيوس مرسوما يحتم اعتناق المسيحية وحرم عباده الاوثان وأغلق معابدها.

اضطهاد الوثنية

مرسوم ثيودوسيوس ٣٨٠ م.

قامت الكنائس المختلفة فى المدن المهمة واشتهرت منها كنائس روما والاسكندرية وارشليم وانطاكية والقسطنطينية، وجعلت لقسسها مراتب متتالية وصارت فى مجموعها شبيهة بحكومة منظمة. ولكنها كانت تختلف اختلافا جوهريا عن نظام الدولة الرومانى: فبينما كانت سلطة الامبراطور استبدادية كان المسيحيون يشتركون فى انتخاب الاساقفة. وكان الاساقفة يدبرون الامور المهمة بالتشاور معاً فى مجامع عامة

تنظيم الكنيسة

الكنيسة جمهورية

تغلب على الدولة الرومانية المتبربرون وزال ملكها ولكن الكنيسة بقيت وكانت عظيمة الأثر فى تاريخ العصور الوسطى والعصور الحديثة.

بقاء الكنيسة بعد زوال الدولة الرومانية

الفصل العاشر

انحلال الدولة الرومانية

وتأسيس دولة المتبربرين

اسباب اغارات المتبربرين

في القرن الثانى بعد الميلاد اخذت القبائل المتبربرة الساكنة فى وسط أوربا وشمالها تحاول الاستيلاء على أراضى الدولة الرومانية .

وقد شجعهم على ذلك مارأوه من ضعف الدولة الحربى اذ أن من المتبربرين من خدم فى الجيوش الرومانية . وطمع المتبربرون أيضا في ثروة المدن الرومانية الا أن أعظم ما بعثهم على الاغارة على الدولة فرارهم من وجه متبربرين آخرين قدموا من آسيا حوالى ذلك الوقت

حقيقة الاغاوات

ونخطىء اذا تصورنا المتبربرين جميعا زاحفين نحو الجنوب كسيل من الماء يجرف ما يعتوره من العقبات؛ أواذا ظننا أن الحكومة الرومانية عجزت مرة واحدة عن صدهم فسقطت توا . لم يكن الامر كذلك فكثيرا ماردهم الرومان وأثبتوا أنهم أكثر منهم دراية بفن الحرب . هذا إلى أن كثيرين من المتبربرين سكنوا فى الولايات الرومانية باذن من القياصرة ودانوا لهم بالطاعة بل وتلقبوا بألقاب رومانية

لفظ متبربرين

ويلزمنا أن ننبه أيضا الى أن لفظ متبربرين لا يصح اطلاقه عليهم جميعا فقد كانت قبائل منهم راغبة أشد رغبة في الاحتفاظ بالحضارة الرومانية وعلى استعداد تام للتمدين والترقى .

تاسيس ممالك المتبربرين

انحلت الدولة الرومانية انحلال بطيئا وقامت محلها ممالك مختلفة متبربرة هى أصل الممالك الاوربية الحديثة . فلتاريخ المتبربرين حينئذ شأن كبير.

القوط

كان القوط يسكنون فى القرن الثالث وسط أوربا بين البحر الاسود وبحر بلطيق ، وانتشرت بينهم المسيحية ولكن على مذهب أريوس ثم هجم عليهم

الهون

تتار من آسيا يعرفون بالهون وذلك فى عام ٣٧٤ م. فسمح الامبراطور فالنس للقوط بعبور الدانوب والسكنى فى أرض الدولة. ولكنه خشى كثرتهم فانقض عليهم ولكنهم تغلبوا عليه وقتلوه فى واقعة أدرنه عام ٣٧٨ م. وفي عام ٣٨٣ منحهم الامبراطور ثيودسيوس أرضا في تراقيا وآسيا الصغرى على شرط أن يعينوه فى حروبه.

واقعة أدرنه عام ٣٧٨ م.

تقسيم الدولة ٣٩٥ م.

وعند موت ثيودسيوس فى عام ٣٩٥ م. انقسمت الدولة قسمين: شرقية وعاصمتها القسطنطينية، وغربية وعاصمتها روما. ثم تولى أمر القوط قائد طموح ولع بالحرب هو الاريك. غزا ايطاليا واستولى على روما في عام ٤١٠ م. ولكنه مات قبل أن يتم فتح ايطاليا. وارتحل قومه ويعرفون بالقوط الغربيين غربا وأسسوا مملكة لهم في جنوبى فرنسا وشمالى اسبانيا.

الاريك زعيم القوط يستولى على روما ٤١٠ م.

مملكة القوط الغربيين

لم يستقر القوط اذن فى ايطاليا، ولم يكن سقوط روما اذ ذاك انتهاء الدولة الرومانية ولكن كان لذلك الحادث أثر فى نفوس الناس اذ كانت تلك المرة هى الاولى لتغلب المتبربرين على تلك المدينة العظيمة.

مملكة الفندال فى افريقية

لم تنته الدولة حينئذ ولكنها فقدت ولاياتها الواحدة بعد الاخرى فغزت قبائل الفندال أفريقية فى عام ٤٢٩ م. وقد وصلوا اليها مارين بفرنسا واسبانيا وأسسوا مملكتهم هناك. وكانوا على عكس القوط قساة القلوب نهابين. وانطمست على أيديهم معالم الحضارة الرومانية بأفريقية.

وفى وقت ما اتحد الرومان والمتبربرون أمام خطر دهمهم جميعاً: ذلك هو اغارة الهون وكانوا متبربرين أسيويين أغاروا تحت قيادة ملكهم أتيلا على شرقى أوربا ونهبوه حتى أسوار مدينة القسطنطينية، ثم اتجهوا غربا حتى وصلوا الى فرنسا، وهناك عند مدينة تروي قابلتهم جموع الرومان والقوط وانتصروا عليهم في واقعة حاسمة تعرف بواقعة شالون فى عام ٤٥١ م. وفى العام التالى غزا أتيلا ايطاليا ولكنه لم يحاصر مدينة روما. ومات في عام ٤٥٣ م.

الهون

اتيلا

واقعة تروى او شالون ٤٥١ م.

نهب الفندال روما ٤٥٥ م.

نجت روما بذلك من شره ولكن دهمها الفندال فى عام ٤٥٥ م، واستولوا عليها ونهبوها نهبا تاما .

انتهاء الدولة الرومانية الغربية ٤٧٦م.

ضعف القياصرة في روما عن دفع هذه الكوارث المتوالية واستبد بالأمر دونهم قواد وكلهم من أصل متبربر . وفى عام ٤٧٦ م . أعلن

ادوكر

أدوكر صاحب الأمر اذ ذاك انتهاء الدولة في الغرب والاكتفاء بالامبراطور الحاكم فى القسطنطينية .

بقت الدولة الرومانية الشرقية حتى عام ١٤٥٣ م . لما استولى محمد الفاتح على القسطنطينية وحاولت مرارا أن تحكم الأجزاء الغربية مثل ايطاليا واسبانيا وافريقية ولكن لم يكن نجاحها فى كل تلك المحاولات إلا مؤقتا. وكان الامر فى غربى أوربا للممالك الجديدة .

ايطاليا بعد ٤٧٦م.

تنازع على ايطاليا بعد عام ٤٧٦ م . المتبربرون والقياصرة الشرقيون لاهميتها الجغرافية ولوجود روما بها

القوط الشرقيون فى ايطاليا

انتصر المتبربرون فدخل ايطاليا القوط الشرقيون فى عام ٤٨٩ م . تحت قيادة ملكهم ثيودوريك .

ثيودوريك

حكم ثيودوريك ايطاليا ثلاثا وثلاثين سنة ، وكان رجلا مستنيرا عادلا ، استعان بالرومان فى الحكم وترك للرعية ما ألفته من القوانين وثلثى أرضها ، ولكن القوط لم يختلطوا بالايطاليين بل حال بين الشعبين اعتناق القوط مذهب أريوس وكان فى رأي الايطاليين إلحادا .

جستنيان

وبعد موت ثيودوريك فى عام ٥٢٦ م . نجح القيصر الشرقى جستنيان الذي خلد اسمه بجمع القوانين الرومانية فى استرجاع شمالى أفريقية من الفندال وأجزاء من اسبانيا من القوط الغربيين وايطاليا خلفاء ثيودوريك .

اللمبارد فى ايطاليا

ولكن حكم القسطنطينية لم يدم طويلا ففى عام ٥٦٨ م . أغارت على ايطاليا قبائل اللمبارد وتملكت معظم شبه الجزيرة ولكن احتفظت الدولة الرومانية الشرقية ببعض ممتلكاتها في ايطاليا .

مملكة البرجنديين

وفى أثناء ذلك أسست قبائل البرجنديين مملكة فى شرقى فرنسا تمتد من الالب حتى منابع اللوار.

انجلترة

جلت الجيوش الرومانية عن بريطانية لما هدد المتبربرون روما وتركت سكانها وشأنهم فلم يقووا على دفع قبائل الانجليز والسكسون والجوت التى تركت مواطنها الأولى حول مصب نهر الالب وأغارت على بريطانية في القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد .

قامت للمغيرين ممالك متعددة صغيرة منها كنت ووسكس وسسكس ونورثمبريا ومرسيا وايست انجليا ، ووقعت تلك الممالك فى حروب طويلة ، وصارت انجلترة بذلك الانقسام بمعزل عن أوربا حتى أواسط القرن التاسع لما خضع معظمها لحكم واحد .

ملك الفرنجة

تقدم كيف أقام القوط الغربيون والبرجنديون ملكا فى جنوبى فرنسا وشرقيها . أما في شماليها فقام فيه ملك الفرنجة . ولهم شأن عظيم في التاريخ : فقد ورثوا ملك المتبربرين الآخرين ونشروا المسيحية وحكمهم فى أواسط أوربا وشماليها أى فى أرض لم تطأها قدم أى فاتح رومانى .

كلوفس

وكانوا فى أول أمرهم قبائل متحاربة ، ثم تولى فى عام ٤٨١ م . كلوفس زعامة بعض القبائل وأخذ يبسط سلطانه على جميع الفرنجة وعلى البرجنديين والقوط الغربيين ونجح في ذلك نجاحا عظيما

الفرنجة والبابوية

ومن أهم حوادث حكمه اعتناقه المسيحية فى عام ٤٩٦ م وكان ذلك بدء صداقة بين الفرنجة والبابوات رؤساء الكنيسة فى الغرب أثرت في تاريخ العصور الوسطى تأثيرا كبيرا ، إذ ساعد البابوات ملوك الفرنجة بنفوذهم المعنوي ، وساعد ملوك الفرنجة البابوات على اسقاط ملوك اللمبارد وعلى ايجاد ملك فى ايطاليا يحكمه البابوات .

الفصل الحادى عشر

مصر ولاية رومانية

علاقة الرومان بمصر

بدأت علاقة الرومان بمصر أيام البطالسة وقت أن كانت روما تكافح قرطاجنة، وكانت تلك العلاقات ودية، ثم خرجت روما من الحرب البونية ظافرة وضعف البطالسة فدخلت مصر فى حماية الرومان، يدفعون عنها اعداءها الآتين من ناحية الشرق ويسيطرون على علاقاتها الخارجية ويتدخلون فيما يقوم بين أفراد أسرة البطالسة من نزاع. كل ذلك عملا بالسياسة التى تقدم وصفها والتى كانت تفضل السيطرة على أمم الشرق على حكمهم.

وقد كان من نتائج ذلك أن ملوك مصر البطالسة لم يكن لهم بد من الاشتباك في حرب الاحزاب فى روما التى تقدم وصف أدوارها عند الكلام على عصر الثورات. ومن ذلك أنه عند ما فر بومبى بعد واقعة فرساليا الى مصر تبعه يوليوس قيصر. فأقام بها مدة مع كليوبطرة (من أشهر شهيرات العالم) وانتصر لها وثبت قدمها في الحكم، وتنازع مع أحد القواد المصريين واستولى على الاسكندرية عنوة. ويقال إن مكتبة الاسكندرية الشهيرة أحرقت فى أثناء ذلك النزاع. ولكن قيصر لم يغير علاقات الرومان القديمة بمصر بل تركها كما كانت ولم يضم مصر الى ممتلكات الدولة الأخرى.

يوليوس قيصر فى مصر

انتونى فى مصر

ولما قتل يوليوس قيصر وقام انتونى واكتافيوس للثأر من قتلته اشتبكت مصر أيضاً في حرب الاحزاب الرومانية وانضمت كليوبطرة الى أعداء انتونى واكتافيوس وأراد الأول معاقبتها على ذلك، ولكنه

أحبها حباً شديداً وأقام معها فى مصر فى لهو ، وقام النزاع بينه وبين زميله اكتافيوس ، وانتصر اكتافيوس في واقعة اكتيوم البحرية عام ٣١م. وانتحر انتونى وكليوبطرة وصارت مصر منذ ذلك التاريخ ولاية رومانية

واقعة اكتيوم

مصر ولاية رومانية

مصر فى عهد اجسطوس

تقدم أن أجسطوس غير من نظام الحكم في الاقاليم وأنه أخرج معظمها من سيطرة السناتو ووضعها تحت حكمه مباشرة . وقد كانت مصر من الولايات من هذا النوع ليس للسناتو فى أي أمر من أمورها دخل .

ولم يغير الامبراطور من نظام الحكم المتبع في زمن البطالسة فجعل على البلاد والياً مقره الاسكندرية وقسمها إلى عدة مديريات يحكم كل منها مدير . وقد بقيت البلاد على هذا النظام حتى انتهاء الحكم الرومانى .

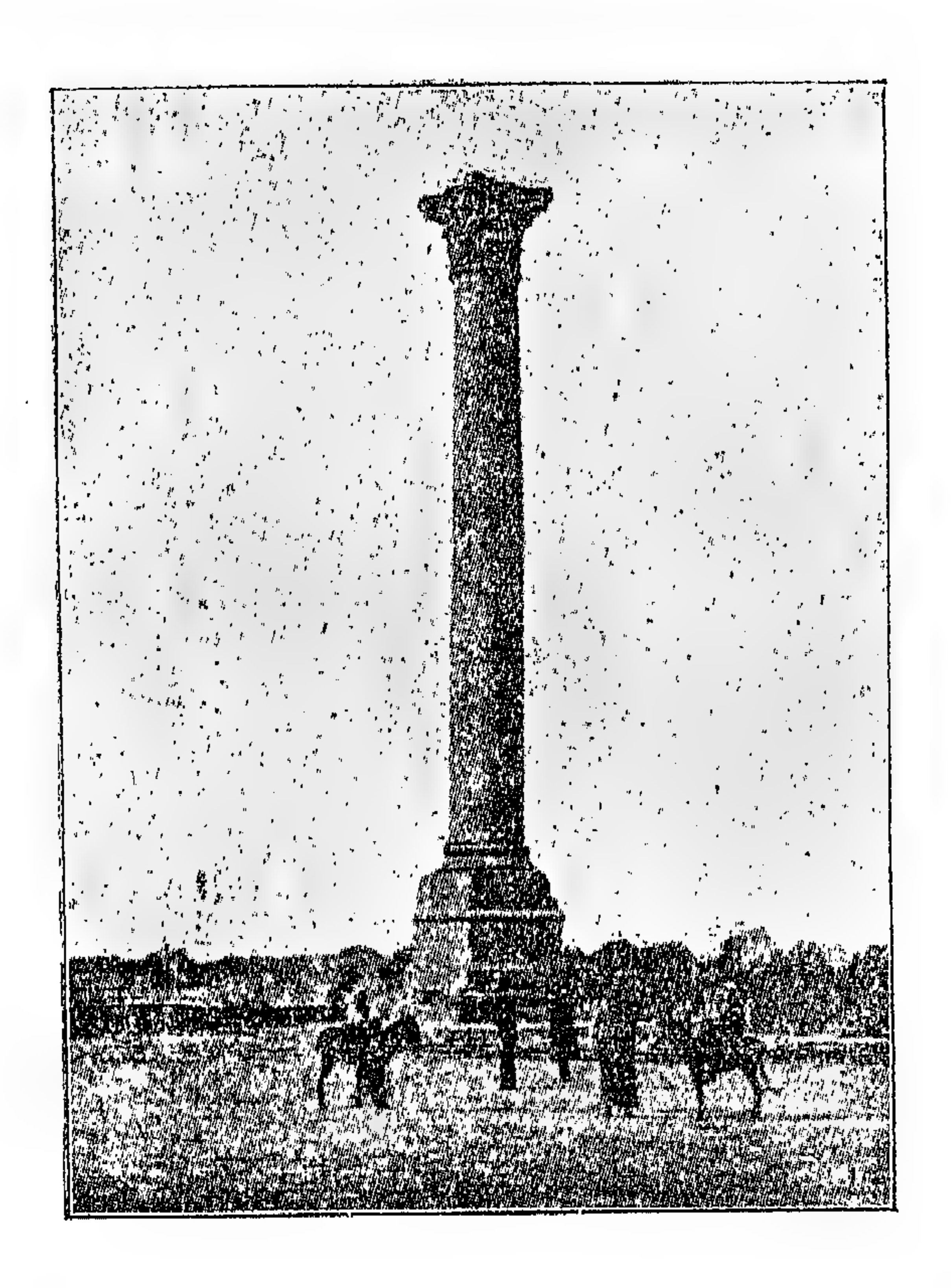
كذلك بدأ الحكم الرومانى فى عام ٣٠ م . واستمر هذا الحكم الى أن فتح العرب مصر في عام ٦٤١ م .

مميزات الحكم الرومانى

كان هذا الحكم حكما عسكرياً محضاً حكم دولة غالبة أمة مغلوبة ، فلم تكن مصر في أثنائه مركزا للحضارة الرومانية كما كانت أيام البطالسة مركزا للحضارة الاغريقية . ولم يك حكم مصر بواسطة ولاة أجانب باسم قياصرة بعيدين مما يمنع زوال الحضارة المصرية القديمة فلم يكن لمصر أثر في نمو الحضارة الرومانية ولا هى احتفظت بحضارتها القديمة

عمود السوارى

اهتم أفاضل القياصرة بحكم البلاد حكما عادلا وبالعناية بتجارتها وغير ذلك من موارد ثروتها : فأعاد تراجان مثلا الخليج بين النيل والبحر الاحمر وأصلح دقلديانوس من مالية البلاد وآثر أهل الاسكندرية على غيرهم فأقاموا عمودا تذكارا له هو عمود السوارى المعروف ، وفى عهد هذا القيصر وأمثاله عنى الرومان بدفع المتبربرين من عرب ونوبة وسكان الصحاري شرقى وادى النيل عن حدود مصر. وأقام القياصرة أيضاً بعض المبانى أو شيد أجزاء جديدة من معابد قديمة.



شكل (٣٨) : عمود السوارى

حصن بابليون

ومن أشهر عمائر الرومان حصن بابليون وهو بناء قديم يقال انه من صنع الفرس ولا تزال بعض أبراجه قائمة بمصر القديمة .

ولم تكن الأمور دائما على هذا المنوال فقد قاست مصر كثيراً أيام القياصرة الضعاف . فكانت تقوم عندئذ الفتن الكبيرة بين الاجناس المختلفة الساكنة فى مصر وعلى الاخص فى الاسكندرية بين اليهود والاغريق ، أو يحاول عندئذ ذوو الاطماع من القواد الرومان الاستقلال بمصر ، أو يحاول عندئذ المصريون رفع النير عن أعناقهم . وكل ذلك يؤدى الى سفك الدماء والفوضى وفقر البلاد .

وكان البربر ينتهزون فرص الفوضى للاغارة على حدود البلاد ،

استيلاء زنوبيا على مصر

وبلغ الامر ان تمكنت مملكة صغيرة من الاستيلاء على مصر وحكمها سنتين : هذه هى مملكة تدمر الواقعة في الصحراء بين سوريا والفرات أيام ملكتها المشهورة زنوبيا .

انتشار المسيحية فى مصر

أهم ما حدث في أثناء العهد الرومانى انتشار المسيحية في مصر ولا يعلم بالضبط متى بدأ ذلك . والظاهر أن أول انتشارها كان بين اليهود المقيمين فى الاسكندرية ثم بين الاغريق ثم بين المصريين

اعتناق المصريين المسيحية

اعتنق المصريون كلهم المسيحية وكانوا على استعداد لذلك . فالعبادات الوثنية القديمة كانت قد فقدت سلطانها على عقولهم ، ووجدوا فى الدين الجديد عقيدة الحياة الآخرة ، وهى من أهم عقائدهم القديمة ، وكانوا شعباً مستعبداً له في تعليم المسيحية الاجتماعى سلوى .

الاختلاف بين المسيحيين

هناك اختلاف بين الكنيسة الاغريقية والكنيسة المصرية . فتغلب فى الأولى الآراء الفلسفية وحب الجدل ، أما الثانية فتغلب فيها

الاغريق والمسيحيين المصريين

روح الزهد والتأمل . فكثر من المصريين من انزوى عن مساويء العالم وشروره ، وآوى الى الكهوف والصوامع ، وقامت في مصر

الرهبنة فى مصر

الأديرة الكثيرة . والظاهر أن من المصريين من آثر الرهبنة فراراً من الضرائب والخدمة العسكرية .

الاضطهاد أيام دقلديانوس

وقاومت الحكومة الرومانية انتشار المسيحية حتى أيام قسطنطين كما تقدم .

وأسوأ الاضطهاد ما وقع أيام دقلديانوس فقد قتل بأمره عدد كبير من المسيحيين فى مصر . ويسمى الاقباط عصره بعصر الشهداء وجعلوا أول حكمه (سنة ٢٨٤ م) مبدأ لتاريخهم .

انتهاء الحكم الرومانى

ساءت الحالة فى مصر على توالى الزمن ، فصارت البلاد فى فقر مدقع لاتقوى على دفع ما فرضته الحكومة عليها من الضرائب ، واشتد النزاع بين الطوائف الدينية المختلفة ، واختل الأمن في قراها وعلى حدودها .

اغارة الفرس على مصر في عام ٦١٧ م

كره المصريون حكم الرومان فلم يسؤهم توغل الفرس فى املاك الدولة الرومانية وفتحهم الاسكندرية سنة ٦١٧ م . ولكن لم يدم حكم الفرس طويلا

عودة الرومان ٦٢٨ م .

فقد قام الامبراطور هرقل وأجلى الفرس من ممتلكاته وغزا بلادهم ودخل قاعدة ملكهم فاضطر الفرس الى الانسحاب من مصر وعاد اليها الرومان وذلك فى عام ٦٢٨ م .

الفتوح الاسلامية

فتح مصر ٦٤١ م.

لم تفد تلك الحروب لا الفرس ولا الرومان بل أضعفتهم جميعاً وقت بدء الفتوح الاسلامية العظيمة التى ما لبثت أن امتدت الى فارس نفسها وانتزعت من الرومان سوريا وفلسطين ثم مصر فى عام ٦٤١ م .


Bibliotheca Alexandrina
04026696